

الدكتور السيد الوريع

في مصادر التراث العربي

٢٠٠٠

دار المعرفتہ الجامعیہ
۱۰ شارع مونسیر - الدار البيضاء - ت ۱۶۳-۱۸۳
۳۸۷ شارع تشارلوس - الدار البيضاء - ت ۲۶۶-۵۹۷

حقوق الطبع محفوظة:

دار المعرفة الجامعية
للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة : ٤٠ شارع سوتير *
الأزاريطة - الاسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

الفرع : ٢٨٧ شارع قنال السويس *
الشاطبي - الاسكندرية
ت : ٥٩٧٣١٤٦

مقدمة

المقصود بمصادر التراث العربي كل ما كتب باللغة العربية من تراث فكري وفني لأثار مكتوبة موروثة حفظها التاريخ من الماضي حتى وصلت إلينا داخل الحضارة السائدة .

والتراث العربي المدون ، برغم كثرة ما فقد منه ، تراث ضخم ثمنا وكيفا . ولا تزال آثاره في العلوم البحتة كالرياضة والجغرافية والطب ، مع ما إستحدثته هذه العلوم من متغيرات ، لا تزال هذه الآثار معدودة في قمة الإنتاج الفكري . كما لا تزال النظريات الفلسفية والاجتماعية لعلماء العرب وفلاسفتهم أصلاً وجذراً من جذور علم الاجتماع والفلسفة المعاصرة^(١) .

ويطول بنا الحديث إذا ما أردنا أن نبين القيمة العلمية للتراث العربي ، وأهمية ما قدمه علماء العربية ومؤلفوها من منجزات حضارية .

ويكفي أن نقرأ كتاباً في فهارس العلوم العربية ، لتتعرف على كم هائل من العلوم العربية ، وعلى الاف المؤلفات من هذه العلوم .

فقد ذكر حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون أسماء ما يقرب من مائتي علم من العلوم العربية منها : علم آداب البحث والمناظرة - علم الآلات الحربية - علم الآلات الرصدية - علم إتباط المياه - علم الأوزان والمقايير - علم البيطرة - علم تدبير المدينة - علم ترتيب العسكر - علم

(١) عبد السلام هارون - التراث العربي ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٧ .

عسر والمقابلة - علم الجراحة - علم الجغرافيا - علم الرياضة - علم
السياسة - السيمياء - قوانين الكتابة - الفلاحة - الكهانة - المعادن - الملاحة -
الموسيقى - علم الهندسة وغيرها

وفي كتاب / خزائن الكتب العربية في الخافقين « للفيكونت فيليب
دي طراري احصاء لعدد هائل من المؤلفات العربية في مختلف فروع العلم
والمعرفة .

من الطبيعي إذن - وعلى هذا النحو - أن تكون المكتبة العربية مكتبة
ثرية وغزيرة بالمصادر المتنوعة والمهمة - ليس فقط بالنسبة لدارسي الحضارة
العربية ، وإنما أيضاً لمن يدرس الحضارة الإنسانية ومسيرتها عبر العصور .

ومما يذكر للعرب كذلك ، أنهم كانوا سباقيين في التفكير في إحياء
التراث بواسطة النساخين والوراقين ، اعترافاً منهم بأهمية حفظ وحياء
ودراسة كل ما خلفه السابقون من مؤلفات . فيذكر المقرئ في - على سبيل
المثال - أنه كان في خزانة العزيز بالله ثلاثون نسخة من كتاب العين ومائة
نسخة من جبهة ابن دريد^(١) .

ولم يكتف العرب - قديماً - في سبيل إحياء التراث بهذا فقط ، بل
مراهم يعمدون إلى شرحه والتعليق عليه . فهذا كتاب سيويه (ت ١٨٠)
في النحو ، يقدم على شرحه أكثر من خمسين عالماً في أجيال متعاقبة ، منهم
السيوافي والرماني والزغشري وغيرهم .

أما إحياء التراث في العصر الحديث ، فقد ارتبط بالمطبعة التي كانت
عاملاً فعالاً في « نشر التراث الفكري على نطاق واسع وعلى صور شتى
ودرجات مختلفة من الصحة والتوثيق ومراحل متدرجة من الدقة والعناية

١٠٠ لدريري الخطط ، ص ٢ - ص ٢٥٢

حتى وصلت إلى ما يشبه القمة في عصرها الحاضر^(١) .

ظهرت الطباعة بالعربية في أوائل القرن السادس عشر في إيطاليا ، وانتشرت بعد ذلك في أوروبا وتركيا ولبنان ، ولكن الإهتمام بطبع التراث العربي ونشره لم يأخذ شكلاً جدياً إلا منذ قيل هذا القرن بقليل . وتمثل هذا في عدد من المطابع والمؤسسات التي قامت بنشر العديد من كتب الأدب والتاريخ ودواوين الشعر إلى جانب الكتب الدينية . ومن المطابع التي ساهمت في هذا الإحياء : المطبعة الأمريكية للمبعوثين الأمريكان ، التي أنشئت في مالطة عام ١٨٢٢ ثم نقلت إلى بيروت عام ١٨٣٤ . والمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ١٨٥٤ ، والمطبعة السورية لخليل الخوري ١٨٥٧ ومطبعة المعارف للبستاني ١٨٦٧ .

وبإنشاء مطبعة بولاق ١٨٢١ ، انتقلت حركة الطباعة إلى مصر ، فقدمت مئات الكتب العربية في الطب والرياضة والطبيعة والفنون الحربية والتاريخ والأدب والشعر والتفسير والحديث وغيرها .

ثم ظهرت بعد ذلك بمصر عدة مطابع أهلية ، منها المطبعة الأهلية القبطية ١٨٦٠ التي عرفت بعد ذلك بمطبعة الوطن ، ومطبعة وادي النيل ١٨٦٦ التي أنشأها أبو السعود أفندي ، ومطبعة جمعية المعارف ١٨٦٨ التي أسسها محمد عارف باشا أحد أعضاء مجلس الأحكام بمصر .

وساعد على إحياء التراث ونشره بإعادة طبعه وتحقيقه ظهور عدد من الجمعيات ودور النشر التي قامت على إحياء التراث ومنها إلى جانب مطبعة بولاق ، شركة طبع الكتب المصرية ، ودار الكتب المصرية ، والمكتبة الميمنية ، ودار الكتب العربية الكبرى ومكتبة مصطفى الحلبي ودار إحياء الكتب العربية ومكتبة الخانجي والمكتبة السلفية ولجنة التأليف والترجمة

(١) - عبد السلام هارون - التراث العربي ، ص ٤٣ .

والنشر ودار المعارف وجامعة القاهرة والمجمع اللغوي بالقاهرة والمعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف وإدارة التأليف والترجمة والنشر وغيرها .

هذا إلى جانب دور النشر العديدة بالعالم العربي ومنها بدمشق المجمع العلمي العربي والمعهد العلمي الفرنسي ، وببغداد ، مكتبة المثني والمجمع العلمي العراقي ودار المعارف للتأليف والترجمة والنشر ، وببيروت دار الثقافة .

« ولقد كانت فكرة إحياء التراث والنشاط فيه ، فكرة قومية قبل أن تكون فكرة علمية ، فإن طغيان الثقافة الأوروبية والنفوذ التركي وضغطه ، كان يأخذ بمخنة العرب في بلادهم ، فأرادوا أن يخرجوا إلى متنفس يحسون فيه بكيانهم المستمد من كيان أسلافهم ، في الوقت الذي ألفوا فيه الغرباء من الأوروبيين يتسابقون وينشون كنوز الثقافة العربية ، فانطلقوا في هذا السيل ينشرون ويحبون ، إذا كانوا يرون أنهم أحق بهذا العمل النبيل وأجدد» (١) .

والحقيقة إنه لا يمكن اغفال دور المشرقين وجهدهم في إحياء التراث العربي ، خاصة وإنهم بذلوا جهوداً علمية جادة في تحقيق النصوص وتوثيقها ، دقة وأمانة ، كما اهتموا اهتماماً خاصاً بأعداد الفهارس الفنية لهذه المصادر . ومن هؤلاء المشرقين :

١ - وستفيلد الألماني Wustenfled (١٨٠٨ - ١٨٩٩) الذي حقق ما يقرب من مائتي كتاب ، منها سيرة ابن هشام ومعجم ما استعجم للبكري .

٢ - بيفان الهولندي Bevan (١٨٥٩ - ١٩٣٤) ، ومن نشره نقائض جرير

(١) عبد السلام هارون : التراث العربي . ص ٤٩ .

والفرزدق بعد أن زوده بالفهارس العديدة والتعليقات ، الشروح المفيدة .

٣ - رودلف جاير الألماني Rudon Ueyer (١٨٦١ - ١٩٢٩) الذي حقق ديوان الأعشي بعد أن راجع نصوصه على ٥٦٩ مرجعاً .

٤ - وليم رايت الانجليزي W. wright (١٨٣٠ - ١٨٨٩) الذي نشر كتاب الكامل للمبرد للمرة الأولى نشرة مزودة بالفهارس الدقيقة .

كما لا يمكن كذلك اغفال جهود جمعيات المشرقين ومنها جمعية المشرقين الألمانية التي أنشئت عام ١٨٤٥ بمدينة هاله بالمانيا ، ثم أنشأت فروعاً لها في الشرق ، منها فرع الأستاذة ١٩١٨ ، وفرع القاهرة الذي سمي بمعهد الآثار ، ومعهد الدراسات الشرقية ببيروت ١٩٦٠ وقد قامت الجمعية بنشر وتحقيق عدد من أمهات الكتب العربية ، منها مقالات الإسلاميين للأشعري والوافي بالوفيات للصفدي والحشب لابن جني وطبقات المعتزلة وكتاب النجاة للمرزباني وغيرها .

ودراسة التراث في مصادره بعد إحيائه ليس واجباً قومياً فحسب ، وإنما هو إلى جانب هذا ضرورة حضارية للتعرف على مسار الحضارة البشرية وكيف انتهت إليه والدور الذي قام به العرب في مرحلة ازدهار حضارتهم خلال عصور أوروبا الوسطى . كما إنه من ناحية أخرى مصدر هام وضروري لدارس هذه الحضارة العربية قديمها وحديثها .

وهذا الكتاب يحاول أن يقدم للقارئ والدارس نماذج من هذه المصنفات التي تزخر بها المكتبة العربية مع التعرف على مؤلفيها ومكانتهم العلمية .

وهي محاولات تعريفية ، قصد بها اختيار بعض المصادر العربية ذات القيمة العلمية والقاء بعض الأضواء عليها مع تقديم نماذج من المادة

العلمية التي يحتويها المصدر . وأنا أرجو من النهاية بهذا العمل ، أن أمكن
القارئ من التعرف على بعض مصادر التراث العربي ، تحسراً يعينه على
البحث في هذه المصادر من ناحية ، وعلى معرفة قيمة كل مصدر منها وما
يضمه من مادة علمية

أرجو أن يكون هذا العمل عوناً لهذا القارئ على الإتقان بأهميات
الكتب العربية هذه .

السعيد الورقي

تمهيد

في نشأة العلوم العربية

أولاً : فجر التدوين في نطاق العلوم القرآنية :

اهتم الإسلام بالعلم وشجع عليه ودعا إلى تحصيله . فكان الرسول يحث المسلمين رجالاً ونساء على طلب العلم ، لهم ولأهلهم وذوهم .

والأحاديث النبوية على هذا كثيرة ، منها قوله عليه السلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . « ولم ينفرد الرسول وأصحابه ببيت الدعوة وتعليم الناس في المدينة ، بل كان يرسل دعائه ورساله إلى الجهات النائية من شبه الجزيرة ليعلموا الناس ويوضحوا لهم الطريق إلى ربهم ويقرئوهم القرآن الكريم » (١) .

وقد ألقت أفكار الرسول وتعاليمه آثارها ، فانتجت جماعة أوائل الفقهاء والأصوليين والمحدثين في المجتمع الإسلامي ، منهم علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ، فنبغ علي في القضاء ومعاذ في العلم بالحلل والحرام وزيد في تقسيم الموارث والأنصبة في الغنائم وأبي في قراءة القرآن .

(١) د . حسن إبراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، مكتبة النهضة ، القاهرة ١٩٥٩ ، ج ١ ، ص ٤٩٥

« وقد تفرق هؤلاء العلماء وغيرهم من الصحابة في الأمصار الإسلامية ، فقاموا فيها بحركة علمية والتفت حولهم تلاميذ أخذوا العلم عنهم وأذاعوه بين الناس »^(١) .

ويعد أن انتقل النبي عليه السلام إلى جوار ربه ، نشأت على يد هؤلاء الصحابة أصول العلوم . فجمع القرآن وتحريت قراءاته ، وحفظ الحديث وضبطت رواياته ، وتكلم قوم في تاريخ الغزوات النبوية والفتوح الإسلامية ، كما اتجه آخرون إلى الفقه واللغة باعتبارهما متصلان بالقرآن والحديث .

« توزع الصحابة في الأمصار معلمين للناس ومستشارين وحكاما ومفتين ، ثم كان لكل صاحب مدرسة من مريديه ، وهؤلاء المريدون هم التابعون ، وكان للتابعين مريدون أيضاً فعرفوا بتابعي التابعين . وهكذا اتسع نطاق الثقافة الدينية ورُحبت آفاقها على يد هؤلاء وأولئك في هذا المصراع أو ذاك ، فنشأت نواة الحركة العلمية العقلية بعد جيلين أو ثلاثة من جيل الصحابة والتابعين »^(٢) .

وهكذا كانت عناية المسلمين في صدر الإسلام وحتى الدولة الأموية مقصورة على العلوم الدينية وهي القرآن وتفسيره والحديث وروايته واستنباط الأحكام الفقهية والفتاوى الشرعية ، ثم ما يتصل بهذه العلوم من نحو ولغة وأخبار ونوادر ومسير وشعر ونثر وخطابة بعد ذلك ، وهي مجموع العلوم العقلية .

(١) تاريخ الإسلام ، ج ١ ، ص ٤٩٦ .

(٢) د . مصطفى الشكعة : مناهج التأليف عند العلماء العرب ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٤ ص ٢٢ .

وقد تمثل نشاط العلماء العرب في هذه العلوم بالتدوين أولاً ثم بالجمع والتصنيف والتأليف بعد ذلك .

ولقد كان النحو من أوائل العلوم التي دونت بعد القرآن . كان ذلك في عهد علي رضي الله عنه ، عندما كتب أبو الأسود النؤلي (ت ٦٩ هـ) مبادئ أولية في هذا العلم .

يقول ابن سلام الجهمي في كتابه طبقات فحول الشعراء « وكان أول من استن العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسيها ، أبو الأسود النؤلي . وكان رجل أهل البصرة ، وكان علوي الرأي . وإنما قال ذلك حين اضطرب كلام العرب ، فغلبت السليقة ولم تكن نحوية . فكان سراً الناس يلحنون ووجوه الناس . فوضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف الجر والرفع والنصب والجنزم »^(١) .

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ هـ أمر بتدوين الأحاديث المحفوظة . ولكنه يموت قبل اتمام مشروعه . ولم يلبث محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) أن قام بأول محاولة لتدوين الحديث ، وبتبعه بعد ذلك الإمام مالك بن أنس (٩٣ - ١٧٩ هـ) حين جمع ما توافر له من أحاديث نبوية في كتابه الموطأ في المدينة ، وأيقدم على نفس الجهد عبد الملك بن عبد العزيز ابن جريج في مكة ١٥٠ هـ وعبد الرحمن الأوزاعي في الشام ١٨٣ هـ وسفيان الثوري في الكوفة ١٦١ هـ وحاد بن سلمة بن دينار في البصرة ١٧٦ هـ^(٢) .

وتسابع الجهود بعد ذلك في القرون التالية فمنها ما تكتفي بجمع الأحاديث فقط كصحيح البخاري (محمد بن اسماعيل البخاري ١٩٤ -

(١) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء ، ص ١٢ .

(٢) د . مصطفى الشكعة ، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، ص ص ٤٤ - ٤٥ .

٢٥٦ هـ) وصحيح مسلم (مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
(٢٠٤ - ٢٦١ هـ) . ومنها ما يتجه إلى دراسة الحديث وتحقيقه وإلى وضع
معايير لها وللمحدثين ، أصبحت بمثابة الأصول العلمية الأولى في البحث
والأخذ والتأليف .

ومن العلوم المتصلة بالقرآن والتي دونت في فترة مبكرة كذلك
الفقه . فقد دون أبو حنيفة النعمان (٨٠ - ١٥٠ هـ) مذهبه في الفقه ،
وتبعه بعد ذلك جمهور كبير من المجتهدين .

هكذا كانت العلوم النقلية التي تتصل بالقرآن الكريم هي أسبق
العلوم التي اهتم العلماء العرب بالتأليف فيها وذلك لإرتباط هذه العلوم
بالقرآن والحديث من ناحية ، ولاهيتها في تفسير النص الديني من ناحية
أخرى .

ثانياً : التأليف الأدبي العام والاتجاه نحو التخصص :

لم تلبث حركة التدوين والتأليف أن اتسعت ، وخاصة بعد ظهور
حركة الترجمة ، وتعرف العرب على مجموعة العلوم العقلية التي اطلقوا
عليها أحياناً علوم العجم أو العلوم القديمة أو علوم الأوائل ، والتي
تشمل : الفلسفة والهندسة وعلم النجوم والموسيقى والطب والسحر
والكيمياء والتاريخ والجغرافيا .

وتذكر الأخبار أن معاوية استحضر من اليمن عبيد بن شريح الجرهمي
وسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وأمر افتراق الناس في
البلاد وغيره^(١) ، ثم أمر معاوية بتدوين معلومات عبيد منسوبة إليه :^(٢)
وتنسب الأخبار إلى عبيد الجرهمي هذا كتابين هما « كتاب الأمثال » و
« كتاب أخبار الملوك الماضين » .

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص ١٣٨ .

ويذكر ابن النديم في بعض مرويياته أنه رأى أبواباً في النحو عن أبي
الأسود الدؤلي مكتوبة بخط يحيى بن يعمر ، وبعض المعلومات الأخرى
مكتوبة بخط النضر بن شميل^(١) .

وهناك العديد من الأخبار الأخرى التي تدل على أن التدوين بدأ منذ
فترة مبكرة . منذ عهد معاوية ، وإن كان الأرجح أن حركة التدوين
الفعلية ، خاصة في مجال العلوم العقلية قد ظهرت متأخرة قليلاً ، خاصة
منذ عهد خالد بن يزيد بن معاوية الذي كان أول من عنى بنقل الطب
والكيمياء إلى العربية ، فيذكر ابن النديم له أكثر من كتاب في هذه العلوم
العقلية منها : كتاب الحرات وكتاب وصيته لابنه في الصنعة وكتاب
الصحيفة الكبير وكتاب الصحيفة الصغير^(٢) .

وجاء العصر العباسي ، وقد شهدت الحياة العقلية العربية العديد من
المدونات التي جمع فيها كاتبوها جملة من المعارف الثقيلة والعقلية . امتلأت
بها بيوت الأمراء والعلماء كما تذكر الروايات التي تحدثت عن خزانة الكتب
التي كانت عند الوليد بن يزيد ، وعن كتب أبي عمرو بن العلاء (٧٠ -
١٥٤ هـ) التي ملأت بيتاً إلى قرابة سقفه^(٣) ، وعن مكتبة عبد الحكيم بن
عمرو بن عبد الله بن صفوان التي امتلأت بدفاتر من العلوم الدينية
والعلوم الدينية^(٤) .

كانت المدونات في بدايتها كما لاحظنا تتجه إلى الجمع للعديد من
المرويات والمعلومات المحفوظة والمنقولة . ولم يكد يمل القرن الثاني الهجري
حتى كان التفاعل الحضاري بين مجموع الشعوب الإسلامية قد بدأ في

(١) الفهرست ، ص ٦٧ .

(٢) الفهرست ، ص ص ٥١١ - ٥١٢ .

(٣) الأغاني ، ج ٤ ، ص ٥٢ .

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣ ، ص ٤٦٦ .

الظهور واضحاً جلياً ، خاصة بعد اتساع حركة الترجمة عن الهندية والفارسية واليونانية ، واتساع آفاق العلوم الإسلامية معها التي سارت في خدمة العقيدة والثقافة الأدبية من حديث وفقه وعلم كلام وتفسير ولغة ونحو وصرف وأدب وتاريخ وغير ذلك ، بحيث يمكن القول بأنه قد تشكل ما يمكن أن نسميه بالعقل الإسلامي الذي حفظ وتعلم ووعى واكتسب ثم أعطى بوفرة وسخاء^(١)

وهكذا ظهرت المؤلفات العربية ، وفقاً للمنهج الذي تصوره حاجي خليفة للتأليف ، حينما رآه يجري على سبعة أقسام : إما شيء لم يسبق فيخترعه ، أو شيء ناقص ينمّه أو شيء مغلق يشرحه أو شيء يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه أو شيء متفرق يجمعه أو شيء مختلط يرتبه .^١ شيء أخطأ فيه مصنفه فيصححه

وقد ساعد على اتجاه العقلية العربية والإسلامية إلى التدوين ثم التأليف ، تكوين الكاتب المنشيء الذي استقامت أمامه لغة الكتابة التي يتمكن بها ومن خلالها عرض ما لديه من أفكار .

ومن أوائل هؤلاء الكتاب الرواد سالم مولي هشام بن عبد الملك ويحيى بن يعمر العدواني كاتب يزيد بن المهلب الذي ولى قضاء خراسان على عهد نثية بن مسلم الباهلي

وكان يحيى بن يعمر هذا أحد شيوخ أبي الأسود الدؤلي ، كما كان عالماً بالقراءة والحديث والفقه ولغات العرب^(٢) .

ومنهم كذلك عبد الله الطالبي وعبد الحميد بن يحيى وعبد الله المقفع وغيرهم .

(١) . مصطفى الشكعة : مناهج تأليف عبد الملأ العرب ، ص ٦١

(٢) : ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ٢٠ ، ص ٤٢

صدرت التأليفات العربية المبكرة متأثرة بالمفهوم الذي كان سائداً آنذاك للأدب من أنه الأخذ من كل شيء بطرف ، وأنه يشمل كل ما كتب . ولهذا فقد اشتملت بواكير التأليفات العربية على الأخبار والأشعار والنوادر وعلى اللغة وقضايا النحو وعلى التاريخ والحكمة .

ومن السهل أن نرى هذا واضحاً في المؤلفات التي وصلت إلينا لأوائل المؤلفين العرب أمثال : المفضل الضبي - والخليل بن أحمد - يونس بن حبيب - النضر بن شميل - هشام بن الكلبي - الأصمعي - الهيثم بن عدي - المدائني - الجاحظ - ابن قتيبة الدينوري - المبرد - ثعلب - الصولي - المرزباني - الثعالبي وغيرهم .

لقد كانت هذه الفترة في تاريخ التأليف عند العرب فترة الموسوعات الأدبية التي يمكن أن نراها بوضوح في أعمال الجاحظ وخاصة البيان والتبيين ، وفي مؤلف المبرد « الكامل في اللغة والأدب » .

ولم تلبث حركة التأليف عند العرب أن اتجهت نحو التخصص ، فكانت هناك مؤلفات خاصة في كل فرع من فروع المعرفة إلى جانب الموسوعات الأدبية التي اتسعت لتصبح دوائر معارف في شتى العلوم والفنون .

فمن أمثلة المؤلفات المتخصصة في علوم اللغة كتاب الجوهرة في اللغة لابن دريد وكتاب الأضداد لابن الأنباري ، ومن المؤلفات المتخصصة في علوم القرآن : مجاز القرآن لأبي عبيدة وكتاب التيسير في القراءات السبع للذاني والجامع لأحكام القرآن للقرطبي . ومن المؤلفات المتخصصة في التاريخ تاريخ الطبري ومروج الذهب للمسعودي وتاريخ الأندلسي لابن القوطية . ومن المؤلفات المتخصصة في الجغرافيا : صورة الأرض للخوارزمي والمسالك والممالك لابن خردادبة .

ومن الموسوعات العامة أو دوائر المعارف نذكر العقد الفريد لابن عبد
ربه ونهاية الأرب للتويزي وممالك الأبرار لابن فضل الله العمري
وصبح الأعشي للقلقشندي .

وسنحاول في هذا الكتاب أن نتحدث عن بعض المصادر الأدبية
العامة أولاً ثم المصادر الموسوعية ، ثم نتحدث بعد ذلك عن نماذج من
المصادر المتخصصة .

الباب الأول

في
المصنفات الموسومة

في المصنفات الموسوعية

كان للأدب في الحضارات القديمة ومنها العربية مفهوم متسع عما هو عليه الآن ، فقد كان يضم في الغالب كل ما يكتب من علوم العصر وفنونه . فنرى أرسطو في كتابه فن الشعر يطلق على كل العلوم حتى التجريبية مصطلح فن ، وإن فرق بين هذا الفن وبين الفنون البحتة وهي فنون الإبداع . ويقول الحسن بن سهل أحد وزراء العصر العباسي إن الآداب عشرة : ثلاثة شهرجانية وثلاثة أنوشروانية وثلاثة عربية وواحدة أربت عليهن .

فأما الشهرجانية : فضرب العود ، ولعب الشطرنج ولعب الصوالج ، وأما الأنوشروانية فالطب والهندسة والفروسية . وأما العربية فالشعر والنسب وأيام الناس . وأما الواحدة التي أربت عليهن فمقطعات الحديث والسمر وما يتلقاها الناس في المجالس .

ومن هنا غلب على المؤلفات التي شهدتها الحياة الفكرية العربية خاصة في مرحلة التجميع ، هذا الطابع العام ، فكانت موسوعات أدبية تضم نتفاً من هنا وهناك وأخباراً وملاحظات ومعلومات ونصوصاً شعرية ونثرية.

وهذا ما نراه في أعمال كاتب موسوعي مثل الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وخاصة البيان والتبيين والحيوان والبخلاء .

وقد سيطر هذا الإتجاه على عدد من الكتاب بعد ذلك عن اتجهوا إلى اعداد موسوعات أدبية عامة حتى بعد الإتجاه إلى التأليف التخصصي . ومن أشهر هذه المؤلفات الموسوعية في التراث العربي نذكر :

- عيون الأخبار لابن قتيبة (عبد الله بن مسلم ، ت ٢٧٦ هـ) .
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ، ت ٢٨٦ هـ) .
- أخبار الرسل والملوك للطبري (محمد بن جرير . ت ٣١٠ هـ) .
- العقد الفريد لابن عبد ربه (أحمد بن محمد ، ت ٣٢٨ هـ) .
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين ، ت ٣٥٦ هـ) .
- نشوار المحاضرة للتونخي (المحسن بن علي ، ت ٣٨٤ هـ) .
- زهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني (أبو اسحق ابراهيم ، ت ٤١٣ هـ) .
- الإمتاع والمؤانسة للتوحيدي (أبو حيان علي بن محمد بن العباس ، ت ٤١٤ هـ) .
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (أحمد بن علي بن ثابت ، ت ٤٦٣ هـ) .
- ولا شك أن هذه المؤلفات الموسوعية في الأدب وفترته بالمفهوم القديم كانت البدايات التي مهدت لظهور الموسوعات العامة أو دوائر المعارف بالمفهوم الحديث .
- والظاهرة المثيرة للإنتباه ، أنه باستثناء عدد قليل من هذه الموسوعات العامة فإن أغلب هذه الأعمال قد كتبت في العصر المملوكي . وقد حاول الباحثون دراسة هذه الظاهرة فأرجعها بعضهم إلى سمة العصر الفكرية حيث كان عصر أحياء ماذوى ولم تشتت ما اندثر من آثارنا الفكرية ،

خاصة بعد أن تعرض التراث الفكري الإسلامي للتدمير بعد الغزوات الصليبية وهجمات المغول^(١) .

وإلى جانب هذه الظاهرة ، فهناك ظاهرة أخرى سيلاحظها الباحث على هذه المؤلفات الموسوعية المملوكية ، وهي أنها « منسوبة في أكثر جوانبها على دراسة البيئة المصرية بصفة خاصة دراسة أدبية اجتماعية تاريخية اقتصادية جغرافية »^(٢) .

ومن هذه الموسوعات العامة يأتي قبل العصر المملوكي :

- العقد الفريد لابن عبد ربه (أحمد بن محمد ، ت ٣٢٨ هـ) .

ومن موسوعات العصر المملوكي نذكر :

- لسان العرب لابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن علي المصري ت ٧١١ هـ) .

- نهاية الأرب في فنون العرب للنويري (أحمد بن عبد الوهاب ، ت ٧٢٣ هـ) .

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى ، ت ٧٤٩ هـ) .

- كتاب العبر لابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) .

- صبح الأعشى في كتابة الإنشا للقلقشندي (أبو العباس محمد بن عبد الله ، ت ٨٢١ هـ) .

وسنحاول هنا بشيء من التفصيل ، أن نتحدث عن نماذج من هذه

(١) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي ، ص ٣١٥ .

(٢) د . مصطفى الشكعة : مناهج التأليف عند العرب ، ص ٧٢٤ .

المؤلفات الموسوعية ، ومنها ما يمثل - في اختيارنا - الموسوعات الأدبية :

- البيان والتبيين للجاحظ

- الكامل في اللغة والأدب للمبرد .

- العقد الفريد لابن عبد ربه .

- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني .

ومنها ما يمثل الموسوعات العامة بمفهوم دوائر المعارف :

- العقد الفريد لابن عبد ربه .

- لسان العرب لابن منظور .

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون .

- صبح الأعشي للقلقشندي .

الجاحظ وكتابة البيان والتبيين

الجاحظ هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناي . عاش في الفترة ما بين ١٥٩ هـ - ٢٥٥ هـ وهي الفترة التي شهدت حكم المهدي والمأمون والتوكل والمتصر والمستعين بالله والمهتدي بالله .

ولد الجاحظ بالبصرة في خلافة المهدي إذن وكانت الدولة آنذاك تموج بصراعات فكرية واجتماعية وسياسية متعددة ومعقدة ، بين خليط من أجناس وعقائد متباينة ، فكان هناك العربي وغير العربي وكان هناك اليهودي والمسيحي والمسلم والمجوس . وكان هناك المسلم السني والمسلم الشيعي الزيدي المعتدل ، والمسلم الشيعي المغالي والمعتزلي وغيرهم من الفرق الإسلامية الأخرى .

وفي هذه البيئة المعقدة نشأ الجاحظ بالبصرة التي كانت آنذاك أكبر حواضر العلم والأدب بعد بغداد ، يجتمع في مسجدها طائفة حسنة من العلماء وأرباب النحو واللغة والأدب عرفوا بالمجديين ، فأقبل إليهم الجاحظ بمجالسهم ويأخذ عنهم الكثير بفضل ذكائه المتوقد وحافظته القوية^(١) .

وفي البصرة درس الجاحظ على أعلم علماء عصره ، فأخذ الأدب واللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري ودرس النحو على الأخفش ودرس علم الكلام على النظام .

(١) حنا الفاخوري : الجاحظ ، دار المعارف ، ١٩٥٦ ، ص ١٥ - ١٦ .

واتصل بالثقافة اليونانية بمصاحته حسين ابن اسحق وسلمونية
وبالثقافة الفارسية عن طريق أبي عبيدة واس المقفع .

كما تلقى الفصاحة وأساليب التعبير شفاها عن خطباء العرب في المربد
وكانت سوقاً قرب البصرة يختلف اليه الشعراء والخطباء فكان يجتمع العرب
ومتحدثهم .

وكان إلى ذلك يكثرى دكاكين الوراقين ويثبت فيها للنظر كما يقول عنه
ابن النديم^(١) .

وبالإضافة إلى هذه المصادر المتنوعة لثقافة الجاحظ ، كان الجاحظ
يتميز بحس قوي الملاحظة لما يدور حوله ، ولهذا تفوق على معاصريه من
العلماء بالقدرة على معايشة الناس ومراقبتهم^(٢) .

وهكذا كان الجاحظ عالماً يفنون الأدب والأخبار واللغة والحكمة
والكلام وكان له في كل فن من هذه الفنون والعلوم نصيب في التأليف ،
فكان من ثم كما يقول عنه ديلاسي أوليري في كتابه Arabic thought and
its place in History والفكر العربي ومكانه في التاريخ ، من أنه كان كاتباً
جامعاً على مثال كتاب دوائر المعارف ، وعلى نحو ما كان شائعاً في
عصره . فكتب في الأدب والتوحيد والمنطق والفلسفة والجغرافيا والتاريخ
الطبيعي وموضوعات أخرى^(٣) .

وقد أثرى الجاحظ المكتبة العربية بعدد من المؤلفات التي تمثل ثقافته
الموسوعية هذه .

(١) الفهرست ص ١٧٥ .

(٢) د . عز الدين اسماعيل : المصادر الأدبية ، ص ١٣٨ .

(٣) ص ١٤٣ من الترجمة العربية للدكتور غمام حسان المؤسسة المصرية العامة ، في عالم الكتب
مسلة الألف كتاب

وقد قيل إن آثاره هذه بلغت ما يزيد على ثلاث مئة وخمسين كتاباً .
ضاع منها عدد كبير .

أما ما وصل منها إلينا فقد طبع معظمه ، ولا يزال بعضه محفوظاً في
مكتبات عديدة بين الشرق والغرب .

ومن مؤلفاته في علوم الدين والفلسفة :

- كتاب الإستطاعة وخلق الأفعال .

- كتاب الإعتزال وفضله وهو المسمى أيضاً « فضيلة المعتزلة » .

- كتاب خلق القرآن .

- كتاب آي القرآن .

- كتاب الرد على اليهود .

- كتاب الدلائل والاعتبار على الخلق والتدبير .

ومن مؤلفاته في السياسة والاقتصاد :

- كتاب الإستبداد والمشاورة في الحرب .

- رسالة في مناقب الترك وعامة جند الخلافة .

- رسالة في الخراج .

- كتاب أقسام فضول الصناعات ومراتب التجارات .

- كتاب الزرع والنخل والزيتون والأعشاب .

ومن مؤلفاته في التاريخ والجغرافية والطبيعات والرياضيات :

- كتاب الأخبار وكيف تصح .

- كتاب الملوك والأمم السالفة والباقية .
- كتاب الأمصار .
- رسالة في الكيمياء .
- كتاب المعادن .
- كتاب الحيوان .
- ومن مؤلفاته في الإجتماع والأخلاق :
- كتاب البخلاء .
- رسالة في إثم السكر .
- كتاب أخلاق الشطار .
- كتاب أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة .
- كتاب القحطانية والعدنانية .
- كتاب العرب والعجم .
- ومن مؤلفاته في الأدب :
- البيان والتبيين .

كتاب البيان والتبيين

أما كتاب البيان والتبيين فهو من آخر ما ألف الجاحظ والأرجح أن الجاحظ قصد منه أن يكون بحثاً شاملاً في البيان العربي وما يتصل به من بلاغة وفنون بيان وخاصة فن الخطابة الذي كان في عصر الجاحظ فناً له أصوله وقواعده وأسرار صنعه ، حيث شاع آنذاك الجدل والمناظرة بين الفرق الإسلامية المختلفة وعلى رأسها المعتزلة ، والجاحظ أديب المعتزلة الأول .

وكأنما أراد الجاحظ أن يجمع في هذا الكتاب كل ما يعين الخطيب من ثقافة ومعرفة ، وما يجب أن يتوافر فيه من موهبة يأخذها بالمران والمصقل ومداومة الأخذ عن العلماء . وبالرغم مما يبدو على الكتاب من تشتت في تناول الموضوعات وتسلسلها منطقياً ، حتى يبدو الكتاب في النهاية غنارات أدبية من القرآن والحديث والشعر ونماذج الخطباء والبلغاء ممتزجة بما يعين للجاحظ من آراء تولدها المناسبة وتطرحها ثقافته الواسعة ، بالرغم مما قد يلاحظه الباحث على الكتاب على هذا النحو ، إلا أن النظرة المدققة ستلاحظ أن للكتاب موضوعاً رئيسياً يسيطر عليه إلى حد كبير ، وهو الذي يوجه الكاتب إلى اختيار مختاراته . وهذا الموضوع الرئيسي هو استنباط أصول البيان كما تحدث فيها السابقون وكما مارسها علماء الكلام ومن بينهم الجاحظ . ونظرة إلى محتوى الكتاب تؤكد لنا هذا . فقد بدأ بالاستعانة من الحى ثم تحدث عن نعمة فصاحة اللسان وعاب التشديق والتععر وانتقل إلى الحديث عن اختلاف لغة العرب في استعمال الألفاظ ، حتى إذا اقترب من الخطابة تحدث عن عيوب اللسان مشيراً في ذلك إلى أشهر الخطب والخطباء ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى البلاغة فيتحدث عن البلاغة في

الشعر وفي اللسان وفي الكلام المسجع مقدماً نماذج كثيرة من الحديث الشريف والخطب والحكم ، ثم يتهاى للدفاع عن فصاحة العرب وخطبائهم ضد اتهامات الشعوية وذلك في كتاب العصا ، ثم يتكلم عن الزهد وعن النساك وعن كلامهم ومواعظهم .

فالكتاب على هذا النحو تدور مادته بدون شك حول الفصاحة والبلاغة^(١) .

ويمكننا أن نجمل الموضوعات الرئيسية في كتاب البيان والتبيين في الموضوعات الآتية :

- ١ - استنباط أصول البيان ومعناه
- ٢ - الخطابة وتقاليدها الأدبية ومظاهرها السلوكية .
- ٣ - الدفاع عن فصاحة العرب ضد اتهامات الشعوية .

أما البيان فيعرفه الجاحظ بقوله : والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يقضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محموله ، كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل ، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام . فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان^(٢) .

ولأنه أي البيان - الدلالة الظاهرة على الخفي . والبيان بهذا المعنى هو الذي دعا إليه الله ونطق به القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت

(١) د عز الدين اسماعيل ، ص ١٤٢ المصادر الأدبية واللغوية

(٢) البيان والتبيين ، ص

أصناف المحم^(١) . والملاحظ هنا يستخدم البيان بالمفهوم العام الذي يجمع بين التعبير والبلاغة

أما الموضوع الثاني الذي عالجته الملاحظ في كتابه البيان والتبيين فهو الخطابة فتحدث الملاحظ في كتابه عن أصلها وعن تقاليد النخبة والسلوكية .

والخطابة عند الملاحظ كما نراها في كتابه ليست فقط فنا نثريا قوليا يصدر عن متكلم أمام جمهور في موضوع يهدها ، وإنما يطلق الملاحظ لفظ الخطابة « على فنون القول التي تستدعيها المواقف الاجتماعية المختلفة عند البدو والحضر ، من استنفار للقتال واجتماع للصالح والزواج والتعزية والتهنئة والمفاخرة والدعوة إلى الله والتعبير عن رأي القبيلة أو المدينة التي يتكلم الخطيب باسمها في شئون السياسة والحكم ، لذلك تشمل : الخطبة والمناظرة والمناظرة والمناظرة والوصايا »^(٢) .

والواقع أنه يمكننا أن نعد حديث الملاحظ عن الخطابة بمثابة التطبيق العملي لأبحاث المعتزلة ومنهم الملاحظ في البيان والبلاغة . ومن هنا اهتم الملاحظ بكل ما يتصل بهذا الفن فتحدث عنه حتى أصبح كتاب البيان والتبيين المصدر الأساسي « لمعرفة تقاليد الخطابة في الجاهلية والقرنين الأول والثاني للإسلاميين »^(٣) .

أما الموضوع الثالث في كتاب البيان والتبيين فنموضوع يظهر نزعة الملاحظ العربية ، عندما سعى إلى الرد على مزاعم الشعوبية مؤكداً ما للعرب من مظاهر البلاغة ، فيقول في كتاب العصي « وكل شيء

(١) البيان والتبيين ص

(٢) د . أحمد فضل : آراء الملاحظ البلاغية وتأثيرها في البلاغيين العرب حتى القرن الخامس الهجري ، الهيئة المصرية العامة لفرع الاسكندرية ١٩٧٩ ج ١ ، ص ٢٨٥ .

(٣) شارل بلا . الملاحظ ص ١٦٨

للعرب، فإنما هو بديهة وإرتجال وكأنه الهام، أوليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجابة فكر ولا استعانة. وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى رجز يوم الخصام، أو حين أن يمتح على رأس بشر أو يحدو يبعير، أو عند المقارعة أو المناقلة، أو عند صراع أو في حرب، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني أرسالاً وتتشال عليه الألفاظ انشالاً^(١).

هذا على مستوى التنظير، أما الناحية التطبيقية فقد كان حظ الكتاب منها كثيراً.

هذا وقد كان لكتاب البيان والتبيين أهمية كبيرة في الحياة الثقافية عند معاصري الجاحظ ومن جاء بعده حتى قال عنه ابن خلدون «سمعت من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبي علي القالي». وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها^(٢).

ولأهمية البيان والتبيين هذه، فقد اعتمدته أغلب المؤلفات التالية مصدراً هاماً وأساسياً. ومن هذه المؤلفات: الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وأدب الكتاب للصولي وكتاب الكتاب لابن درويش والصناعتان لأبي هلال العسكري والعمدة لابن رشيق وسر الفصاحة لابن منان وغيرها.

ولا تغف أهمية الكتاب عند حد اهتمام القدماء، فالواقع إن الباحث الحديث في تاريخ الأدب العربي والبلاغة العربية، بل وفي تاريخ الحضارة

(١) ج ٣، ص ٢٦.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ط. بيروت، ص ٥٥٣.

العربية لا يستطيع بحال من الأحوال أن يتجاهل البيان والبيان للجاحظ .

وقد نشر الكتاب في العصر الحديث أكثر من نشره . نشر أولاً بين سنتي ١٣١١ - ١٣١٣ هـ في مجلدين ، وقام بنشره حسن الفكهماني والشيخ محمد الزهري الغمراوي . ونشر بعد ذلك نشرة في ثلاثة مجلدات عام ١٣٣٢ بإشراف محي الدين الخطيب ثم نشر نشرة ثالثة أخرجها حسن السندوي عام ١٣٤٥ هـ في ثلاثة مجلدات .

وفي عام ١٣٦٧ هـ - (١٩٤٨) ظهرت طبعة جديدة للكتاب بتحقيق عبد السلام هارون ، وتعتبر 'نق النشرات' التي ظهرت للكتاب من حيث ما توافرها من تحقيق علمي ، وبذلك الفهارس العديدة التي زود بها المحقق الكتاب .

من مصادر الدراسة :

- ابن الأثير ، عز الدين (ت ٦٣٠ هـ) .

اللباب في تهذيب الأنساب ، القاهرة ، مكتبة القدس ١٣٥٧ هـ ، ج ١ ، ص ٢٠٢ .

- ابن الأنباري ، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ) :

نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٥٩ ، ص ١٣٢ .

- ابن خلكان ، أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ) :

وفيات الأعيان ، تحقيق د احسان عباس ، بيروت ، دار الثقافة ،
ص ٤٧٠ .

من مراجع الدراسة :

- أحمد الحوفي :

الجاحظ ، المجلس الأعلى للشتون الاسلامية ، القاهرة .

- د . أحمد كمال زكي :

الجاحظ ، سلسلة أعلام العرب ، العدد ٦٢ ، فبراير ١٩٦٧ ، دار
الكاتب العربي ، القاهرة .

- بروكلمان ، كارل :

الجاحظ (تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ج ٣ ،
ص ١٠٦ ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦) .

- حميل جبر :

الجاحظ في حياته وأدبه وفكره ، بيروت ، دار الكتاب العربي
١٩٥٩ .

- جورج غريب :

- الجاحظ ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٧ .

- حسن السندوي :

- أدب الجاحظ ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٩٣١ .

- حنا الفاخوري :

- الجاحظ ، دار المعارف بمصر ١٩٥٣ ، سلسلة نوايغ الفكر العربي .
- خليل مردم :
- الجاحظ ، دمشق ١٩٣٠ .
- داود سلوم :
- التقد المنهجي عند الجاحظ ، بغداد ، مطبعة المعارف ١٩٦٠ .
- عبد الحكيم بلبع :
- أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، مطبعة الرسالة ، القاهرة .
- محمد عبد النعم خفاجي :
- أبو عثمان الجاحظ ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة .
- د . محمد طه الحاجري :
- الجاحظ ، حياته وآثاره ، دار المعارف بمصر ، سلسلة الدراسات الأدبية ، القاهرة ١٩٦٢ .

نصوص من كتاب البيان والتبيين

النص الأول _____ باب البيان

قال بعض جهابذة الألفاظ وتقاد: المعاني القائمة في صدور الناس، المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطيرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدومة.

لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره.

ولما تحيا تلك المعاني في ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها، وهذه الخصال هي التي تقرّبها من الفهم، وتجلبها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهراً والغائب شاهداً والبعيد قريباً. وهي التي تلخص الملتبس وتحل المتعقد وتجعل المهمل مقيداً والمقيد مطلقاً والمجهول معروفاً والوحشي مألفاً والغفل موسوماً، والموسوم معلوماً.

وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل، يكون اظهار المعنى. وكلما كانت الدلالة أوضح وأنصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع.

والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه، ويدعو إليه ويحث عليه. بذلك نطق القرآن، وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف العجم.

والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وفتك الحجاب
دون الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقته ، ويهجم على محموله كائن ما
كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل ، لأن مدار الأمر
والغاية التي إليها يجري القائل والسامع ، إنما هو المهم والإفهام . فبأي
شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع .

ثم أعلم - حفظك الله - أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ ، لأنه
المعاني مبسطة إلى غير غاية ، وممتدة إلى غير نهاية وأسماء المعاني مقصورة
معدودة ومحصلة معدودة .

وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ ، خمسة أشياء
لا تنقص ولا تزيد :

أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد^(١) ثم الخط ثم الحال وتسمى
« نُصْبَةً » والنصبية هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا
تقصر عن تلك الدلالات . ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائدة من
صور صاحبها وحلية مخالفة لحلية اختها ، وهي التي تكشف لك عن
أعيان المعاني من الجملة ، ثم عن حقائقها في التفسير ، وعن أجناسها
وأقذارها ، وعن خاصها وعامتها ، وعن طبقاتها في السار والظاهر ، وعما
يكون منها لغواً بهرجاً^(٢) وساقطاً مطروحاً .

تعلیق :

فالجاحظ هنا يدرك تمام الإدراك أنه لا مكان لتصور أفكار مجردة ، كما
أكدت الفلسفات الحديثة ، لأنه حتى في حالة التفكير الغير منظم فأنتم

(١) قبضة اليد أو نشر الأصابع للدلالة على الحساب المراد

(٢) هرج - رائف

تفكر بلفظة - وعلى هذا فالمعاني المجردة - إذا كان هناك إمكان لتصورها - لا قيمة لها في الواقع وإنما القيمة الحقيقية في الصياغة والتعبير ، فيها لها المعاني على حد قوله . وبها تقاس قيمة هذه المعاني ، وبها يتم - وهذا الأهم - التوصيل بين الأفكار . فالعمل الأدبي عند الجاحظ إذن له قيمة لا يتأتى قياسها إلا من خلال عملية التوصيل التي تتم في عملية الصياغة .

والواضح هنا أن الجاحظ لا يفصل بين الأفكار والصياغة أو بين المضمون والشكل بالمفهوم المعاصر تحيزاً إلى الشكل على حساب المضمون كما ذهب بعض شارحيه فقد جعل حياة المعاني بالصياغة الأمر الذي يشعرون بالحركة والإثراء والحياة في ذلك المزيج الحي من الأفكار والصياغة ، وهذا هو البيان عند الجاحظ ، أي القدرة على منح الحياة للمعاني على نحو يتم من خلاله التوصيل الذي يؤدي إلى قيمة .

النص الثاني _____ في الخطابة والخطباء

يقول الجاحظ نقلاً عن أبي نؤاد بن جرير في ذكر الخطابة ومشطليباتها وصعوبة هذا الفن وما يحتاجه من خبرة وقدرة خاصة .

« تلخيصُ المعاني رَفَقٌ ، والاستعانةُ بالغيرِ غَجَزٌ ، والتشادُّقُ من غيرِ أهلِ البَرَّةِ بُغْضٌ ، والنظرُ في عيونِ الناسِ عِيٌّ ، ومسُّ اللحيةِ مُلْكٌ ، والخروجُ بما بَقيَ عليه أولُ الكلامِ إسهابٌ » .

« رأسُ الخطابةِ الطبعُ ، وعمودُها الدُّرَّةُ ، وجناحُها روايةُ الكلامِ ، وخَلْبُها الإعرابُ ، وبهاؤُها تَحْصِيرُ اللفظِ . والمحبةُ مقروسةٌ بقلَّةِ الاستكراهِ » .

« وفي الخطباءِ من يكونُ شاعراً ، ويكونُ إذا تحدَّثَ أو وصفَ أو احتجَّ بليغاً مُفسِّراً بليغاً ، وربما كان خطيباً فقط ، وشاعراً فقط ، وبين

اللسان فقط . والخطباء كثير ، والشعراء أكثر منهم ، ومن يجمع الخطابة والشعر قليل .

[٦٤ وما بعدها ج ١ ، ط السندوي] .

_____ تعليق : _____

فالجاحظ هنا يفرق بين خطيب يملك القدرة وامكانيات الخطيب ، لكنه أقل علوقاً بالنفس ، وتأثيراً فيها حيث يتعامل مع العقول فحسب ، وبين خطيب شاعر يملك الإقناع والتأثير معاً ، وبين شاعر يملك التأثير ولا يملك الإقناع .

وواضح أن الجاحظ يرى أعلى مرتبة في الخطيب الشاعر ، ذلك الذي يملك بلادة التعبير وقوة الإبانة كما يتصف بحس الشاعر وحساسيته ، وما يمكن أن يضيفه على الموضوع من ذاته وانفعالاته مما يجعله أشد لصوقاً بالأسس وعلوقاً بها .

كذلك تناول الجاحظ في هذه الفقرة بعض ما يجب أن يتوافر للخطيب من خبرة فنية وقدرات خاصة ، واستعداد أولي .

فهو يرى أن أساس الخطابة الطبع وهو ما نعنيه بالمقدرة الخاصة أو الملكة الخاصة والاستعداد الفطري ، ثم يرى أن هذا الطبع في حد ذاته لا يكون خطيباً إذ لا بد من صقل هذه الموهبة وتدريبها وتنميتها وتوجيهها ، وسيل ذلك تمرس الخطيب ، وتزوده بالخبرة الفنية المعينة ، وتعرفه على أسرار صنعة الفنية .

والجاحظ بما لديه من خبرة فنية ، كونت مقدرة على الحكم الفني ، يضع أمام الخطيب بعض الملاحظات التي استقاها من تلك الخبرة . وهي ملاحظات كما نرى ترجع في بعضها إلى أسلوب الخطيب وقدرته وخبرته في فنه وبعضها إلى مظاهر سلوكية خاصة بالخطيب .

« فإن أردت أن تتكلف هذه الصناعة ، وتُسب إلى هذا الأدب ،
فقرضت قصيدة ، أو خُبرت خطبة ، أو ألقت رسالة ، فإياك أن تدعوك
بفتك بنفسك أو يدعوك عجبك بشمرة عقلك إلى أن تتحلل وتُدعيه ،
ولكن اعرضه على العلماء في عرض رسائل أو أشعار أو خطب فإن رأيت
الاسماع تُصفي له ، والعيون تحدجُ إليه ، ورأيت من يطلبه ويستحسنه ،
فانتحلله .

فإن كان ذلك في ابتداء أمرك ، وفي أول تكلفك فلم تر له طالباً ولا
مستحسناً فلعله أن يكون - ما دام زيفاً قضياً أن تحمل عندهم عمل
المثروك ، فإن عاودت أمثال ذلك مراراً ، فوجدت الاسماع عنه منصرفه ،
والقلوب لاهية فخذ في غير هذه الصناعة ، واجعل رائدك الذي لا
يكذبك جرضهم عليه ، أو زهدهم فيه .

[ج ١ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ، ط . السندوب]

تعليق :

استطاع الجاحظ في هذه الفقرة بخبرته الأدبية ، ومقدرته النقدية ،
وحسه الفني أن يصل إلى عدد من القضايا المتعلقة بالفن :

أول هذه القضايا أن الفن خبرة وصناعة لها أسسها وتقاليدها الفنية .

وثاني هذه القضايا أن الفنان بحاجة إلى الإلتئاس بمجموع الخبرات
الفنية .

أما القضية الثالثة فهي احساسه بأن المرجع الأساسي في الفن هو
الاحتكام إلى تلك الأعمال التي تمثل محك الاختبار أمام غيرها من النماذج
الفنية .

ليس هذا بحسب هو ما لاحظته الجاحظ في فقرته تلك ، فقد لاحظ
أيضا مدى خطورة اعتماد الفنان في قياسه لعمله على حكمه الخاص الذي
عالم ما يكون صادراً تحت تأثير من احساسه المتضخم بذاته .

النصر الرابع

فتون من الكلام

« وانا اذكر بعد هذا فنا آخر من كلامه رحمه الله . وهو الكلام الذي قل
عدد حروفه ، وكثرت معانيه ، وجعل عن الصنعة ، ونزعه عن التكلف ،
وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد « وما انا من المتكلمين » فكيف
وقد عاب التشدين ، وجانب اصحاب التعبير ، واستعمل المبسوط في
موضع البسط ، والمقصود في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ،
ورغب عن افجبن السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمه ، ولم يتكلم
الا بكلام قد حُفَّ بالمصمة ، وشُيِّذ بالتأييد ، ويُسر بالتوفيق . هو الكلام
الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ،
وبين حسن الإقحام وقلة عدد الكلام ، ومع استغنائه عن إعادته ، وقلة
حاجة السامع الى معاودته . لم تسقط له كلمة ، ولا زلت له قديم ، ولا
بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب ، بل يُنْذَر الخطب
الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم
ولا يمتنع الا بالصديق ، ولا يطلب القلج (الظفر) الا بالحق ، ولا
يستعين بالجلابة ، ولا يستعمل المواربة ، ولا يمز ولا يُلْمِز ولا يُطَى ولا
يعجل ، ولا يُسهب ولا يُخضر .

ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ، ولا أقصد لفظاً ، ولا اعدل
وزناً ، ولا أجل مذهبا ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقفاً ، ولا أسهل
مخرجاً ، ولا أفصح معنى ولا أبلغ قبحاً ، من كلامه رحمه الله .

[البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ١٧ - ١٨] .

النص الخامس : _____ رأى المأمون في كتب الإمامة

« ولا قرأ المأمون كتب في الإمامة فوجدها على ما أمر به ، وصارت إليه - وقد كان أمر الزبدي بالنظر فيها ليخبره عنها - قال لي :

قد كان بعض من يرتضى عقله ، ويصدق خبره ، خبرنا عن هذه الكتب بإحكام الصفة ، وكثرة الفائدة .

فقلنا له : قد تُربى الصفة على العيان .

فلما رأيتها ، رأيت العيان قد أربى على الصفة .

فلما قلَّبتها أربى القلُّ على العيان كما أربى العيان على الصفة .

وهذا كتاب لا يحتاج إلى حضور صاحبه ، ولا يفتقر إلى المحتجج عنه ، قد جمع استقصاء المعاني ، واستيقاء جميع الحقوق ، مع اللفظ الجزل ، والمخرج السهل . فهو سوقي ملوكي ، وعامي خاصي .

[ج ٣ ، ص ٣٢٩] .

تعليق :

للجاحظ كتب في الإمامة منها : كتاب الإمامة على مذهب الشيعة ، وكتاب إمامة معاوية بن أبي سفيان وكتاب إمامة ولد العباس

وتعليق المأمون على كتب الإمامة للجاحظ هنا كشف عن طبيعة مؤلفات الجاحظ وخصائص أسلوبه في الكتابة .

فهي مؤلفات كثيرة الفائدة لما حاولت أن تقدمه للقارئ من مادة اخبارية ، ومعلومات ثقافية وطرف وسواد ، ثم مدح أدبية مختارة من

الشعر والنثر . فهي مؤلفات إذن تجمع بين الإمتاع والافادة ، بين التسلية والمنادمة وبين التهذيب والتثقيف استيفاء لجميع الحقوق على حد تعبير المأمون .

أما خصائص أسلوبه فقد لاحظ المأمون كما لاحظ الباحثون المحدثون قدرة أسلوب الجاحظ على مخاطبة كل المستويات من خلال أسلوبه السهل المتنع هذا .

الكامل في اللغة والأدب للمبرد

[١٩٠ - ٢٨٤ هـ]

المبرد بكسر الراء المشددة وفتحها ، هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي ولد في عصر المأمون ما بين عامي ١٩٥ هـ و ٢٢٠ هـ . وتوفي في عصر المعتضد . ما بين عامي ٢٨٤ هـ و ٢٨٦ هـ .

والرواة يختلفون في سني مولده ووفاته ، كما يختلفون في نسبه وفي سبب تسميته بالمبرد وهل المبرد بكسر الراء المشددة أم بفتحها ، ويسوقون الأخبار وراء هذه التسمية .

نشأ المبرد بالبصرة ، وفيها أخذ عن شيوخها أبي عثمان بكر بن محمد المازني ت ٢٤٩ هـ وأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني ت ٢٤٨ هـ وأبي عمر صالح بن اسحاق ت الجرمي ٢٢٥ هـ ، كما تتلمذ على يد الجاحظ وروى عنه . ويجمع الذين ترجعوا للمبرد على سوغ المبرد وتفرقه في النحو ومسائل اللغة حتى انه أصبح امام النحويين البصريين بعد وفاة شيخه أبي عثمان المازني .

وعن المبرد أخذ كثير من ذاع صيتهم بعد ذلك ، السحو واللغة ، منهم الزجاج والصولي ونفطويه النحوي وابن السراج والأخفش الأصغر وغيرهم .

والى جانب ثقافة المبرد في الدراسات النحوية واللغوية ، كان مثل استاذة الجاحظ مثقفاً موسوعياً ، فكان ذواقاً للشعر حافظاً للكثير منه كما كان فصيح اللسان بارع البيان .

وللمبرد ما يقرب من خمسين كتاباً تمثل ثقافته المختلفة ، في اللغة والشعر والبلاغة وعلوم القرآن وفي الأدب والأنساب وتراجم الرجال ،

وأغلب هذه المؤلفات لم يصلنا منها سوى اسمائها التي جمعتها كتب التراجع والسير

فمن كتبه المنشورة : كتاب الكامل وكتاب الفاضل وكتاب المفتض وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن الكريم وشرح لامية العرب وكتاب المذكر والمؤنث .

ومن كتبه التي ذكرها ابن التديم ولم تصلنا : احتجاج القرآن - أدب الجليس - أسماء الدواهي عند العرب - الإشتقاق - الإعراب - أعراب القرآن - البلاغة - الخط والهجاء - سرورة الشعر - طبقات النحويين البصريين وأخبارهم - العروض - قواعد الشعر - القوافي

أما كتاب الكامل فهو أشهر كتب المبرد ، وأجلها شأنًا . . والكتاب مجموعة من المختارات الأدبية يهتم من خلالها المبرد بشرح المشكلات اللغوية والنحوية التي تثيرها تلك النصوص .

ولإلى جانب هذا فالكتاب يضم مادة غزيرة في التاريخ واللغة والأدب والنحو .

قدم المبرد لكتابه الكامل بمقدمة قصيرة وضح فيها منهجه الذي رسمه في عرضه لمادة كتابه وكذلك الفرص الذي دفعه إلى هذا التأليف فيقول :

« هذا كتاب ألفناه يجمع ضرورياً من الأداب . ما بين كلام مشور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة . والنية أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق ، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً شافياً حتى يكون الكتاب بنفسه مكثفاً وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنياً .

وهي مقدمة على قصرها توضح اتجاه المؤلف في كتابه كما توضح قيمة المادة الأدبية واللغوية وتنوعها فيه . وإن لم تكشف المقدمة عن أبواب الكتاب تفضيلاً .

ويبدو أن الكتاب كان مجموعة من الدروس التي كان المبرد يلقيها على

تلاميذه ومنهم الأخفش الذي جمع هذه الدروس المملة وقراها على استاذة وأجازها على نحو ما توضح سلسلة الرواية في بداية الكتاب : « حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز ، قال ، حدثنا أبو عثمان سعيد بن جابر قال : حدثنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش قراءة عليه ، قال قرئ لي هذا الكتاب على أبي العباس محمد بن يزيد المبرد » .

وقد أثر طبيعة تأليف هذا الكتاب على ترتيب مادته فكانت فصولاً وأحاديث متفرقة لا تخضع لمنهج محدد بموضوعات معينة .

فقد بدأ الكتاب بأحاديث متفرقة فترى كلمة لأبي بكر في مرضه وعهده بالخلافة لعمر ، ونرى أول خطبة خطبها عمر ثم رسالة عمر في القضاء إلى أبي موسى وكتاب عثمان إلى علي بن أبي طالب حين أحبط به ، ومعاقبة عثمان علي وكلمة علي حين بلغه أن خيلاً لمعاوية وردت الأنبار وقتلوا عامله حسان بن حان . وبعد هذه المختارات تبدأ مادة الكتاب تأخذ شكل الأبواب واسمها .

وبالباب عند المبرد في كامله ليس موضوعاً محدداً في أغلبه ، وإنما مجموعة موضوعات تستدعيها المناسبات . . وذلك باستثناء مواضع قليلة حدد المبرد لأسبوابها عناوين لمادة الباب مثل : الباب الثامن والأربعون « باب من أخبار الخوارج » - الباب الخمسون « هذا باب النسب إلى المضاف - الباب الواحد والخمسون « باب في اختصار الخطب والتحميد والمواظ » - ثم الباب الثالث والخمسون « باب ذكر الأذواء من اليمن في الاسلام » .

وقد تناول المبرد في كتابه الكامل العديد من المباحث المتصلة بالأدب واللغة . فمن الموضوعات التي تناولها في مباحثه اللغوية والنحوية : لغات العرب - علم الأصوات - الإشتقاق - اللغة العامية - صورة الجميع - القياس - والقراءات .

ومن الباحث الأدبية الى جانب النصوص الأدبية الكثيرة التي اختارها المبرد ، نجد أن بالكتاب بعض الباحث حول نقد النص الشعري نحويًا وبعض الترجمات الشعرية خاصة للشعراء المعاصرين له وأحاديث حول المثور والمنظوم والسرقات الأدبية .

ومن الباحث البلاغية نجد موضوعات كثيرة في علوم البلاغة العربية من معاني وبيان وبديع تناولت مباحث كثيرة منها القلب البلاغي - القصر - الفصل والوصل - التشبيه - الكناية - المشاكلة والتقسيم .

وتناولت الباحث التاريخية والسياسية والاجتماعية في كامل المبرد موضوعات كثيرة تدور أغلبها حول الخوارج وأخبارهم وأديبهم وحروبهم ، كما تناول موضوعات حول العلويين والشيعة وحول الحركات الشعبية وموضوعات حول أيام العرب وعاداتهم وإحيائهم وأمثالهم ، وموضوعات حول أدواء اليمن .

وطريقة المبرد في عرضه لمادته العلمية هي أنه كما يقول « يذكر الشيء من وجوه ونوادره » فهو يحاول أن يحيط بالموضوع الذي يعرضه وغالباً ما يكون نصاً أدبياً من وجوهه المتعددة فيشرحه شرحاً لغوياً أدبياً ويفسره ويذكر جوانب عديدة من أشياء تتصل بالنص أو الموضوع ، وكأنه بهذا يسعى إلى الكشف عن غوامض الموضوع المعروضة للبحث من جوانبه المتعددة تيسيراً للدارس وتمكيناً له في ذهنه .

كذلك نلاحظ في تناول المبرد لموضوعاته حرصه على عقد المقارنات وعلى استخلاص النتائج في نهاية الدرس . ولا شك أن للمدرسة البصرية العقلية أثراً في هذا الوجهة .

وإذا كان هذا المنهج منهجاً صالحاً للدرس إلا أنه لا يصلح للتأليف

كثيراً لسيطرة الاستطراد والتكرار والاحالة على أبواب الكتاب مما أفقد الموضوعات في الأغلب الأعم عنصر الترابط والوحدة

وربما كان هذا المنهج مناسباً لكل هذه التأليفات الموسوعية آنذاك والتي كانت تنظر إلى الأدب على أنه مجموع الثقافة العربية وهي ثقافة لم تكن قد عرفت التخصص بعد .

وقد أشار المبرد إلى هذه الخاصية في موضع من كتابه بقوله : نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئاً لتكون فيه استراحة للقارىء وانتقال بنفي الملل لحسن موقع الإستطراف ، ويخلط ما فيه من الجدة بشيء يسير من المألوف ليستريح إليه القلب وتسكن إليه النفس .

ويتفق الباحثون على أن كتاب « الكامل » الذي أماننا لم يؤلفه المبرد وحده ، وإنما شاركه فيه تلميذه الأخفش الذي روى عنه الكتاب ، فكثيراً ما نطالع في الكتاب تعقيبات وشرح مصدره بعبارة قال أبو الحسن (وهو أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش ت ٣١٥) . أما ما أملاه المبرد فنراه مصدراً بعبارة « قال أبو العباس » .

وكتاب الكامل من أهم الكتب التي تمثل امتزاج الحضارات وانعكاسها في الثقافة العربية ففيه مادة ثقافية وفيرة من أدب ولغة ونحو وصرف وبلاغة وتاريخ واجتماع وسياسة وتفسير وسياسة .

ومن ناحية أخرى فالكتاب يعكس تكوين واتجاه المدونة البصرية في تحريرها وانطلاقتها وتحريرها الدقة وفقاً للمقاييس العقلية . وقد تمثل هذا بوضوح في دقة المبرد في تحقيقه لمروياته . فنرى أمثال قوله « وحدثني العباس به الفرج الرياشي في اسناد قد ذهب مني أكثره » أو قوله معقبا على عبارة وردت في خطبة الإمام علي وهي « سيما الخسف » بقوله « هكذا حدثونا ، وأظنه سيم الخسف من قول الله عز وجل يسومونكم سوء العذاب . أما معنى

قوله : سيما الخف فتأويله علامة ، هذا أصل ذا . قال الله عز وجل :
سيماهم في وجوههم من أثر السجود » [ج ٧ ، ص ٩١] .

ولقيمة الكامل العلمية والأدبية رآه ابن خلدون واحداً من أركان
الأدب الأربعة التي لا معدى عنها لدارس أو أديب ، أما الثلاثة الأخرى
فهي أدب الكاتب لابن قتيبة والبيان والتبيين للجاحظ والنوادر لأبي علي
الغالي .

وقد اعتمد عليه كثير من المؤلفين العرب القدماء في مؤلفاتهم وخاصة
الأمدي في موازنته والعسكري في صناعته والقاضي الجرجاني في وساطته
وغيرهم . كما اهتم القدماء كذلك بشرحه . ومن شراحه : ابن السيد
البطلوس ت ٤١٤ هـ - وهشام بن أحمد الوقشي ت ٤٨٩ هـ ومحمد بن
يوسف السرقطي ت ٥٣٨ هـ كما اهتم المحدثون بشرحه ونشره .

فشرحه الشيخ سيد بن علي المرصفي في ثمانية أجزاء وأسماء ورغبة
الامل من كتاب الكامل ، وطبع هذا الكتاب بمصر ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧)
م .

كما قام الأستاذ السباعي بيومي بتهذيبه في جزئين الأول للمشور والثاني
للمنظوم وطبعه عام ١٩٢٣ م .

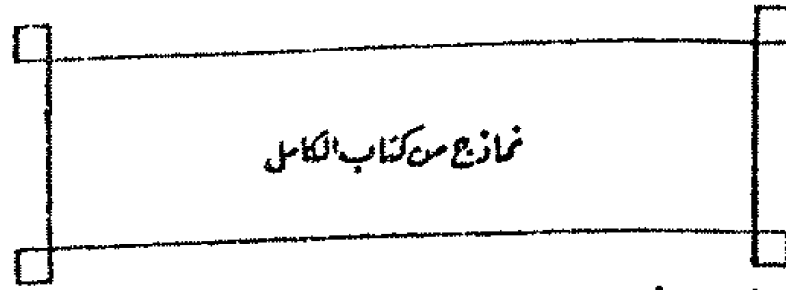
أما عن نشر الكتاب في العصر الحديث ، فقد نشر عدة نشرات كانت
أولها في ألمانيا في ليسك عام ١٨٦٤ في طبعة أعدها المستشرق الألماني ولبيم
رايت مع مقدمة وفهارس . وطبع بالاستانة عام ١٢٨٦ هـ ثم طبع بالمطبعة
العامة بالقاهرة عام ١٢٨٦ هـ .

وتوالى الطبعات بعد ذلك فطبع بالمطبعة الخيرية بالقاهرة عام ١٣٠٨
هـ وأعيد طبعه في ليسك ١٨٨١ ميلادية وكذلك في عام ١٨٩٢ . ثم

طبع مطبعة التقدم بالقاهرة عام ١٣٢٣ هـ ، ومطبعة الحلبي بمصر ١٣٥٥ هـ
بتحقيق الدكتور زكي مبارك وأحمد محمد شاكر
وتوالت طبعاته بعد ذلك حتى قام محمد أبو الفضل والسيد شحاته
بإعادة طبعه في أربعة أجزاء محققة ومزينة بالتعليقات الفهارس .

مصادر ومراجع :

- عبد الخالق عضيمة : المبرد ، حياته وآثاره
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٨٥ .
- أحمد القرني : المبرد حياته وآثاره
- سلسلة أعلام العرب - الهيئة المصرية - عدد ٩٤
- أبو الحسن عبد الله الخطيب :
المبرد ودراسة كتابه الكامل .
- ابن الأنباري ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد :
نزهة الألباء في طبقات الأدباء
- ابن النديم ، محمد بن إسحاق :
الفهرست
- أبو الطيب ، عبد الواحد بن علي : مراتب النحويين .



النص الأول

نيل من أقوال الحكماء
قال أبو العباس : قال بعض الحكماء : مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ صَغِيرًا ، سَرَّ بِهِ كَبِيرًا .

وقال يقال : مَنْ أَدَّبَ وَلَدَهُ أَرْغَمَ حَابِدُهُ .

وقال رجل لعبد الملك بن مروان : إني أريد أن أُبْرِئَ إليك شيئاً ، فقال عبد الملك لأصحابه : إذا شتم ، فَتَهَضُّرُوا ، فأراد الرجل الكلام ، فقال له عبد الملك قِفْ ، لا تمدحني ، فإنا أعلمُ بنفسِي منك ، ولا تكذِّبني ، فإنه لا رأيَ لكذوب ، ولا تَغْتَبِ عِنْدِي أحداً . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، أفتأذن لي في الانصراف ؟ قال له : إذا شئت .

وقال بعض الحكماء : ثلاثٌ لا غُرْبَةَ معهنَّ : مجانبةُ الرِّيبِ ، وحسنُ الأدبِ ، وكفُّ الأذى .

وقال عمرو بن العاص لذهقانِ تهريزي : بِمَ يَنْتَلِ الرجلُ عندكم ؟ فقال : بتركِ الكذبِ ، فإنه لا يَشْرَفُ إلا مَنْ يُوَثِّقُ بقوله ، ويقاييه بأمر أهله ، فإنه لا يَنْتَلِ مَنْ يحتاجُ أهله إلى غيره ، ومجانبةُ الرِّيبِ ، فإنه لا يَمُزُّ مَنْ لا يُؤْمَنُ إلا بِصديقٍ على سوءة ، وبالقِيامِ بحاجاتِ الناسِ ، فإنه مَنْ رُجِيَ الفرجُ لَدَيْهِ كَثُرَتْ غاشيَتُهُ .

وقال بُرزجهمر : مَنْ كَثُرَ أَدْبُهُ كَثُرَ شَرَفُهُ ، وإن كان قَبْلُ وَضِعًا ، وَيَمُدُّ صِيَتَهُ وإن كان خَامِلًا ، وسادَ وإن كان غريبًا ، وكثرت الحاجةُ إليه

وإن كان مُقْتَرَأً وكان يقال : عَلَيْكُمْ بِالْأَدَبِ ، فإنه صاحبُ في الشُّفَرِ ،
وَمُؤْنِسٌ في الوحدة ، وَتَجَمَّلَ في المحفِل ، وَنَسَبَ إلى طَلَبِ الحاجة .

وقال بعض الملوك لبعض وُزَرَائِهِ - وأراد بِمَحْتَتُهُ - ما خَيْرٌ ما يُرَزَّقُ
العَبْدُ ؟ قال : عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ ، قال فإنْ عَدِمَهُ ؟ قال : فَادَبٌ يَتَحَلَّى بِهِ .
قال : فإنْ عَدِمَهُ ؟ قال : فَمَالٌ يَسْتَرِهِ . قال : فإنْ عَدِمَهُ ؟ قال :
فَصَاعِقَةٌ تَحْرِقُهُ فتريح منه العباد والبلاد .

[ص ٧٤ - الكامل - ج ١ - دار نهضة مصر] .

النص الثاني

قال أعرابي - خَبِرْتُ أَنَّهُ مِنْ بَنِي سَعْدٍ - وقد تمثل بهذا الشُّعْرُ الْجَنُونُ ،
وهو تَوْتَةُ بْنُ مَضْرُسٍ ، أحد بني مالك بن سعد بن زيد مَنَاءَ بْنِ عِمِيمٍ ، في
خلاف الدِّمَامَةِ :

وَلَمَّا التَّقَى الصُّفَّانِ وَاخْتَلَفَ الْقَتَا نَهَالًا ، وَأَسْنَابُ الْمَنَابِ نَهَالَهَا
تَسْبِينٌ لِي أَنَّ الْقِيَامَةَ ذِلَّةٌ وَأَنَّ أَشِدَّاءَ الرُّجَالِ طِبَالَهَا
دَعَوْا : يَا لَسَعْدٍ وَاتَّعَمِينَا لِبَطَىءِ أَسْوَدُ الشَّرِيِّ إِفْدَائُهَا وَنَزَالَهَا

قوله : نهالا يريد أنها قد وَرَدَتِ الدَّمُ مرة ولم تُثَنِّ ، وذلك أن الناهل
الذي يَشْرَبُ أول شُرْبَةٍ ، فإذا شَرِبَ ثَانِيَةً فهو عال ، يقال : سَقَاءُ عَلَاً
بعد نَهْلٍ . وَعَلَاً بَعْدَ نَهْلٍ ، وفي المثل « سُمْتُه سَوْمٌ عَالٍ » إذا عَرَضَتْ
عليه غَرَضٌ يستحي من أن يُقْبَلَ معه ، والعائلة لا حاجة بها إلى الشُّرْبِ ،
وإنما يُعَرِّضُ عليها تَعْزِيزاً . قال : وَأَسْنَابُ الْمَنَابِ نَهَالَهَا ، أي أول ما يقع
منها يكون سبباً لما بعده .

وأنشدني غير واحد :

وَأَنَّ أَشِدَّاءَ الرُّجَالِ طِبَالُهَا

وليس هذا بالجيد ، وإنما قَبِلْتُ الوارياءَ لوفورعها بين كسرة وألف

كقولهم : ثَبَاتٌ وَجِيَانٌ ، وَبَيَاطٌ ، وَالوَاحِدُ تَوْبٌ ، وَخَرَضٌ ، وَنَسُوطٌ .
وهذا جيد ، لكون الواو في الواحد ، فأما في مثل طوال ، فإنما يجوز على
التشبيه بهذا ، وليس بجيد لتحرك الواو في الواحد .

وأنشدني مسعود ابن بشر المازني :

لَمْ أُوجِهْ بِيَهْنٍ جَسَانٍ وَأَفْرَحْ طِيَالٍ وَمِنْ بَيْسِ الْمُلُوكِ بِخَارٍ
وبجاز هذا في النحو على ما وصفت لك .

والعرب تمدح بالطول ، وتضع من القصر ، فلا يذكروه منهم الا تحتج
عن نفسه ، ولا يمدح به غيره .

[ص ٩٩ - الكامل - ج ١ ، دار نهضة مصر] .

النص الثالث

الفتوى فيمن أصاب صيداً وهو مُحَرَّمٌ

وجاء في الحديث أن رجلاً أعرابياً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقال : إِنِّي أَصَبْتُ ظَبِيًّا وَأَنَا مُحَرَّمٌ . فالتفت عمر إلى عبد الرحمن بن
عوف ، فقال : قل . فقال عبد الرحمن ، يَهْدِي شَاةٌ ، فقال عمر : أَفِيدِ
شَاةً ، فقال الأعرابي : والله ما قرى أمير المؤمنين ما فيها حتى استغنى
غَيْرُهُ ، فَخَفَقَهُ عُمَرُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالسُّدْرَةِ ، وَقَالَ : أُتَقْتَلُ فِي الْحَرَمِ
وَتَغِيصُ الْفَتْيَا ! إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ، فَأَنَا
عمر بن الخطاب ، وهذا عبد الرحمن بن عوف .

وفي هذا الحديث ضروب من الفقه ، منها ما ذكروا أن عبد الرحمن
بن عوف قال أولاً ، ليكون قول الإمام حُكْمًا قَاطِعًا . ومنها أنه رأى أن
الشاة مثل الظبية ، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ : « فَجَزَاءُ بِشَلِّ مَا قَتَلَ مِنَ
النَّعَمِ » ، وأنه لم يسأله : أخطأ قتلته أم عمدًا ؟ وجعل الأمرين واحداً .

ومنها انه لم يسأله : أتلت صيداً قبله وأنت تُحرم ؟ لأن قوماً يقولون : إذا
أصاب ثائبة لم يُحكم عليه ، ولكننا نقول له اذهب فأتني الله ، لقول الله
تبارك وتعالى « ومن عاد فينتقم الله منه »

[ص ٩ - الكامل باب الخوارج منشورات دار الحكمة - دمشق] .

النص الرابع

وكان واصل بن عطاء أحد الاعاجيب ، وذلك انه كان ألغ قبيح
اللغة في الرأ ، فكان يُخلص كلامه من الرأ ، ولا يُقطن بذلك لاقداره
وسهولة الفاظه .

ففي ذلك بقول شاعر من المعتزلة ، يمدحه بإطائه الخطب واجتنابه
الرأ ، على كثرة ترديدها في الكلام ، حتى كأنها ليست فيه :
عليهم بإبدال الحروف وقابض لكل خطيب يغلب الحق بإطله
وقال آخر :

ويجعل البر قمحاً في تصرفه وخالف الرأ حتى احتال للشعر
ولم يطق « مطراً » والقول يتعجله فعاد بالغيب إشفاقاً من المطر
ومما حكى عنه قوله . . وذكر بشاراً ، أما لهذا الأعمى المكتني بابي
معاذ من يقتله ! أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت إليه
من يبعج بطنه على مضجعه ثم لا يكون إلا سدوساً أو عقيلياً .

فقال : هذا الأعمى ولم يقل بشاراً ولا ابن بريد ولا الضريس ، وقال :
من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرة أو المنصورية ، وقال : لبعثت إليه ، ولم
يقول لأرسلت إليه ، وقال : على مضجعه ، ولم يقل على فراشه ولا مرقده ،
وقال يتبع ولم يقل : يتقر ، وذكر بني عقيل لأن بشاراً كان يتوالى إليهم ،
وذكر بني سدوس لأنه كان نازلاً فيهم .

واجتناب الحروف شديداً .

[ص ٣٤ - الكامل - باب الخوارج - منشورات دار الحكمة - دمشق - ط . ثانية] .

النص الخامس

ولاية قطري بن الفجاءة على الخوارج ومبايعتهم له

قال أبو العباس : ثم إن الخوارج أداروا أمرهم بينهم ، فأرادوا تولية عبيدة ابن هلال ، فقال : أدلكم على من هو خير لكم مني ، من يطاعني في قبل ، ونحمي في دبر ، عليكم قطري بن الفجاءة المازلي . فبايعوه ، فوقف بهم فقالوا : يا أمير المؤمنين ، امضي بنا إلى فارس فقال : إن بفارس عمر ابن عبيد الله بن معمر ، ولكن نصير إلى الأهواز ، فإن خرج مضغب بن الزبير من البصرة دخلناها . فأتوا الأهواز ، ثم ترفعوا عنها إلى إندج (بلد بين خوزستان وأصبهان) . وكان المضغب قد عزم على الخروج إلى باجميرا (بلد دون تكريت) فقال لأصحابه : إن قطرياً قد أطل علينا ، وإن خرجنا عن البصرة دخلها فبعث إلى المهلب فقال : اتقنا هذا العدو ، فخرج إليهم المهلب ، فلما أحس به قطري ، بم نحو كرمان ، فاقام المهلب بالأهواز ، ثم كثر قطري عليه وقد استمد ، فكان الخوارج في جميع حالاتهم أحسن عدة من يقاتلهم ، بكثرة السلاح ، وكثرة الدواب ، وخصائمه - الجنين - فحاربهم المهلب ، ففاهم إلى رام هرمز .

[ص ١٦٤ - الكامل - الخوارج - منشورات دار الحكمة - دمشق - ط . ثانية ١٩٧٢] .

العقد الفريد لابن عبد ربه

[٢٤٦ - ٣٢٨ هـ]

ابن عبد ربه ، هو أبو عمرو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم القرطبي ، من مواليد قرطبة [٢٤٦ هـ - ٣٢٨ هـ] وكان جده الثالث حدير مولي لأمير الأندلس هشام بن الداخل (١٧٢ - ١٨٠ هـ) ، وقد عاش ابن عبد ربه في قرطبة طوال حياته ، وكان مرتبطاً بالولاء لبيت الإمارة فيها كما كانت أسرته . وكانت قرطبة مزدهرة في ذلك العصر بعلمها وفقهها وأدبها ، ساعد على هذا الازدهار تلك المنافسة التي كانت محورها السياسة بين المروانيين وخصومهم العباسيين والفاطميين .

وقد استطاع ابن عبد ربه أن يحسن الألفاظ بالثقافتين ، الدينية والأدبية وهما الثقافتان الغالبتان في أندلسه يومئذ . وفي قرطبة تتلمذ ابن عبد ربه ونقل عن أربعة من أعلام الثقافة في عهده هم : عثمان بن النثي (١٧٩ - ٢٧٣ هـ) وبقي بن مخلد (٢٠١ - ٢٧٦ هـ) وعمد بن الحارث الحنفي (٢١٨ - ٢٨٦ هـ) ومحمد بن وضاح [١٩٩ - ٢٨٦ هـ] .

وفي بلاط الإمارة عاش ابن عبد ربه شاعراً ونديماً ومولي خاصاً بأسرته الذين هم . . . سدر نعمته وجاهه ، فكان مثلاً قوياً للنهضة في هذه الإمارة بحاسنها ومعانيها . كان فقيهاً دارساً كما يصفه المترجمون مثل ابن خلكان في وفياته وغيره من كتاب الإعلام ، كما كان صاحب لحو يطرب ويشرب ويعشق .

وقد ساعدته ثقافته المتسعة هذه وحسه وتذوقه للغناء والشعر إلى أن يكون أمثل نديم في بلاط الأمراء ، وهكذا كان ابن عبد ربه نديماً باخلاقه ومزاجه نديماً بأصله وبيته ، نديماً بثقافته وعلمه .

وقد ترك ابن عبد ربه ديوان شعر في نيف وعشرين جزءاً ، ولكنه ضاع ، ولم يبق من شعره الا ما ذكره في عقده وهو شعر يظن عليه التكلف وبراعة العرض والتعيق .

اما نثره التأليفي فمجيد سليم من مصائب الزخرف الذي ساد شعره ولم يصلنا من تأليفه الثري سوى كتاب العقد الفريد ، وإن كان صاحب كشف الظنون « حاجي خليفة » يذكر له مؤلفاً آخر اسمه « اللباب في مصرفة العلم والآداب » ، وإن كان المرجح أن هذا الكتاب إن هو الا الفصل المعنون في العقد بعنوان « الياقوتة في العلم والآداب » .

وكتاب العقد الفريد له أهميته في كتب المصادر الأدبية العربية ، حيث يمثل في حياتنا الثقافية والأدبية المرتبة التي تلي كتاب الأغاني ، فهو أشبه ما يكون بدائرة معارف صغيرة تزخر بمتطلبات الأديب في عصر ابن عبد ربه ، الذي يحرص على الإلمام من كل شيء بطرف .

هذا وقد تحدث الباحثون المحدثون بعد بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي عن كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ، ورأوا معه أن اسمه الحقيقي هو العقد ، وأن الفريد صفة لحقت بالكتاب بعد ذلك ، خاصة وأن المصدر الوحيد الذي أورده منقوفاً بهذه الصفة هو « المستطرف من كل فن مستظرف » للابشيبي . وإن كنا لا نستبعد أن يسمى ابن عبد ربه عقده بالفريد فالمؤلفون درجوا آنذاك على مثل هذه التسميات ، فهناك بتيمة الدهر للعالبي (ت ٤٢٩) وزينة الدهر للوراق (ت ٥٦٨ هـ) وخريدة القصر للأصفهاني (ت ٥٩٧) وغيرها كثير من الكتب التي تجري مجراها في المبالغة والتألق .

هذا وقد نقل عن العقد وأفاد منه كثيرون ممن جاءوا بعده كالابشيبي في كتابه « المستظرف في كل فن مستظرف » ، وابن خلدون في تاريخه ، والقلقشندي في كتابه « صبح الأعشي » والبغدادلي في كتابه « خزانة الأدب » وغيرهم .

كما اختصر العقد قديماً أكثر من اختصار ، اختصره أبو اسحاق
إبراهيم بن عبد الرحمن الوادي أشى القبي (٥٧٠ هـ) . والثاني ابن
منظور صاحب لسان العرب (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم
الأنصاري الحزرجي (٧١١ هـ) .

وفي العصر الحديث اختصرته لجنة من اساتذة دار العلوم عام ١٩١٣
وسمته « مختار العقد » . أما عن طبعات العقد ، فقد طبع عدة طبعات :
طبع في مطبعة بولاق للمرة الأولى ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) وفي المطبعة
العثمانية عام ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) وفي المطبعة الشرقية عام ١٣٠٥ هـ
(١٨٨٧ م) ، وعام ١٣١٦ هـ (١٨٩٨) ، وفي المطبعة الأزهرية عام
١٣٢١ هـ (١٩٠٣ م) وفي المطبعة الجمالية ١٣٣١ هـ (١٩١٢) ،
ونشره مصطفى محمد عام ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) ، ثم طبعته المكتبة
التجارية لمصطفى محمد مرة ثانية بتحقيق محمد سعيد العريان عام ١٣٦٢
هـ (١٩٤٣ م) وجاء في ثمانية أجزاء .

ولكن يؤخذ على هذه الطبعات جميعاً كثرة الأخطاء والميوب ، إلى أن
قامت لجنة التأليف والعرجة والنشر بطبعة علمية دقيقة بتحقيق
الاساتذة أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري عام ١٣٥٩ هـ
(١٩٤٠ م) .

هذا وقد تم حديثاً اكتشاف عدد من مخطوطات العقد في مكتبات
المغرب لم تكن معروفة من قبل ، الأمر الذي يجعل من المفيد إعادة تحقيق
الكتاب في ضوء ما تتضمنه هذه المخطوطات من جديد .

وكتاب العقد الفريد في معظمه مختارات قام فيها ابن عبد ربه
بالاختيار والتصنيف والتعليق أحياناً . وقد أكد المؤلف هذا في مقدمة كتابه
حينما قال إنه قد اختار مادة هذا الكتاب من خير ما في الأدب ومن جوامع
الكلم ، وأن دوره قد انحصر في « تأليف الأخبار ، وفضل الاختيار ،

وحسن الإختصار ، وفرش في صدر كل كتاب ، وما سواه فماخوذ من أفواه العلماء ومأثور عن الحكماء والأدباء ، وأنه « نخل نظائر الكلام وأشكال المعاني وجواهر الحكم وضروب الأدب ونوادر الأمثال ثم قرن كل جنس منها الى جنسه فجعله باباً على حدة » كما « نخب من جملة الأخبار وفنون الآثار ، أشرفها جوهرأ وأظهرها رونقأ ، وألطفها معنى وأجزلها لفظأ وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة » .

ولذلك تعددت مصادر هذا الكتاب وتنوعت خاصة وأن معظم مختاراته من التراث الأدبي للمشاركة ، وإن كان ابن عبد ربه لا يشير الى هذه المصادر بل اكتفى بقوله أن جواهره قد أخذت « من أفواه العلماء ومأثور الحكماء والأدباء » ، الى جانب حذفه للأسانيد طلباً للاستخفاف والايجاز وهرباً من التثقل والتطويل ، كما ذكر في مقدمته ، كما انه قام بتوزيع مختاراته في أماكن متفرقة متصرفاً أحياناً في متونها ، الأمر الذي يصعب على الباحث ردها الى مصادرها الأساسية .

وبرغم هذا نستطيع أن نتبين في العقد العديد من المصادر أهمها لابن قتيبة كتب : عيون الأخبار ، وكتاب الأشربة ، وفضل العرب على العجم والشعر والشعراء . كما نرى تأثير مؤلفات الجاحظ خاصة المحاسن والأضداد والبيان والتبيين والبخل والخيل والحيل وفصل قحطان على عدنان ، كذلك نرى تأثير كتابي المبرد « الكامل » و « الروضة » وكتاب الطبري تاريخ الأمم والملوك .

أيضاً نستطيع أن نتعرف - ضمن مصادر ابن عبد ربه على كتاب « العروض » للخليل وكتاب المنثور والمنظوم لأحمد بن طيفور ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي و « الكتاب » لسيبويه ومؤلفات ابن المقفع ، وغيرها كثير خاصة من الكتب التي ترجمت الى العربية والتي اشتملت على مواد تاريخية للروم والعجم .

فالكاتب بهذا متعدد المصادر متنوعها ، ومن هنا كان الكتاب أغنى مؤرخاً لثقافة وحضارة المجتمع العربي نشأة وتطوراً خلال هذه الفترة التي تمتد حوالي أربعة قرون ، حتى إننا نجد في العقد نصوصاً لا نجدها في غيره من الكتب التي بين أيدينا لضياح الأصول التي نقلت عنها هذه النصوص أو لحفاؤها عنا .

وقد سمي ابن عبد ربه كتابه «العقد» وهي تسمية تنطبق على منهجه في تأليف كتابه . فقد قسم كتابه الى خمسة وعشرين فصلاً في خمسة وعشرين فنا ، وتصور موضوعاته الخمسة والعشرين متراسة في شكل عقد يحتوي على خمس وعشرين جوهرة ، اثنا عشرة في جانب ، واثنا عشرة في الجانب الآخر ، جاعلاً للعقد واسطة وهي «كتاب الواسطة في الخطب» ورتب الجواهر في كل جانب على هذا النحو : لؤلؤة - فريدة - زبرجدة - جمانة - مرجانة - ياقوتة - جوهرة - زمردة - درة - يتيمة - عسجدة - مجنبة .

وشملت هذه الكتب (الفصول) نظام الحكم ، والحروب ومدار أمرها والأجواد والأصفاد ، والوفود ومخاطبة الملوك ، والعلم والأدب ، والأشال ، والمواعظ والزهد ، والتعازي والمراثي ، والنسب وفضائل العرب ، وكلام الأعراب ، والأجوبة ، والهدايا والفكاهات والملح ، والطعام والشراب ، وطبائع الإنسان وسائر الحيوان ، وتفاضل البلدان ، والمتبئين والبغلاء والطفيليين ، والنساء وصفاتهن - وعذم الإحسان واختلاف الناس فيه - وأعاريض الشعر وعلل القوافي - وفضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه - وأيام العرب ووقائعهم - وأخبار زياد والحجاج والطلالين والبرامكة - والخلفاء وتواريخهم وأيامهم - والترقيعات وأخبار الكتب والخطب .

فالكاتب بهذا يشتمل على خمسة وعشرين فصلاً كل منها في موضوع خاص وذلك بخلاف المقدمة التي حدد فيه ابن عبد ربه موضوع كتابه ومنهجه فيه كما رسم فيها خطة بحثه على نحو يشي بوضوح المنهج

والموضوع لديه ، وقدرته على الإحاطة والتصور ، حتى إننا نستطيع القول أن منهج ابن عبد ربه في كتابه هذا يعد من أفضل المناهج في التأليف الأدبي حتى عصره . . . ويكفي أن نقرأ مقدمة المؤلف لنرى إلى أي حد نجح في عرض مؤلفه ومناقشة قضاياها مع وضوح في المنهج المستوعب لمادة كتابه المتنوعة في اتساعها . فبعد أن حمد الله وصلّى على نبيه ، بدأ بتصوير الموقف العام الذي دفعه إلى هذا العمل توضيحاً لأهميته من ناحية وضرورة الحاجة إليه من ناحية أخرى ، فأشار إلى أنه قد لاحظ أن أهل كل طبقة ، وجهابذة كل أمة قد تكلموا في الأدب . . . وأن كل متكلم منهم قد استفرغ غايته في اختصار بديع معاني المتقدمين ، وأكثروا في ذلك حتى احتاج المختصر منها إلى اختصار ، والتخير إلى اختيار .

لقد أدرك ابن عبد ربه بحسه النقدي خطورة كثرة المؤلفات الأدبية من حشد وشرح وتلخيص ، وما يمكن أن يؤديه هذا من بلبلة أشبه بتلك البلبلة التي أحدثتها كثرة المؤلفات النقدية في العصر الحديث حتى أدت إلى أزمة في المصطلح النقدي كما أشار ريتشاردز في كتابه مبادئ النقد الأدبي . ومن هنا أدرك ابن عبد ربه الحاجة الماسة إلى مؤلف يكون محك الاختبار بالنسبة للمؤلفات الأخرى . ويستطرد ابن عبد ربه موضحاً منهجه على نحو تذوق فيه على سائر مؤلفي عصره ، فيقول : « ألفت هذا الكتاب ، وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ومختصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب ، وإنما لي فيه تأليف الأخبار وفضل الاختيار وحسن الإختصار وفرش (تمهيد) في صدر كل كتاب ، وما سواء فمأخوذ من أفواه العلماء ومأثور عن الحكماء والأدباء . . . واختيار الكلام أصعب من تأليفه ، وقد قالوا : وافد الرجل عقله . . . فتطلبت نظائر الكلام . ثم قرنت كل جنس منها إلى جنسه فجعلته باباً على حديثه ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ، ونظيره في كل باب » .

ثم يشير المؤلف إلى أنه في اختياره هذا ، إنما يجري على وصايا القرآن الكريم وبعض العلماء ، باختيار الأحسن من الأقوال ، وإنه مع ذلك عرضة للذلل لأن الكمال لله وحده ، ومن ألف فقد استهدف للخصوصية إلا عند من يعد لون وقليل ما هم .

وتحدث ابن عبد ربه عن موقفه من قضية الاسناد التي لم ير أهمية لإثباتها فقال « وحذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلباً للإستخفاف والابحار ، وهرباً من التثقل والتطويل ، لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادر لا ينفعها الاسناد باتصاله ، ولا يضرها ما حذف منها »

وختم بيان منهجه من التأليف وخطته في رسم كتابه فقال « وقد نظرت في الكتب الموضوعة فوجدتها غير متفرقة في فنون الأخبار ، ولا جامعة لجمل الآثار ، فجعلت هذا الكتاب كافياً شافياً جامعاً لأكثر المعاني التي تجري على أفواه العامة والخاصة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة ، وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تحانس الأخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها ، وقرنت بها غرائب من شعري ، ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لغربنا على قاصيته وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمثور .

وفي ختام هذه المقدمة الموقفة سرد ابن عبد ربه أسماء كتب العقد وأوضح أن موضوع كل كتاب من اسمه ، فكان سردها عن هذا النحو بمثابة فهرس .

ومع أن ابن عبد ربه نص على أن كتابه مختارات لا فضل له فيها إلا فضل الاختيار وحسن الاختصار وفرش صدر كل كتاب إلا أن العقد ليس مختارات فحسب ، وإنما يضم إلى جانب هذا قدر لا بأس به من شعر ابن عبد ربه نفسه إلى جانب بعض الفصول من تأليفه كالكتاب التاسع عشر وهو كتاب الجوهرة الثانية في أعاريض الشعر وعلل القوافي ، وكذلك معظم الأبواب الأخبارية الخاصة بالأندلس ككتاب المسجدة الثانية في الخلفاء

ونواريحهم ، وكذلك احكامه النقدية الكثيرة المنتشرة هنا وهناك ، كنقده لابن قتيبة في رأيه في الشعرية ، ونقده للمبرد في بعض مختاراته الشعرية .

وبهذا كله استحق كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه أن يكون مصدراً هاماً من مصادر التراث العربي بما تميز من وفرة في المادة ومن تنوع في الموضوعات .

مصادر ومراجع : _____

- ١ - ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس .
- ٢ - الثعالبي : يتيمة الدهر .
- ٣ - جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية .
- ٤ - الطاهر أحمد مكي : العقد الفريد لابن عبد ربه (مقال - مجلة الهلال - ديسمبر ١٩٧٥) .
- ٥ - محمد خليفة التونسي : العقد الفريد لابن عبد ربه (دراسة - مجلة تراث الإنسانية - المجلد الثاني - العدد ١) .

نماذج من كتاب النقد الفريد

النص الأول

ملاحظات نقدية .

قال المبرد مخاطباً الأديب :

« واعلم أنه لا يصلح لك شيء من المشور والمنظوم إلا أن يجري منه على عرف ، وأن يتمسك منه بسبب .

فأما إن كان غير مناسب لطبيعتك وغير ملائم لقريحتك ، فلا تنص مطيتك في الناس ولا تنعب نفسك إلى اتبعائه باستعارتك ألفاظ الناس وكلامهم ، فإن ذلك غير مشر لك ، ولا مجد عليك ، ما لم تكن الصناعة بمجازة لذهتك وملتحة بطبعك .

واعلم أن من كان مرجعه اغتصاب نظم من تقدمه ، واستضاءته بكوكب من سبقه ، وسحب ذيل حلة غيره ، ولم تكن معه أداة تولد من بنات ذهنه ونتائج فكره الكلام الحزم والمعنى الجزل - لم يكن من الصناعة في غير ولا تفير ولا ورد ولا صدر . على أن كلام الفصحاء المطبوعين ودرس وسائل الشعر من المتقدمين هو على كل حال مما يفتق اللسان ويقوي البيان ويحد الذهن ، ويستمد الطبع ، إن كان فيه بقية ، وهناك خيبة .

تعليق

في هذه الملاحظات النقدية تبدي براعة ابن عبد ربه النقدية وحسه الفني الصادق ولید خبرته وثقافته التي استوعبها خلال اعوامه السبعين عندما ألف كتابه .

فيتناول قضية الخبرة الفنية والتي تعتمد أول ما تعتمد على المعرفة بأسرار الصنعة للعمل الأنهي والاحاطة بها ومضمونها ، حتى يكون تمثلها بعد ذلك في عملية الخلق تمثلاً طبعياً لا تستشعر معه التصنع أو التكلف .

وابن عبد ربه يدرك جيداً أن الفن ليس استحداثاً من العدم ، وإنما هو مجموعة مستوعبات تشكلها خبرة الفنان وموهبته معاً ، وأن جزءاً كبيراً من خبرة الفنان يرجع إلى ثقافته ودراسته لأسرار فنه من نتاج غيره من المتقدمين ، على أن هذه الثقافة وتلك الخبرة تصبح عديمة الجدوى في عملية الخلق الفني ما لم يتوافر للفنان موهبة أصيلة لديها القدرة على المضم والاستيعاب والخلق .

النص الثاني ————— فرش كتاب الحروب

« ونحن قاتلون بعون الله وتوفيقه في الحروب ومدار أسرها ، وقود الجيوش وتديبها ، وما على المدبّر لها من إعمال الجذعة ، وإتهاز الفرصة ، والتماس البرّة ، وإذكاء العيون ، وإفشاء الطلائع ، واجتباب المضائق ، والتحفظ من البيات . هذا بعد معرفة أحكامها ، واحكام معرفتها ، وطول تجربته لقياسة الحروب ومُعانة الجيوش ، وعلمه أن لا برّح كالصبر ، ولا جفن كاليقين . ثم نذكر كرم الإقدام ، ونحسوة عاقبه ، ولؤم الفرار ، ومذموم مغبته . والله المعين .

صفة الحروب

الحرب رُخى ثقالها الصبر وتُطَبها المكر ، ومذارها الاجتهاد ، وثقالها الأناة ، وزمامها الحنّ . ولكل شيء من هذه ثمرة ، فثمره الصبر التأيد ، وثمره المكر الظفر ، وثمره الاجتهاد التوفيق ، وثمره الأناة اليمن ، وثمره الحنّ السلامة .

ونكل مقام مفال ، ولكل زمان رجال ، والحرب بين الناس سجال ،
والرأي فيها أبلغ من القتال

قال عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] لعمر بن معد يكرب :
صِفْ لنا الحرب ، قال : مُرَّةُ المذاق ، إذا كشفت عن ساق ، من صبر
فيها عُرِفَ ، ومن نكل عنها تَلَفَ . ثم أنشأ يقول :

الحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ قَتِيَّةً تسمى سزيتها لكل جهول
حتى إذا حيت وشبَّ ضرامها عادت عجوزاً غير ذات خليل
شمطاء جُزَّتْ رأسها وتكرت فكسروها للشم والتقبيل
وقيل لعنيرة الفوارس : صِفْ لنا الحرب . فقال : أولها شكوى ،
وأوسطها نجوى ، وآخرها بلى .

[٩٢ - ٩٤ - العقد الفريد - ج ١ - لجنة التأليف والترجمة - ط .
ثانية] .

النص الثالث

وقيل لأبي عمرو بن العلاء : أي بيت تقوله العرب أشعر ؟ قال :
البيت الذي إذا سمعته سألته سألته له نفسه أن يقول مثله ، ولأن
يُخَذِّشُ أَنْفًا يَطْفُرُ كَلْبٌ أَمُونٌ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَقُولَ مِثْلَهُ .

وقيل للأصمعي : أي بيت تقوله العرب أشعر ؟ قال : الذي يُسَاقِ
لفظه معناه .

وقيل للخليل : أي بيت تقوله العرب أشعر ؟ قال : البيت الذي
يكون أوله دليل ما فيه .

وقيل لغيره : أي بيت تقوله العرب أشعر ؟ قال : البيت الذي لا
يُجِيبُهُ عَنْ الْقَلْبِ شَيْءٌ . وأحسن من هذا كله قول زهير :

وان احسن بيت انت قائله بيت يُقال إذا أنشدته صدقنا
[٢٢٦ - العقد الفريد - ج ٥ - لجنة التأليف والترجمة والنشر -
القاهرة - ١٩٦٥] .

تعليق

في هذه الفقرة يعرض ابن عبد ربه لبعض وجهات النظر في مفهوم
الشعر ، ثم يعقب على هذا بما يفيد وجهة نظره .

والملاحظ على هذه الآراء التي حشدتها ابن عبد ربه أنها تمثل وجهات
نظر مختلفة ومتباينة وفقاً لخبرة صاحبها الثقافية وقدرته على التدقيق .

فأما وجهة نظر راوية أخبار وأشعار هو أبو عمرو بن العلاء ووجهة
نظر لغوي هو الأصمعي ووجهة نظر عروضي هو الخليل ، ووجهة نظر
عامة ، ثم وجهة نظر ابن عبد ربه وهي هنا وجهة نظر ابن عبد ربه
الشاعر .

فأبو عمرو بن العلاء يرى أن أحسن الشعر هو ما ترى فيه نفسك
حتى تسمى لو صنعت مثله ، فإذا حاولت أخفقت . إنه التعبير الثقافي
عن حسن الإنسان بالإنسان . وهي نظرة تتناسب بطبيعة الحال مع ناقد
توافر لديه حسن الفطرة ، وإلى جانب التمرس بالنماذج الأدبية من خلال
الحفظ والرواية .

أما عبارة الأصمعي فمع غموضها ، تشير إلى أهمية المعنى أو المضمون
عنده في العمل الشعري ، وهذا طبيعي من ناقد يهتم بالدلالات في اللغة
ويحرص على الارتباط بين اللفظ والمعنى في التعبير الشعري .

ورأى الخليل هنا رأيي يستند على ثقافته كرجل معن بالكلمة
كصوت ، وبالتركيبة الموسيقية في البناء الشعري ، ولذلك حدد موقفه من

الشعر وفقاً لخبرته الأساسية ، فالذي يهيمه كموضوع هو الإنسياب الموسيقي في البناء الشعري .

وفي النهاية يسوق ابن عبد ربه رأياً من الواضح من اختياره انه رأي وافق منه قبولاً واستحساناً ، وهو رأي يتفق في كثير مع رأي أبو عمرو بن العلاء ، ومع رأي زهير الذي يعتمد ابن عبد ربه . إن الشعر صوت انساني خرج من قلب انسان ليصل إلى قلب انسان . وهذا هو مفهوم الصدق الذي عناه زهير في قوله .

النص الرابع ————— الاستعارة

« لم نزل الإستعارة قديمة تستعمل في المنظوم والمشور . وأحسن ما تكون أن يُستعارَ المشور من المنظوم ، والمنظوم من المشور . وهذه الإستعارة خفية لا يؤبه بها ، لأنك قد نقلت الكلام من حال إلى حال . وأكثر ما يجتلبه الشعراء ويتصرف فيه البلغاء فإنما يجري فيه الآخر على سنن الأول . وقل ما يأتي لهم معنى لم يسبق إليه أحد ، إنما في منظوم ، وإما في مشور ، لأن الكلام بعضه من بعض ، ولذلك قالوا في الأمثال ، ما ترك الأول للآخر شيئاً . ألا ترى أن كعب بن زهير ، وهو في الرُعيّل الأول والصدر المتقدم ، قد قال :

ما أرانا نقول إلا مُعَاراً أو مُعَاداً من قولنا مكسوراً
ولكن في قولهم إن الآخر إذا أخذ من الأول المعنى فزاد فيه ما يُحسنه
ويُقربه ويوضحه فهو أولى به من الأول ، وذلك كقول الأعشى :

وكأسٍ شربتُ على لَذْوٍ وأخرى تداويت منها بها
فأخذ هذا المعنى الحسن بن مازن فحسنه وقربه إذ قال :

دُع عنك لومي فلإن اللوم إغراء ودأوني بسألي كسأنت هي السداء

[٣٣٨ - المقعد الفريد - ج ٥ - لجنة التأليف والترجمة والنشر -
القاهرة ١٩٦٥] .

تعليق

الاستعارة هنا كما استخدمها ابن عبد ربه ، تعني أخذ الشاعر أو
الكاتب الأفكار والصور والتركيبات . من شعر ونثر غيره واستخدامها في
أعماله الأدبية . وهي القضية التي شغلت النقاد العرب كثيراً فيما عرفت
بالسرقات الشعرية .

ويسوق ابن عبد ربه قولاً لكعب بن زهير يدلل به على أنه لا جديد
على الأرض وكل ما يقال إنما هو بتعبير ابن عبد ربه سير على سنن الأول .

ولكننا نلمح في عبارة ابن عبد ربه هذه قدراً كبيراً من التسامح ،
وقدراً كبيراً أيضاً من حسن الفهم والإدراك الفني ، فهو يرى أن الآخر إذا
أخذ من الأول فزاد فيه ، أو بلغه العصر فأضفى عليه من حبه الخاص ما
يجعله شيئاً آخر ، ورؤية أخرى ، فهو أولى به والأول .

وعلى العموم فالعبارة هنا تشي بالتداخل بين تأثير الموقف النقدي
الذي كان سائداً في عصر ابن عبد ربه ، والحس الفني الموجود بداخله
كشاعر قبل كل شيء .

الأغاني للبي الفرج الأصفهاني

٢٨٤ - ٣٥٧ هـ

أبو الفرج الأصفهاني أو الأصبهاني ، هو علي بن الحسين بن محمد ويتنهي نسبه الى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، فمروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي .

ولد أبو الفرج الأصفهاني في عام ٢٨٤ هـ في خلافة المعتضد بالله ، وفي هذا اختلاف بين عدد من الذين أرخوا له حيث ذهب بعض الآراء الى أنه ولد بمدينة (سُرْمَنْ رَأَى) حيث كانت تقيم أسرته من جهة أبيه وأسرته من جهة أمه ، وتوفى على اختلاف بين الآراء كذلك فيما بين أعوام ٣٥٧ و ٣٦٠ هـ .

وتذكر كتب الرواة التي أرخت لحياة أبي الفرج الأصفهاني ككتاب معجم الأدباء لياقوت والفهرس لابن النديم وتاريخ بغداد للخطيب ، وأخبار أصبهان لابي نعيم ، ان لقب أبي الفرج الأصفهاني أو الأصبهاني قد ورثه عن أسرته حيث كانت أصبهان هي الوطن الذي استقر فيه بعض الأمويين بعد انتهاء دولتهم . كما تذكر كتب الرواة كذلك ان أبا الفرج قد نشأ في الكوفة وتعلم على يد محمد بن الحسين الكندي وأحمد بن محمد السعيد الحمزاني والمقاضي والبلخي . وكانت الكوفة آنذاك (نهاية القرن الثالث الهجري) بيئة المجان من المغنين والشعراء ، مما كان له تأثيره القوي في اتجاه أبي الفرج الى الاهتمام بالمجاجة وفن الغناء وما يتعلق به . ثم انتقل أبو الفرج بعد ذلك الى بغداد حوالي سنة ٣٠٠ هـ ، وهناك اهتم بدراسة الأدب واللغة والتاريخ ، وأخذ هذه العلوم عن مشاهير شيوخ عصره ومنهم الأخفش ، وابن الأنباري وابن دريد ، ونفطويه . كذلك اهتم أبو الفرج كما تروي كتب الرواة خاصة كتاب تاريخ بغداد ان

أبا الفرج الأصفهاني اهتم بمجالس المغنين والندماء في قصور الخلفاء والأمراء والأثرياء ، ومن هذه المجالس استمد أبو الفرج ثقافته الواسعة في الموسيقى والغناء كما أثرت فيه هذه المجالس بلا شك في اهتمامه بالتأليف في هذه الفنون .

وقد استطاع أبو الفرج الأصفهاني أن يكون في هذه البيئة نموذجاً للمثقف الموسوعي على نحو ما وصفه به ياقوت الحموي حين قال عنه إنه (العلامة النسب الأخباري الحفظه ، الجامع بين سعة الرواية والحذق في الدراسة كان يحفظ من الشعر والأغاني والأخبار والأثار والاحاديث المسندة والنسب ما لم أر من يحفظ مثله ، ويحفظ دون ذلك من علوم آخر منها اللغة والنحو والخرافات والمغازي والسير وغير ذلك) .

وقد ذكرنا من قبل أن الكوفة حينما رحل إليها أبو الفرج كانت بيئة المجان والخلفاء من المغنين والشعراء ، فقد استقر فيها الغناء قبل أن يستقر ببغداد كما كان عمر بن أبي ربيعة يلح بها لسمع غناء قيتين حاذقتين لصاحب إبليس عبد الله هلال كما يذكر أبو الفرج في كتابه الأغاني . وبالكوفة كان اسحاق الموصلي الذي يعد كما لاحظ عدد من الباحثين من أهم الشخصيات التي أثرت في تكوين أبي الفرج الأصفهاني .

وفي الكوفة كذلك كانت الحفارات والحانات وما يتصل بها من لهو وعبث . وبالرغم من أن أبا الفرج عاش بالكوفة في فترة حداثة سنه ، فإنه من الطبيعي أن تترك هذه البيئة ومؤثراتها آثارها الواضحة في تكوين شخصية أبي الفرج وحياته العقلية والخلقية . أما ببغداد التي كانت عاصمة الدولة ، والتي حصل فيها أبو الفرج الجزء الأكبر من ثقافته وعلمه فقد كانت في هذه الفترة (بداية القرن الرابع الهجري) مسرحاً لبيئات ثقافية وصلت إلى مرحلة عالية من العلم والمعرفة ، كما كانت تمتلئ بقصور الأمراء والوزراء وكبار الأثرياء الذين كانوا يجيئون في ثراء ورفاهية ، حياة

يُخلط فيها العبث والمجون بمجالس الثقافة والأدب

وفي بغداد اهتم أبو الفرج بدراسة الأدب واللغة والتاريخ ، فأخذ عن مشاهير شيوخ عصره ، ومنهم : ابن دريد وابن الأنباري والافخري ونفطويه والطبري . كما اهتم بما يجري في مجالس المغنيين والتدماء في قصور الخلفاء والوزراء والأمراء والأثرياء ، ومن هذه المجالس كانت ثقافة أبي الفرج الواسعة في الموسيقى والغناء ، وكانت عنايته من ثم بالتأليف عن هذه الفنون .

فأبو الفرج الأصفهاني اذن نموذج للمثقف الموسوعي ، وهذا ما نجده في ترجمة من ترجم له من كتاب السير والتراجم . فيصفه ياقوت الحموي في معجم الأدباء بأنه « العلامة النسابة الاخباري الحفظة الجامع بين سعة الرواية والخلق في الدراسة ، لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنها ، وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه ، وكان مع ذلك شاعراً جيداً ... » قال التوحي : ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الأصفهاني ، كان يحفظ من الشعر والاعاني والافخبار والآثار والأحاديث المسندة والنسب ما لم أرقط من يحفظ مثله ، ويحفظ دون ذلك من علوم آخر ، منها اللغة والنحو والحرفات ، المغازي والسير ، ومن آلة المنادمة شيئاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة وتنف من الطب والأشربة وغير ذلك ، وله شعر يجمع اتفاق العلماء وإحسان طرفاء الشعراء .

وأبو الفرج الأصفهاني برغم انتمائه الى بني امية الى انه كان متشيعاً ، ورث تشيعه عن أسرته لأنه ، الى جانب ان المحن السياسية التي تعرض لها الامويون والطالبون على يد العباسيين قد جمعت بينهما وخلقت شيئاً من التعاطف ، فنراه يؤلف كتاباً عن « مقاتل الطالبين » سنة ٣١٣ هـ . غير ان أبا الفرج لم يكن في الواقع صاحب اهتمامات لمذهب عقائدي يعمل له فخلقه اقرب الى خلاق النديم ، ومن هنا كان تشيعه كما لاحظ عدد من الباحثين تشيع الميل الموروث .

ولأبي الفرج العديد من المؤلفات في شتى المعارف ذكرهما ابن النديم في الفهرست ونذكر عنها الى جانب كتاب الاغاني .

كتاب مجرد الاغاني ، وكتاب اخبار القيان وكتاب الديارات وكتاب الاخبار والنواحر وكتاب الخمارين والخمارات وكتاب اخبار الطفيليين وكتاب جمهرة انساب العرب وكتاب في النغم ورسالة في الاغاني .

أما الاغاني فهو باجماع الباحثين أضخم موسوعة خبرية ، جمع فيها مؤلفها عدداً هائلاً من الاخبار المتعلقة بموضوعه الرئيسي . فيقول عنه ابن خلدون في مقدمته انه « ديوان العرب ، وجامع اشئناات المسامن التي سلفت لهم في كل من فنون الشعر والتاريخ والفناء وسائر الاحوال ، ولا يعمل به كتاب في ذلك فيما نعلمه ، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها ، وان له بها » .

ويؤرخ هذا الكتاب للشعر العربي الذي غناه المغنون حتى عصره ونسبة كل شعر الى صاحبه وصانع لحنه وطريقته من الايقاع والاصبع الذي نسب اليه ولون الطريقة ونوع الصوت وكل ما يتصل بذلك .

وأساس الغناء المختار في الاغاني هو المائة صوت التي اختارها ابراهيم الموصلي للخليفة هارون الرشيد .

ولم يقتصر أبو الفرج على هذا ، بل انه اتبعه بذكر الاصوات وأبعادها وطرائقها ، كما اتبع ذلك ذكر ما يتصل باخبار المقنين والشعراء والملوك مصوراً فيها الحياة الاجتماعية والثقافية لكل طبقة .

ومن خلال ذلك قدم أبو الفرج في كتابه مادة اخبارية واسعة ضمت النسب واخبار الوقائع والحروب وايام العرب ووقائعها وذكر اخبارهم والغزوات واخبار الفتوح .

ومنهج أبي الفرج من هذا انه يبدأ بذكر الصوت المختار والشعر

المتصل به ، ثم يستطرد الى ذكر اشعار أخرى تنفي بها وقيلت في نفس المعنى . ثم يتحدث عن المناسبة التي قيلت فيها الأشعار وما يرتبط بها من ظروف ذات دلالات اجتماعية او سياسية ، وما يتصل بها كذلك من ذكر للأنساب والسير والأشعار والنقص والتواثر . وما يوضحها من أخبار وتراجم . لهذا كان كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني موسوعة في أخبار الأدب العربي ، حشده المؤلف بكل ما يتصل بهذا الأدب حتى ما كان يراه مكذوباً .

والملاحظ على كتاب الأغاني ان المؤلف لم يعتمد في تأليف كتابه على قاعدة فنية أو تاريخية في عرضه وتصنيفه للأصوات أو الغناء ؛ وقد أدرك أبو الفرج هذا ، فقال مدافعاً عن مسلكه هذا : ولعل من يتصفح ذلك ينكر تركنا تصنيفه أبواباً على طرائق الغناء أو على طبقات المغنين في أزمانهم ومراتبهم ، أو على ما غن به من شعر شاعر ، ثم رأى أن الباحث له على هذا علل منها ان شعراء الأصوات المختارة من المتأخرين وحيث لا مفهوم للعرض التاريخي . ومنها ان الأغاني في أغلبها فيها اشتراك بين المغنين في طرائق مختلفة مما لا يمكن معها ترتيبها على الطرائق والأسس الفنية . كذلك فداته لوقوف كما يقول عندما : عني به من شعر شاعر منهم ولم نتجاوز حتى نفرغ منه لكائن للنفس عنه نبوة وللقلب منه ملة . وفي طبع البشر محبة الانتقال من شيء الى شيء .

ولهذا رأى ان يكون منهجه في عرضه لمادة كتابه على النحو الذي أوضحناه من قبل ليكون أحسن للقاريء وذلك : بانتقاله من خبر الى غيره ومن قصة الى سواها ، ومن أخبار قديمة الى محدثة ومليك الى سوقة وجد الى هزل انشط لقراءته واشهى لتصفح فنوه ، وقد ترتب على هذا الاتجاه بعض المآخذ التي يمكن ان توجه الى أبي الفرج ، ومنها كثرة التكرار الذي جاء نتيجة تكرار المناسبة مع الأصوات واضطرار أبي الفرج الى العودة الى الكلام عن الشخص او الموقف في المناسبات المرتبطة بهذه

الاصوات . ومنها تبعثر المادة المتصلة بالشعراء وغيرهم حيث عرض أبو الفرج حياة من تناولهم في مناسبات مبعثرة مع الاصوات . اما بالنسبة للمادة التي جمعها أبو الفرج في كتابه ، فقد كثر الحديث حولها ، واتهمه أغلب الباحثين بأنه يجمع بين الغث والسمين والصادق والكاذب .

ولكن يبدو أن أبا الفرج قد اندفع الى هذا بسبب حرصه على تسجيل كل ما يتعلق بالخبر من روايات وأخبار وتعليقات دعماً للمادة كتابه ، فهذه المادة كما قدمها أبو الفرج تصور كل ما يتصل بالخبر من صدق وكذب ، خاصة وأنه كثيراً ما كان يورد الخبر ولا يصدقه ، بل يدلل على ما ينقضه وينقصه . ، كما عقب على خبر لابن خرداذبة عن معبد بقوله « وابن خرداذبة قليل التصحيح لما يرويه ويُضْمَنُ كتبه ، ثم يأخذ في ذكر الصحيح من وجهة نظره .

وأبو الفرج من هذه الناحية صاحب منهج في التوثيق والنقد وبصر بالنقد التاريخي . فإلى جانب شكه في بعض الروايات وتصحيحه لها زجده حريصاً في نقله للأخبار عن الكتب والشيوخ بالالتزام والمحافظة حتى على صورة الألفاظ ، بل إنه عندما كان يقوم باختصار الأخبار والتعبير عنها من عنده كان ينص على كمال المعنى منها القاريء الى ذلك .

ومن الواضح أن أبا الفرج قد استمد مادة كتابه من الروايات والأخبار عن مصدرين أساسيين هما المؤلفات السابقة والمعاصرة له والشيوخ الذين كانوا يعتمدون على مجهودات السابقين من الرواة ، وقد لاحظ ابن النديم بصدده ترجمته لأبي الفرج أن أكثر رواياته إنما أخذت عن الكتب ولم تؤخذ عن الرجال .

كما أشار الدكتور محمد أحمد خلف الله بصدده حديثه عن مصادر كتاب الأغاني الى أن أبا الفرج قد اعتمد على كتب ليست كلها من الأصول الجياد أو من الكتب الأمهات وعلى شيوخ ليسوا جميعاً من الرواة

الممتازين . ومن الشيوخ الذين اعتمد عليهم أبو الفرج الأصفهاني في مروياته ، محمد بن جرير الطبري ، ومحمد بن القاسم الأنباري ، ومحمد بن العباس البازيدي ، وعلي بن سليمان الأخفش ، والفضل بن الحبيب الجمي ، وابن دريد ، وابن عماد ، ونفطويه ، وأحمد بن سعيد الهمزاني ، وعلي بن العباس الكوفي ، وحرم بن أبي العلاء ، وغيرهم . وهؤلاء رواة ثقة بل من شيوخ الرواة كما وصفهم الدكتور خلف الله نفسه . ولهذا لا يعيب الرجل إيراد عدد من الروايات لرواة ضعاف خاصة وأنه يحرص على مناقشتها بل على النص على أنها ضعيفة كما لاحظنا من قبل ، وخاصة وأنه كراوية كان حريصا على جمع كل ما قيل حتى ولو لم يكن مرويا عن شيوخ ممتازين ، وبهذا نستطيع أن نصف أبا الفرج في هذا الصدد بأنه من الرواة الذين يحرصون على جمع كل ما قيل تمثلا للحياة الفكرية والاجتماعية ، خاصة وأنه كما يبدو من المؤلفات التي ألفت حول الرواة أنه كانت هناك نظرة تساهل بالنسبة لمزويات الإخباريين وعدم التدقيق في مروياتهم على نحو ما يجري الأمر بالنسبة لأخبار الرجال وأخبار الأحاديث . لكن لا اعتقد في ضوء منهج أبي الفرج في مناقشة مروياته أن الرجل كان يلجأ إلى الأخبار المصنوعة رواية وتأليفا ويعتمد عليها اعتمادا كبيرا على نحو ما ذكر الخطيب في تاريخ بغداد حينما قال (حدثني أبو عبيد الله الحسين بن محمد بن القاسم بن طباطبا العلوي قال : سمعت أبا محمد الحسن بن أحمد بن النوبختي يقول : كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس ، كان يدخل سوق الوراقين وهي عامرة والدكاكين مملوءة بالكتب فيشترى شيئا من الصحف يحملها إلى بيته ثم تكون روايته كلها منه) .

ولكن ينبغي أن نأخذ الأمر في كتاب كهذا على نحو آخر ، فحتى لو أن هذه الأخبار أخبار مصنوعة ، فهي بلا شك مصنوعة على غرار أخبار مشابهة ، وقد كانت مقبولة لدى جيل أبي الفرج ، وهي على أية حال

أخبار قصد منها كما اعتقد تصوير الحياة الاجتماعية والثقافية والفكرية بوجه عام .

ذكر أبو الفرج في مقدمة كتابه أنه سوف يصنف كتابه (ابوابا على طرائق الغناء او على طبقات المغنين في ازمانهم ومراتبهم او على ما غنى به من شعر الشاعر) .

ويعلل هذا المنهج بأنه الاوفق لمزاج القاريء ، حتى لا ينسرب الملل الى نفسه ، وذلك بالانتقال (من خبر الى غيره ومن قصة الى سواها ومن اخبار قديمة الى محدثة ومليكة الى سوقة وجد الى هزل) وهذا انشط لقرائه واشهى لتصفح فنونه .

وقد ترتب على هذا كثرة التكرار الذي جاء نتيجة تكرار المناسبة مع الأصوات ، كما أدى الى تبعض المادة المتصلة بالشعراء ، حيث عرض أبو الفرج لحياتهم في مناسبات متباعدة مع الأصوات التي هي مدار كتابه ، وبهذا صار الموضوع الواحد مجزأ إلى موضوعات متعددة . فنراه يقول وهو بصدد حديثه عن بشار (ولبشار أخبار كثيرة قد ذكرت في عدة مواضع منها أخباره مع عبدة ، فإنها أفردت في بعض الشعر الذي غنى فيه المغنون ، وأخباره مع حماد عجرد في تهاجيها فإنها أيضا أفردت وكذلك أخباره مع أبي هاشم الباهلي فإن لم نجمع جميعها في هذا الموضع إذ كان كل صنف منها مستقينا بنفسه) .

وأحيانا نراه يشير الى ما سوف يأتي في الكتاب من أخبار لم يذكر عنها شيئا بعد كقوله (وأخبار ابن أذينة تأتي بعد هذا في موضع إن شاء الله) .

وسبب تداخل المرويات وانتقال أبي الفرج فيها من موضوعات إلى موضوعات كان يحرص حينها يستطرد إلى موضوع ثانوي أن ينبه بعد انتهاء الموضوع الثانوي إلى العودة الى الموضوع الأساسي فنرى عنده هذه العبارة (رجع الحديث الى سياقه) .

فأبو الفرج في تصنيفه لمروياته إذا لا يصنفها على أساس المسانيد ولا على أساس السنوات ، وإنما يصنفها على أساس الموضوعات التي حددها في مقدمة كتابه بأنها ذكر الأصوات المختارة ، وقد أشار هو إلى ذلك في قوله في المقدمة (ولعل من يتصفح ذلك ينكر تركنا تصنيفه أبوابا على طبائق الغناء أو على طبقات المغنين في أزمانهم ومراتبهم ، أو على ما غنى به شعر شاعر ، والمانع من ذلك والباعث على ما نحوناه على منها أن لما جعلنا ابتداء الأصوات المختارة كان شعراؤها من المهاجرين والأنصار وأولهم أبو قطيفة وليس من الشعراء المدودين ولا الفحول ، ثم عمر بن أبي ربيعة ثم نصيب ، فلما جرى أول الكتاب هذا المجرى ، ولم يكن ترتيب الشعراء فيه الحق أوله بأخيره وجعل على نسب ما حضر ذكره وكذلك سائر المنة صوت المختارة ، فإنها جلالية على غير ترتيب الشعراء والمغنين وليس المغزى في الكتاب ترتيب الطبقات وإنما المغزى فيه ما ضمن من ذكر الأغاني بأخبارها ، وليس هذا مما يضر بها) .

فأبو الفرج إذا قسم كتابه تقسيما بحسب الموضوعات ، وقد ذكرت من قبل كيف أن نهج أبي الفرج هذا في عرضه لمروياته قد أوتمه في عدد من المعايير منها تجزئة توزيع المرويات والأشخاص ، ومنها تكرار المرويات في أكثر من مناسبة ، وربما كان هذا هو السبب في قيام العديد من الأدباء بعده قديما وحديثا بهذيب الكتاب واختصاره وتنقيته من هذه المعايير .

والملاحظ على أغلب مرويات أبي الفرج أنها مؤداة بنفس اللفاظ والمعاني التي كانت عليها في الكتب التي نقل عنها أبو الفرج ، وقد لاحظ هذا الدكتور خلف الله بمقابلة مرويات أبي الفرج بما جاء في تاريخ الطبري وفي الفرائض .

وإن كان هذا لم يمنع من أن نرى أبا الفرج في بعض الأحيان يذكر الأخبار مختصرة وبالألفاظ من عنده وقد نص هو على هذا ، وهذه أمانة

علمية منه ومن ذلك قوله (فجمعت من روايتهم ما احتاج الى ذكر مختصر اللفظ كامل المعنى) .

وقد حاول أبو الفرج أن يشرح الغامض من ألفاظ روايته ومفرداتها خاصة فيما يتصل بالشعر ، وكان يخرج بهذا المنهج عن أسلوب الرواية المحضة الى الشرح الأدبي واللغوي ، وإلى استخدام حسن الأديب الناقد وقدرته على التذوق ، وهذا مضطرد في أخباره ومروياته ، كما اعتم كذلك في مروياته بشرح الألفاظ الأجنبية التي دخلت الى العربية نتيجة امتزاج الحضارة العربية مع غيرها من حضارات الشعوب المجاورة ، ومن ذلك قوله في تفسير البيت التالي : -

« إِذَا قَالَ لِي يَا مُرْدَى نَحْنُ وَكَرَرَهَا عَلَيَّ وَغَنَانُ فَرَّاحًا يَهْفُونَ »
هذا كلام بالفارسية وتفسيره يا رجل اشرب النبيذ .

هذا ولكتاب الاغانى أهمية كبيرة عند باحثي الأدب العربي ودارسيه ، فهو الى جانب انه المصدر الوحيد والاساسي لتاريخ الغناء والمغنين في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، فهو غنى بأخبار الجاهلية والاسلام وبني امية والعباسيين ، وهو مصدر اساسي ايضا لما تضمنته من دراسات لجوانب العصر الذي كان يعيش فيه . .

ولاهمية الكتاب ومادته الغزيرة اختصر عدة مرات قديما وحديثاً .
فقديماً اختصره ابن المغربي (ت ٤١٨ هـ) وابن واصل الحموي (ت ٦٩٧ هـ) وابن باقيا الكاتب الحلبي (ت ٤٨٥ هـ) وجمال الدين الانصاري (ت ٧١١ هـ) .

واختصره في العصر الحديث محمد الخضري بعد أن حذف منه الاسانيد وما لم يستحسن ذكره ، وجعله في قسمين ، قسم خاص بالشعراء وقسم خاص بالمغنين

وقد طبع الكتاب عدة طبعات ، أهمها طبعة بولاق وصدرت في
عشرين جزءاً سنة ١٢٨٥ هـ وطبعة الحاج محمد الساسي المغربي سنة
١٢٢٣ هـ في أحد وعشرين جزءاً .

كما قام المستشرق جويدي بأعداد مجموعة فهرس شاملة بناها على
طبعة بولاق ، ونشرت هذه الفهارس في مجلد في ليدن ١٣١٨ هـ .

وأحدث الطبقات طبعة دار الكتب المصرية ، وطبعة مطبعة التقدم
بتحقيق أحمد الشنيطي .

مصادر ومراجع :

(١) الفهرست لابن النديم - طبعة الرحمانية - مصر - ص ١٦٦ ،
ص ١٦٧ ، وجهرة الانساب لابن حزم ص ٩٨ ، ومعجم الأدباء
لياقوت الحموي ، طبعة رفاعي .

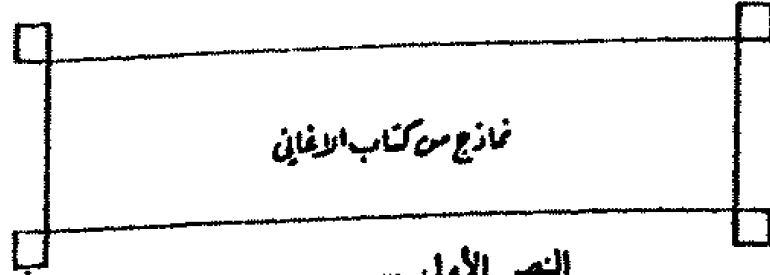
(٢) د . السعيد الورقي - في مصادر التراث العربي - الهيئة العامة للكتاب
٧٩ ، ص ٦٣

(٣) ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ج ١٣ ص ٩٦

(٤) الأغاني - طبعة دار الكتب -

(٥) د . محمد أحمد خلف الله - صاحب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني -

(٦) الفهرست لابن النديم - طبعة مصر - ص ١٦٨



النص الأول ————— صوت فيه لحنان

القَصْرُ فالنَّخْلُ فالجَنَاءُ بينهما أَشْهُى إلى القلب من أبواب جَيِّرُونَ
إلى البَلاطِ فما حازت قَرائنه دُورَ نَزْحَن عن الفُخْشاء والمُهوِن
قد يَنكُثُم الناسُ اسراراً فاعلمها ولا يَنالون حتى الموت مَكْنُون

عَرُوض من أوّل البسيط . القصر الذي عناء هاهنا قصر سعيد بن
العاص بالعرصة ، والنخل الذي عناء نخل كان لسعيد هناك بين قصره
وبين الجناء ، وهي أرض كانت له فصار جميع ذلك لمعاوية بن أبي سفيان
بعد وفاة سعيد ، ابتاعه من ابنه عمرو باحتمال دينه عنه . وأبواب جَيِّرُونَ
بدمشق . ويروى : حازت قرائنه ، من المحاذاة ، والقرائن : دور كانت
لبنى سعيد بن العاص متلاصقة ، سُمِّيَتْ بذلك لاقتراءها ، ونزحَن :
بَعْدَن ، والنازح : البعيد ، يقال : نَزَحَ نَزْوحاً ، والمُهوِن : الهوان قال
الراجز :

لم يَتَنَذَلْ مثْلُ كَرِيمٍ مَكْنُونٌ أبيض ماضٍ كالسُّنَنِ المَسْنُون
كان يُوقى نفته من الهون

والمكنون : المستور الخفي وهي مأخوذ من الكن .

الشعر لأبي قطفة المَظِيطي ، والغناء لمعد ، وله فيه لحنان :

أحدهما خفيف ثقیل أول بالوَسْطى في تجراها من رواية اسحاق وهو اللحن
المختار ، والآخر ثقیل أول بالوَسْطى على مذهب اسحاق من رواية عمرو بن
بانة .

ح ١ ، ص ١١ ط . دار الكتب المصرية ١٩٢٧

ذكر معبد وبعض اخباره

« هو معبد بن وهب . وقيل ابن قطن مولى ابن قنبر ، وقيل ابن قطن مولى العاص بن واصل المخزومي ، وقيل بل مولى معاوية بن أبي سفيان .

وذكر ابن خردادبة أنه غني في أول دولة بن أمية ، وأدرك دولة بن العباس وقد أصابه الفالج وارتعش وبطل ، فكان إذا غنى يُضحك منه ويهزأ به .

وابن خردادبة قليل التصحيح لما يرويه ويضمنه كتبه . والتصحيح ان معبدا مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده . وقد قيل : إنه أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطل صوته . فأما إدراكه دولة بن العباس فلم يرويه أحد سوى ابن خردادبة ولا قاله ولا رواه عن أحد ، وإنما جاء به مجازفة .

[ج ١ ، ص ٣٦]

من اخبار العرجي

« هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس . . . أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء ، قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي : انه إنما لقب العرجي لانه كان يسكن عَرَج الطائف ، وقيل : بل سُمي بذلك لما كان له ومال عليه بالعرج . وكان من شعراء قريش ومن شهّر بالغزل منها ، ونحا نحو عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبه به فأجاد ، وكان مشغوفاً باللهو والصيد حريصاً عليها قليل المحاشاة (الاكتراث) لأحد فيها »

قال عبد الله بن عمر العنبري . خَرَجْتُ حاجاً فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام أُرْقَتْ فيه ، فأدريت ناقتي منها ، ثم قلت لها : يا أمة الله ، أليس حاجة : اما تخافين الله ، فسقرت عن وجهه يتهر الشمس حسناً ، ثم قالت : تأمل يا عم فإني ممن عنه العرجي بقوله :

أما طت كساء الخنز عن خر وجهها وأذنت على الخدين بُرداً مهلهلاً
من اللاء لم يحجب عن يمين جنبه ولكن ليقتلن البرية المنفلاً

قال : فقلت لها : فإني أسأل الله الا يُعَذِّب هذا الوجه بالنار . قال . وبلغ ذلك سعيد بن المسيب فقال : اما والله لو كان من بعض بغضاء العراق لقال لها : اغربي قبحك الله ، ولكنه ظسرف عبّاد اهل الحجاز

والغناء في هذه الابيات لقرار المكّي ، ثاني ثقيل ، وفيه خفيف ثقيل

لَمُعْبِدٍ ، وفيها لعبد الله بن العباس التميمي نَحْلُ نول ، ويقال إن خفيف
النقل لابن سُرَيْج ويقال للغريص .

[الجزء الاول صفحات ٢٨٢ و ٢٨٥ و ٤٠٣ - ٤٠٤]

اخبار ديك الجن ونسبه

و ديك الجن لَقَبُ غَلَبَ عليه ، واسمه عبد السلام بن رَغْبَان بن عبد السلام بن حَبِيب بن عبد الله بن رَغْبَان بن يزيد بن تميم ، وكان جَدُّهُ تميم ممن انعم الله - عز وجل - عليه بالاسلام من اهل مؤتة على يدي حَبِيب بن مُسَلَّمَةَ الْفَهْرِي . وكان شديد التشعب [الشعوبية] والعصية على العرب ، يقول : ما للعرب علينا فضل ، جمعنا واباهم ولادة ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، واسلمنا كما اسلموا ، وَمَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلًا مَاتَ قَتْلًا بِهِ ، ولم نجد الله عز وجل فضلهم علينا ، إذ جمعنا الدين . وهو شاعرٌ مجيدٌ يذهب مذهب أبي تمام والشامين في شعره . ومن شعراء الدولة العباسية . وكان من ساكني حمص ، ولم يبرح نواحي الشام ، ولا وفد الى العراق ولا الى غيره مُتَجَمِّعاً بشعره ولا مُتَصَدِّباً لاحد ، وكان يتشيع تشيعاً حسناً ، وله مرات كثيرة في الحسين بن عليّ عليهما السلام .

[ص ٥١ - ج ٦]

موسوعات القرن الثامن الهجري
دوائر المعارف الاسلامية
(١)

تميز القرن الثامن الهجري في مصر بظاهرة فكرية خاصة ، هي ظاهرة الموسوعات العلمية والأدبية الكبرى . فقد اُلفت في هذا العصر مجموعة من المؤلفات الجامعة التي يمكن ان نعدّها بمقاييس عصرنا دوائر في المعارف العامة .

ولقد ذهب الباحثون في تفسير هذه الظاهرة مذاهب شتى ، فأرجعها البعض الى احساس العلماء والمفكرين في هذا العصر بضرورة تجميع الجهد العالمي والادبي العربي بعد ان قضى التار على العلم العربي وعلماؤه بالتشريد والحرق وكل عوامل الضياع والتبديد ، مما دفع العلماء والادباء المصريين الى « التفكير في انقاذ الثقافة الاسلامية التي جنى عليها الجهل والظلم والتوحش . ورأى العلماء المصريون يومئذ أن خير طريقة ينقلون بها الثقافة الاسلامية الضائعة هي جمع المواد التي تتألف منها هذه الثقافة في كتب كبيرة على شكل موسوعات أو دوائر معارف عظيمة لا تدع صغيرة ولا كبيرة من تلك المواد الا احصتها » (١) .

ورأى فريق من الباحثين ان الدافع الى تأليف هذه الموسوعات كان ديوان الانشاء فقد دفع الاهتمام به الى تشجيع العلماء والادباء وكتاب الموسوعات على هذا الاتجاه .

وتعرف هذا القرن على عدد من هذه المؤلفات الموسوعية ومنها :

(١) د عبد الطيف حمزة الحركة الفكرية في مصر في العصورين الأيوبي والملوكي ، ص ٣١٥

ولسان العرب لابن منظور ، ابو الفضل محمد بن جلال الدين (ت ٧١١) و : نهاية الأرب في فنون الادب ، لأحمد بن عبد الوهاب النويري (ت ٧٢٢) و : مسالك الأبرار في ممالك الأمصار ، لأحمد بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ) و : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، لأبي العباس الفلثشيدي (ت ٨٢١ هـ) .

وتختلف هذه الموسوعات عن المؤلفات الجامعة او الموسوعات الادبية التي تعرفنا عليها من قبل في مؤلفات مثل البيان والتبيين والكمال والأغاني فقد جمعت هذه المؤلفات الاخيرة مادة اخبارية متسعة يغلب عليها النثر في تجميع المعلومات ، اما موسوعات العصر المملوكي او الموسوعات المتأخرة عموما مثل العقد الفريد ومؤلف ابن خلدون الموسوعي ، فهي موسوعات بنيت على تنظيم دقيق وتقسيم علمي في فصول وأبواب مستقلة بعضها عن البعض الآخر . هذا الى جانب ان كل موسوعة من موسوعات العصر المملوكي كان يغلب عليها في الواقع لونا تخصصياً من ألوان المعرفة ، فغلب طابع الموسوعة اللغوية على لسان العرب وطابع الموسوعة الادبية على نهاية الأرب والموسوعة الجغرافية على مسالك الأبرار والموسوعة التاريخية على كتاب العبر لابن خلدون ، والموسوعة الانشائية على صبح الأعشى .

لسان العرب لابن منظور

[٦٣٠ - ٧١١ هـ]

ابن منظور هو محمد بن جلال الدين مكرم بن نجيب الدين ابي الحسن علي بن احمد بن ابي قاسم بن حبة بن محمد بن منظور ويكنى ابا الفضل وينسب الى روفع بن ثابت الانصاري الذي كان والي طرابلس من قبل معاوية وغزا افريقيا سنة سبع وأربعين .

ويرجح انه ولد بمصر سنة ثلاثين وستمائة ، واشتغل في طفولته بالعلم والتحصيل حيث كانت نشأته الاولى في بيئة علمية ، تحدث ابن منظور عنها في مقدمة كتابه « نثار الازهار » الذي اختصر فيه كتاب التيفاشي [شرف الدين أحمد بن يوسف ت ٦٥١ هـ] ، فصل الخطاب في مدارك الخواص الخمس لاولى الالباب .

ويذكر ابن حجر في الدرر الكامنة أن ابن منظور قد تتلمذ لابن المقبر ومرتضى بن حاتم وعبد الرحيم بن الطفيل ويوسف بن المخيلي وغيرهم .

كما أجمع من ترجم لابن منظور على انه كان محدثاً فقيهاً ، عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة . وقد أعلته هذه المعرفة وثقافته لان يعمل في ديوان الانشاء بمصر ، ثم ولي القضاء في طرابلس ، وعاد الى مصر حيث توفي بها سنة ٧١١ هـ .

ومن تلاميذ ابن منظور المشهورين تقي الدين السبكي (ت ٧٥٦ هـ) والذهبي المؤرخ وقطب الدين ولد ابن منظور الذي اصبح كاتب الانشاء بمصر .

ولابن منظور مؤلفات كثيرة في الفقه وعلوم اللغة والمعارف الكونية ، فيذكر الصفيدي في كتابه « اعيان العصر » ان ابن منظور ترك بخطه خمسمائة مجلد

وأغلب مؤلفات ابن منظور اختصارات للكتب المطولة التي صفت
قبله ، فقد كان كما يقول ابن حجر صاحب الدرر الكامنة ومفزماً
باختصار كتب الأدب المطولة والتواريخ ، وكان لا يمل من ذلك .
ومن هذه المختصرات :

١ - مختار الاغانى في الاخبار والتهاني . ويقع في نحو أربعة أجزاء كبار ،
اختاره ابن منظور من اغانى أبي الفرج ورتبه على حروف الهجاء بدلاً من
ترتيبه على الأصوات كما فعل أبو الفرج .

٢ - مختصره لكتاب بتيمة الدهر في شعراء أهل العصر للشمسلي ت ٤٢٩
هـ .

٣ - مختصره لكتاب زهر الاداب وثمر الالباب لابي اسحاق ابراهيم
القيرواني ت ٤٥٣ هـ .

٤ - كشف الظنون واختصر فيه كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عسكروت
٥٧١ هـ .

٥ - مختصره لكتاب « تاريخ بغداد للسمعاني » ت ٥٦٢ هـ .

٦ - مختصره لكتاب « حلية الأولياء لابي نعيم الاصفهاني » ت ٤٣٠ هـ .

٧ - مختصره لكتاب « مفردات ابن البيطار » ت ٦٤٦ هـ .

٨ - لطائف الذخيرة « وهو اختصار لكتاب « الذخيرة في محاسن أهل
الجزيرة لابن بسام ٣٠٣ هـ .

وغيرها كثير .

أما لسان العرب فهو أهم مؤلفات ابن منظور ، وقد جرى فيه
المؤلف على نفس النهج الذي اتبعه في سائر تاليفاته ، واعنى بذلك حسن
الجمع والنقل ، وحسن الترويض والعرض اليسر ، فقرأ يقول في مقدمة
معجمه « وأنا مع ذلك لا ادعى فيه دعوى فأقول شافهت أو سمعت أو

فعلت فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها الأزهرى وابن سيده لقائل مقالاً . وليس لي في هذا الكتاب فضيلة أمثها ، ولا وسيلة أتمسك بسببها سوى أنني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم .

فقد وجد من خلال شغفه بمطالعة كتب اللغات والاطلاع على تصانيفها وعلى تصارييفها ، وجد علماء هذه المؤلفات « بين رجلين : إما من احسن جمعة فاته لم يُحسِن وضعه ، وإما من أجاد وضعة فزانه لم يُجِد جمعه . فلم يُقَد حُسْنُ الجَمْع مع إساءة الرُّضْع ، ولا نُقِفَت إجادَةُ الرُّضْع مع رداءة الجَمْع » . فحاول ابن منظور في لسان العرب ان يجمع الحسنيين ، حسن الرضع وحسن الجمع .

ومصادر ابن منظور في معجمه « لسان العرب » كما ذكرها في مقدمته خمسة . يقول « وما تصرفت فيه (في اللسان) بكلام غير ما فيها (ما في هذه المؤلفات) من النص . فليقيد من ينقل عن كتابي هذا انه ينقل عن هذه الاصول الخمسة » .

اما هذه الاصول الخمسة فهي تهذيب اللغة للأزهري (ت ٢٧٠هـ) والمحكم لابن سيده، والصحاح للجوهري (ت ٤٠٠هـ) والحاشية على الصحاح لابن بري والنهاية لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)

يقول في مقدمته « ولم أجد في كتب اللغة أجل من « تهذيب اللغة » لابن منظور محمد بن أحمد الأزهرى ، ولا اكمل من « المحكم » لابن الحسن علي بن اسماعيل بن سيده الاندلسي وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق » . ودرأيت ابا نصر اسماعيل بن حماد الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره . . . وهو مع ذلك قد ضحُف وخُرِفَ وجَزِفَ فيما ضُرِفَ فأتى له الشيخ أبو محمد بن برى فتبع ما فيه ، وأمل عليه أماليه ، ولما أراد ابن منظور لكتابه أن يشتمل على جليل الاخبار وجميل الآثار وآيات القرآن الكريم والاشعار والامثال رأى أن « أما السعادات المبارك بن محمد

بن الاثير الجزري قد جاء في ذلك بالنهاية .

وقد حاول ابن منظور في مقدمته ان يشرح مناهج الكتب الخمسة ، وما لاحظته عليها من مشقة وعسر ، رأى معها أن يجمع منها ما يراه صالحاً ، وأن يرتبه « كما رتب الجوهري صحاحه » وذلك بتقسيم الكتاب على أبواب وفقاً لترتيب الحرف الاخير في الكلمة ، ثم يفرع على الباب فصولاً وفقاً لتوالي الحروف الأولى من كلمات الباب .

وبعد هذه المقدمة التي تناول فيها ابن منظور أهمية تأليفه لكتابه لسان العرب ، ومصادره في التأليف وقصور هذه المصادر ومنهج مؤلفيها ، ثم منهجه هو . بعد هذه المقدمة وضع ابن منظور فصلين تمهيديين ، تناول في الأول تفسير الحروف المقطعة التي وردت في أوائل بعض سور القرآن الكريم . وتناول في الفصل الثاني القاب الحروف وطبائعها وخواصها فذكر فيها أقوال علماء اللغة والنحو ومن تحدث عن الدلالات والاستخدامات السحرية للحروف كأبي العباس أحمد البوني واليعلبي . والشيخ أبي الحسن علي الخارلي (ت ٦٣٧ هـ) أما مادة الكتاب فتبلغ ثمانين ألف مادة مقسمة على حروف المعجم وفقاً للحرف الاخير في الكلمة . وطريقة ابن منظور في كل باب ان يبدأ بذكر الحرف وخواصه ثم يتبعه بمواد باب الحرف فيذكر كل ما يتعلق بالمادة من حيث الصياغة والاشتقاق والافراد والجمع والجريد والزيادة والمعنى والدلالة . غير ان ابن منظور لم يتبع في صياغته لمواد معجمه نظاماً يعينه ربما نتيجة لكثرة حشوه ونقولاته من المصادر الأخرى .

هذا وقد طبع لسان العرب أكثر من طبعة . طبعته المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٣٠٠ هـ في عشرين جزءاً تضمها عشرة مجلدات ، وهذه أول طبعات هذا المعجم وتعرف بطبعة بولاق .

وفي سنة ١٣٥٥ هـ قام عبد الله اسماعيل الصاري باعادة ترتيب مواد

اللسان ونقا للترتيب المجاني ، وطبعت من هذه المحارلة بغضمة أجزاء صغيرة ثم توقفت .

وطبعته « دار صادر » ببيروت سنة ١٣٧٤ هـ . في خمسة وسين جزءاً اعتماداً على طبعة بولاق .

ثم طبعته المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر طبعة مصورة عن طبعة بولاق كذلك . وطبعته « دار لسان العرب » ببيروت طبعة مصورة عن طبعة « دار صادر » وإن اختلفت عن طبعة دار صادر في أن موادها مرتبة على الحروف المجانية .

وتقوم حالياً دار المعارف (١٩٧٩ م) نشره في أجزاء بتحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله ومهاشم محمد الشاذلي في طبعة جديدة مرتبة على حسب حروف المعجم كما في المصباح المنير .

مصادر ومراجع

- ١ - ابن حجر : الدرر الكامنة
- ٢ - ابن منظور : لسان العرب
- ٣- د . حسن نصار : المعجم العربي
- ٤ - دائرة المعارف الإسلامية
- ٥ - الصفدي : أعيان العصر
- ٦ - د . عبد الله درويش : المعاجم العربية .

فناذج من لسان العرب
من خواص الحروف
(١)

« وأما خواصها : فإن لها أعمالاً عظيمة تتعلق بأبواب جليلة من أنواع المعالجات وأرضاع الطلّعات ولها نفع شريف بطبائنها ، ولها خصوصية بالافلاك المقدسة وملائمة لها ، ومنافع لا يُخصيها من يصفها ليس هذا موضع ذكرها ، لكننا لا بد أن نلوح بشيء من ذلك ننبه على مقدار نعم الله تعالى على من كشف له سرّها وعلمه عِلْمها ، وإباح له التصرف بها . وهو أن منها ما هو حار يابس طبع النار ، وهو : الالف والهاء والطاء والميم والقاف والشين والذال ، وله خصوصية بالثلثة النارية ، ومنها ما هو بارد يابس طبع التراب وهو الباء والواو والياء والنون والصاد والطاء والضاد ، وله خصوصية بالثلثة الترابية . ومنها ما هو حار رطب طبع الهواء وهو الجيم والزاء والكاف والسين والقاف والطاء وقه خصوصية بالثلثة الهوائية . ومنها ما هو بارد رطب طبع الماء وهو الدال والحاء واللام والعين والراء والحاء والغين وله خصوصية بالثلثة المائية .

ولهذه الحروف في طبائعها مراتب ودرجات ودقائق وثواب وثواب وروابع وخوامس يوزن بها الكلام ، ويعرف العمل به علماء ، ولولا خوف الاطالة ، وانتقاد ذوي الجهالة ويتمد أكثر الناس عن تأمل دقائق صنع الله وحكمته ، لذكرت هنا اسراراً من أفعال الكواكب المقدسة ، إذا ما زجتها الحروف تحرق عقول من لا اهتدى إليها ، ولا هجم به تنقية ويحط عليها ،

[فصل : القاب الحروف وخواصها]

(٢)

في الحديث عن حرف الهمزة

« هي حلقية في أقصى الفم ، ولها ألقاب كالألقاب الحروف الجوف :
فمنها همزة التانيث ، كهمزة الحراء والنفساء والعشراء ...
ومنها الهمزة الأصلية في آخر الكلمة مثل : الحفاء والبواء ...
ومنها همزة المدَّة المُبدلة من الياء والواو كهمزة السماء والبكاء ...
ومنها الهمزة المُجتَلبة بعد الألف الساكنة ، نحو همزة وائل وطائف ،
وفي الجمع نحو كتاب ومراثر .

ومنها الهمزة الزائدة نحو همزة الشمال والشَّمل ...
ومنها الهمزة التي تزداد لئلا يجتمع ساكنان نحو : اطمأن واشمأز ومنها
همزة الوقفة في آخر الفعل ، لغة لبعض دون بعض نحو قولهم للمرأة :
قولي وللرجلين قولاً ، وللجميع قولوة ، وإذا وصلوا الكلام لم يهمزوا
ويهمزون إذا وقفوا عليها .
ومنها همزة التوهم ، كما روى الفراء عن بعض العرب أنهم يهيمزون ما
لا همز فيه إذا صارع المهموز . قال : وسمعت امرأة من غنى تقول :
رشأت زوجي بأبيات ، كأنها لما سمعت رشأت اللبن ذهبت إلى أن مرثية
الميت منها .

ومنها الهمزة الأصلية الظاهرة نحو همز الخبء والدفع ...
ومنها اجتماع همزين في كلمة واحدة نحو همزي الرثاء والحفاوة .
ومنها اجتماع الهمزتين بمعنىين ، واختلاف النحويين فيها . قال الله
عز وجل « أَلْتَدْرَأْتُمْ » .

[حرف الهمزة]

(٣)

في الحديث عن الألف

• الألف : تاليها من همزة ولام وفاء ، وسُميت ألفاً لأنها تألف الحروف كلها . وهي أكثر الحروف دخولاً في المنطق ، ويقولون : هذه ألف مؤلفة .

وقد جاء عن بعضهم في قوله تعالى « ألم » أن الألف اسم من أسماء الله تعالى وتقدس . والله أعلم بما أراد والألف اللينة لا صرقت لها ، إنما هي بحرٌ منقذٌ بعد فتحة .

وروى الأزهري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ومحمد بن يزيد أنها قالا : أصول الألفات ثلاثة ويتبعها الباقيات :

والف أصلية ، وهي في الثلاثي من الأسماء .

والف قطعية وهي في الرباعي

والف وصلية وهي فيما جاوز الرباعي .

قالا : فالأصلية مثل ألف ألف وألف وما أشبهه .

والقطعية مثل ألف أحمد وأحمر وما أشبهه ،

والوصلية مثل ألف استباط واستخراج .

وهي في الأفعال :

إذا كانت أصلية مثل ألف أكل ،

وفي الرباعي إذا كانت قطعية مثل ألف أحسن

وفيما زاد عليه مثل ألف استكبر واستدرج إذا كانت وصلية .

[باب الهمزة]

(٤)

مادة بحث

والبَحْتُ : الخَالِصُ من كل شيء ، يُقال : غَزِيْتُ بَحْتُ ، واهْرَاقْتُ
بَحْتُ ، وَغَرِيَّةٌ بَحْتُ كَقَوْلِكَ تَحَضَّرَ . وَتَحَرَّرَ بَحْتُ وَتَحَوَّرَ بَحْتُ وَالتَّذَكَّرَ
بَحْتُ .

الجسرهري : غَزِيْتُ بَحْتُ أَيَّ عَضْر ، وكذلك المؤنث والاثنتان
والجمع .

وإن شئت قلت : امرأة عربية بَحْتُ ، وثبتت وجمعت .

وقال بعضهم لا يثنى ولا يجمع ولا يُحْتَرَفُ .

وأكل الحَبِزَ بَحْتاً بغير أتم . وأكل اللحم بَحْتاً بغير شَحِز ، وقال أحمد
بن يحيى : كُلُّ مَا أَكَلَ وَحْدَهُ عَمَّا يَتَوَقَّمُ وَفَهُوَ بَحْتُ ، وكذلك الأَقْمُ ، دون
الحَبِزِ ، والبَحْتُ : الصَّرْفُ وَشَرَابٌ بَحْتُ : غيرُ ممزوج .

وقد بَحْتُ الشيءُ بالضمُّ أي صار بَحْتاً ، ويقال يَرْدُ بَحْتُ لَحْتُ أَي
شدبذ ويقال : بَاخَتْ فُلَانُ الْقِتَالَ إِذَا صَدَّقَ الْقِتَالَ وَجَدَ فِيهِ ، وقيل :
البركاءُ مُبَاخَتَةُ الْقِتَالِ .

وبَاخَتْ الْوُدَّ أَي خَالَصَتْهُ ، ابن سيده : وبَاخَتْ الْوُدَّ ، اخْلَصَتْ لَهُ .
وبَاخَتْ الرَّجُلُ الرَّجُلَ : كَاشَفَهُ .

وفي حديث أنس : اخْتَضَبَ عُمَرُ بِالْجِنَاءِ بَحْتاً ، البَحْتُ : الخَالِصُ
الَّذِي لَا يَخَالِطُهُ شَيْءٌ . وفي حديث عمر رضي الله عنه : أَنَّهُ كَتَبَ إِلَيْهِ
أَخَذَ عَمَالَهُ مِنْ كُوْرَةٍ ذَكَرَ فِيهَا غَلَاءُ الْقَتْلِ ، وَكَرِهَ لِلْمُسْلِمِينَ مُبَاخَتَهُ الْمَاءِ
أَي شُرْبَهُ بَحْتاً ، غَيْرَ مَمْزُوجٍ بِحِلٍّ أَوْ غَيْرِهِ ، قيل : أراد بذلك ليكون
أَقْوَى لَهُمْ .

كتاب العبر وديوان البسائر والخبر في
ايام العرب والجمهورية والبربر وحيث
عاصرتهم من ذوي السلطان الكبير

لاين خلدون ٧٤٢-٨٠٨ هـ

ابن خلدون هو أبو زيد عبد الرحمن ولي الدين بن خلدون المالكي ،
وترجع أسرته إلى أصل يمني حضرمي استقرت في الاندلس مع العرب
الفاطمين لها ، واشتهروا باسم بني خلدون نسبة إلى جدهم خالد بن
عثمان .

وقد بقي بنو خلدون في اشيلية بلا زعامة ولا رئاسة طوال عهد
الدولة الاموية . حتى اذا جاء عهد الطوائف سطع نجمهم وخاصة بعد
اشتراك زعمائهم في موقعة « الزلاقة » التي انتصر فيها المعتمد بن عباد
وحليفه يوسف بن تاشفين المرابطي على الفونسو السادس ملك قشتالة عام
٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) فوصل بعضهم إلى مراتب الرياسة والوزارة .

كان أبوه « أبو عبد الله محمد » فقيها متصوفاً مقدماً في صناعة العربية
وله بصر بالشعر وفنونه .

أما عبد الرحمن فقد ولد بتونس في أول رمضان عام ٧٢٢ (١٣٢٢
م) ، ولما بلغ سن التعلم بدأ بحفظ القرآن وتجويده وكانت تونس آنذاك
مركز العلماء والادباء في بلاد المغرب .

ثم درس ابن خلدون العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه وأصول
وتوحيد على المذهب المالكي . ودرس العلوم اللسانية من لغة ونحو
وصرف وبلاغة وأدب ثم درس المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية
والرياضية .

كان معلمه الأول والده ، ثم لم يلبث أن تتلمذ على كبار علماء عصره .
ومشاجهم وقد ذكرهم في كتابه الذي ترجم فيه حياته وهو : التعريف بابن
خلدون ، ومنهم : محمد بن سعد بن بُرّال الأنصاري ومحمد بن العربي
الخصائري ومحمد بن بحر ومحمد بن عبد الله الحُبّاني الفقيه المالكي ومحمد
بن عبد المهيمن امام المحدثين والنحاة بالمغرب آنذاك ، وأبو عبد الله محمد
بن ابراهيم الأبي شيخ العلوم العقلية وكانت تشمل المنطق وما وراء
الطبيعة والعلوم الرياضية والعلوم الطبيعية والفلكية والموسيقى .

وفي فترة الدرس والتحصيل ، تمكن ابن خلدون من دراسة عدد من
أمهات الكتب العربية ومنها اللامية في القراءات والرائية في رسم المصحف
للشاطبي والتسهيل في النحو لابن مالك والأغاني لابي الفرج الاصفهاني
والمعلقات وكتاب الحماسة للأعلم وصحيح مسلم وموطأ مالك وعلوم
الحديث لابن الصلاح والسير لابن اسحق وغيرها .

ولم تطل مدة التفرغ للتحصيل والدرس عند ابن خلدون بسبب
الطاعون الذي انتشر في البلاد عام ٧٤٩ هـ وهجرة معظم العلماء والأدباء
الذين افلتوا من هذا الوباء من تونس الى المغرب الأقصى ، فانصرف ابن
خلدون إلى تحمل حيث تولى وظيفة كتابة العلامة ، في عهد ابن تافراكين
وزير الفضل بن السلطان ابي يحيى الحفصي ٧٥١ هـ ، وهي وضع الحمد
لله والشكر ثم بالقلم الغليظ مما بين البسطة وما بعدها من مخاطبة أو
مرسوم .

وتنقل ابن خلدون بعد ذلك في الوظائف والبلدان ، فعين عضواً في
المجلس العلمي بفاس عام ٧٥٥ في بلاط أبي عنان وهناك تمكن من متابعة
درسه وتحصيله على العلماء والأدباء الذين كانوا قد نزحوا إلى فاس من
الاندلس ومن تونس وغيرها من بلاد المغرب ، كما تمكن من زيادة اطلاعه

بانتخلافه إلى مكاتب فاس التي كانت من أغنى المكتبات الإسلامية آنذاك .

وفي فاس أيضاً تأمر ابن خلدون مع أمير من بني حفص ضد أبي عنان الذي بلغه أمر المؤامرة فألقى القبض عليهما ، وظل ابن خلدون محبوساً حتى موت أبي عنان ٧٥٩ هـ حيث عين في كتابة سراي سالم بن أبي الحسن أحد أخوة أبي عنان .

ولم تكن حياة ابن خلدون في هذه الفترة التي قضاها بالمغرب الأقصى حياة هادئة هائلة فقد تخللتها مؤامرات عديدة كان يشترك فيها ، وقد انتهت به واحدة من هذه المؤامرات إلى السجن على نحو ما مر بنا .

مكث ابن خلدون بالمغرب الأقصى نحو ثمان سنين قصد بعدها الأندلس ومكث بها سنتين من ٧٦٤ - ٦٦ هـ ما بين سبتة وغرناطة عاد بعدها إلى المغرب لمدة عشر سنوات ما بين بجاية ونسكرة وقاس ولم ينقطع خلالها عن الاشتراك في المؤامرات والمغامرات حتى إنه لم يجد بداً من الرحيل إلى الأندلس بعد أن أصبح موضع رية من أمراء المغرب ، فترك أسرته بفاس إلى الأندلس سنة ٧٧٦ ثم عاد مرة أخرى إلى المغرب وقد عزم على أن يترك شؤون السياسة وينقطع للقراءة والتأليف .

وفي هذه الفترة بدأ ابن خلدون في تدوين كتابه الموسوعي « العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » وكان حيثش في نحو الخامسة والأربعين من عمره « وقد نضجت معارفه واتسعت دائرة اطلاعه وارتقى تفكيره وأفاد بما فائدة من تجاربه ومشاهداته في شؤون الاجتماع الإنساني على العموم ، وخاصة لأنه قضى نحو ربع قرن في غمار السياسة متقلباً في خدمة القصور والدول

وقد اكملت هذه النسخة بعد أن هاجر الى مصر ، وأضاف ابن خلدون اليها أقسام كثيرة أخرى في تاريخ الدول الإسلامية في المشرق وفي الأندلس وتاريخ الدول القديمة والدول النصرانية والأعجمية وتاريخ المغرب .

كما نفع أقسام المقدمة وأضاف إليها بعض الفصول التي لم تكن موجودة من قبل .

ارتبطت حياة ابن خلدون على نحو ما مررنا في شطرها الأكبر بالسياسة ، فكانت سلسلة من مؤامرات البلاط لم يقدر لها النجاح^(١) . بل أوصلته في بعض المواقف الى السجن كما مررنا .

ولذا كان ابن خلدون في هذه المرحلة لم يستطع أن يحقق نجاحاً سياسياً ذا بال فقد تمكن بفضل هذا الاتصال والاشتراك الفعلي من أن يكون نظريته الخاصة بالسلطة السياسية ، وهي النظرة التي أفادته كثيراً في دراسته العلمية عن علم العمران وعوامل التفاعل في تكوين العمران الإنساني .

ويبدو أن انسحاب ابن خلدون من هذه الممارسة السياسية قد جاء نتيجة احساسه بالتمثل بعد عشرين سنة مضيئة لم يحقق منها مغشياً وكان هذا الانسحاب بداية مرحلة جديدة يطلق عليها الباحثون مرحلة التفرغ والتأليف^(٢) . وفيها كتب ابن خلدون موسوعته التاريخية التي ضمت المقدمة وأبواب كتاب العبر على نحو ما أوضحنا من قبل . ولقد أحس ابن خلدون بعد انتهائه من هذا العمل الذي استغرق ثمانى سنوات قضى أربع منها في قلعة ابن سلامة بوهران ، وأربع سنوات تالية في تونس ،

(١) جوستون بوتول : ابن خلدون (فلسفته الاجتماعية) ، ص ١٤ .

(٢) د . علي عبد الواحد وافي : عبد الرحمن بن خلدون ، ص ٧٧ .

أحس ابن خلدون خلال هذه المرحلة بل ربما قبل هذا بالتشوق الى العلم والرغبة في الانصراف عن السياسة ، ولذلك فلم يرتح كثيراً للحياة السياسية العاصفة في المغرب الشرقي وربما لم يجد فيها الطمأنينة التي كان يرجوها أخيراً فأثر الهجرة إلى بلد يكون أقل اضطراباً ، وهكذا بلغ مصر عام ٧٨٤ (١٣٨٢ م) .

وفي مصر تولى ابن خلدون عدداً من المناصب القضائية الدينية تملكتها سلسلة من الأحداث منها المنازعات والعداوات التي أثارها طبيعته الجافة .

يقول ابن خلدون في كتابه « التعريف » عن هذه الاحداث « فكثر الشعب عليّ من كل جانب ، وأظلم الجويني وبين أهل الدولة ، ووافق ذلك مصابي بالأهل والولد ، وصلوا من المغرب في السفن فأصابها قاصف من الريح فغرقت ، وذهب الموجود والسكن والمولود . فعظم المصاب والجزع ورجع الزهد واعتزمت على الخروج عن المنصب » (١) .

ومن هذه الاحداث التي تملكت حياته في فترة اقامته بمصر كذلك نجاته بما يشبه المعجزة من مذبحة تيمور لذك في دمشق .

رحل ابن خلدون إلى مصر في فترة كانت القاهرة يومئذ موئل التفكير الاسلامي في شرق والمغرب ، وكان لسلطينها المساليك شهرة واسعة في حماية العلوم والاعمال في المدارس العديدة التي انشئوها ، وفي الجامع الأزهر الذي أنشئ من قبلهم في عهد الفاطميين (٢) .

وكان ابن خلدون حينئذ في الثانية والخمسين من عمره « ولكنه كان لا يزال موفور النشاط والقوة ، متطلعاً إلى مراتب العزة والنقوذ عن طريق

(١) التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، ص ٢٦٠

(٢) د . علي عبد الواحد وافي : عبد الرحمن بن خلدون ، ص ٩١ ، ٩٢

كفايته العلمية لا عن طريق المغامرات السياسية التي ملتها نفسه وهاجر من المغرب فراراً من ويلاتهما .

وفي الأزهر تصدر ابن خلدون حلقة للتدريس العام فدرس الحديث والفقه المالكي ونظرياته الاجتماعية التي ضمنها مقدمته ، وكانت هذه المقدمة قد سبقته الى القاهرة فأعجبت العلماء بطرافتها وجدتها .

وفي مصر تمكن ابن خلدون من مراجعة مؤلفه الكبير ومقدمته فأضاف عدة فصول متصلة بتاريخ الدولة الاسلامية في المشرق وتاريخ الدول القديمة والدول النصرانية والأعجمية ، ووصل في رواية حوادث المشرق والأندلس والمغرب الى أواخر القرن الثامن الهجري .

كذلك قام ابن خلدون في هذه الفترة بتنقيح كتابه التعريف الذي سماه أولاً « التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب » وذيّل به كتاب « العبر » . وأضاف اليه ما استجد من أحداث فوصل به إلى نهاية عام ٨٠٧ هـ إلى قبيل وفاته بشهور .

ولما رأى ابن خلدون أن هذا التعريف قد أصبح كبير الحجم بما أضافه اليه من تنقيحات وزيادات ، فصله عن كتاب العبر واستبدل بعنوانه القديم عنواناً آخر فسماه « التعريف بابن خلدون مؤلف الكتاب ورحلته غرباً وشرقاً » .

ثم قدم نسخة من المؤلف كله : المقدمة والتاريخ والتعريف الى الملك الظاهر برفوق . كما أرسل نسخة منه إلى خزانة الكتب في جامع القرويين بفاس مهداة الى سلطان المغرب أبي فارس عبد العزيز ابن أبي الحسن حوالي عام ٧٩٩ .

ونعرف هذه النسخة الاخيرة باسم النسخة الفارسية نسبة الى

السلطان أبي فارس وعنها نقلت في صورة مباشرة أو غير مباشرة جميع الطبقات المتداولة في العالم العربي المقدمة ابن خلدون ، (١) .

وفي السادس والعشرين من رمضان سنة ٨٠٨ هـ (١٦ مارس ١٤٠٦ م) توفي ابن خلدون فجأة عن ستة وسبعين عاماً ، ودفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر .

تحدث ابن خلدون عن ثقافته في « التعريف » ومنها نرى أنه كان مثلاً للمثقف الموسوعي الذي يسعى للحصول على جميع أنواع المعارف ، فبعد أن حفظ القرآن عن ظهر قلب في التاسعة من عمره ، أمضى بعد ذلك خمس سنوات في شغل نفسه بفقه اللغة وقواعد اللغة والنحو والنثر والشعر واشتقاق الكلمات ومؤلفات متعلقة بعلم الحساب . وفي الرابعة عشرة ، طرق دراسة علم الفلك وعلم التنجيم وعلم هندسة إقليدس وأما لجست أخذاً عن الطرائق المختلفة لاساندة مدرسة البصرة واليونانيين المحدثين والهنود واليونانيين القدماء والبابليين ، ثم درس الفقه والشرائع والأحاديث وتفسيرات القرآن .

ولم ينقطع ابن خلدون عن طلب العلم حتى بعد أن تخطى مرحلة التحصيل ، فدرس بعد الثلاثين اللغات التي كتبت بها التوراة والمزامير والانجيل كما درس المنطق والطب والرياضيات العليا والاقتصاد السياسي والعلوم الخفية .

وقد بدا تأثير هذه الثقافة الموسوعية في مؤلفه الموسوعي في التاريخ العام من خلال منهج يمكن أن يوصف بالذهنية الوضعية . ذلك أن فلسفة ابن خلدون في تأليفه لموسوعته هذه قامت على الملاحظة التحليلية

(١) د . علي عبد الواحد وافي : عبد الرحمن ابن خلدون ، ص ١٢٥ .

المعبر عنه . فكان سوفف اجتماع الأكثر على شرح وتعليل المبادئ
(التاريخ) وذلك في موضوعية تنفق مع الواقع .

وتنقسم موسوعة ابن خلدون ثلاثة أقسام رئيسية هي :
المقدمة وكتاب العمر وكتاب التعريف .

أما المقدمة وهي التي تنطلق الآن على المجلد الأول من المجلدات
المقدمة الثانية وأخير مقدمة تليها بولاق ١٤٦٨ م . فتشتمل على :

١ . مقدمة المقدمة والتي هي مقدمة للمقدمة التي هي مقدمة
المقدمة التي هي مقدمة للمقدمة التي هي مقدمة إلى المقدمة الثانية
تليها مقدمة المقدمة وبقية المقدمة .

٢ . المقدمة المقدمة فيها ابن خلدون من فضل التأليف والمقدمة وما وضع
فيه المراجعون من المبادئ والأحكام .

٣ . الكتاب الأول ونحوه في طبيعة العمران في المقدمة ، ويتناول على
طبيعة العمران في ابن خلدون عن التاريخ وموضوعه وأسباب الخطأ في
رواية عوانته ، كما أشار إلى موضوعات هذا الكتاب وهي ستة
موضوعات تناول فيها ظواهر الاجتماع الإنساني من خلال الموضوعات
الآتية :

الفصل الأول في العمران البشري على الجملة ويشتمل على ست مقدمات
الفصل الثاني في العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل في تسعة
وعشرين فصلاً

الفصل الثالث في الدول العامة والملك والخلافة والمرتبات السلطانية في
أربعة وثلاثين فصلاً .

الباب الرابع في البلدان والأمصار وسائر العمران في اثنين وعشرين فصلاً

الباب الخامس في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من الاحوال في واحد وستين فصلاً .

وتشمل هذه المقدمة كما يتضح من عرضنا لفصولها جملة من العلوم والمعارف البشرية في التاريخ ومنهج البحث فيه وفي الجغرافية بفروعها المختلفة وفي نظم الحكم والسياسة ونشأة المجتمعات واختلاف المدن عمرانيا واجتماعيا واقتصادياً ولغويّاً وفي مختلف فروع العلوم والفنون والآداب ونظم التربية والتعليم وغيرها .

ويضم كتاب العبر الكتاب الثاني والثالث من الموسوعة وهما بحوث تاريخية تناولت في الكتاب الثاني أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبدأ الخليقة الى عهده ، وكذلك الاشارة إلى أخبار من عاصرهم من الأمم المشاهير ودولهم مثل النبط والسريانيين والفرس وبني اسرائيل والقبط واليونان والروم والترك والافرنجة ، ويقع هذا الكتاب في أربعة مجلدات من طبعة بولاق من المجلد الثاني حتى المجلد الخامس .

وفي الكتاب الثالث تناول ابن خلدون تاريخ البربر ومن اليهم من زنانة وذكر أوليتهم وأجيالهم وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملك والدول ، ويقع هذا الكتاب في مجلدين من طبعة بولاق هما السادس والسابع .

وتأتي القيمة العلمية لهذا الجزء التاريخي من موسوعة ابن خلدون في تصحيحه لأخبار أسلافه من المؤرخين كابن هشام والواقدي والطبري والمسعودي وغيرهم ، وفيما تضمنه الكتابان من بحوث تاريخية استمدتها من مشاهداته وقراءاته الخاصة التي لم يطلع عليها مؤرخو العرب من قبله ، ومن بعض مصادر كانت موجودة في عصره ولم تصل إلينا . ويدور هذا على الاخص في حديثه عن دول الاسلام في صقلية وعن تاريخ الطوائف

بالاندلس والممالك النصرانية في اسبانيا وتاريخ دولة بني الاحمر في
غرناطة»^(١) .

اما الجزء الثالث من موسوعة ابن خلدون ، فتشتمل الى ما يعرف الآن
بالترجمة الذاتية Auto - Biographie ويشمل هذا الجزء كتاب ابن خلدون
« التعريف » .

وفي هذا التعريف كتب ابن خلدون ترجمة مستفيضة لنفسه وساحاط
به من حوادث متناولاً كل ذلك « في دقة المؤرخ الامين الحريص على
الاستيعاب والشمول »^(٢) .

وتأتي أهمية كتاب التعريف إلى جانب ما فيه من كشف عن جوانب
حياة ومكونات الكاتب ، فيما يتناوله من حوادث وأحوال للمجتمعات
والنظم التي كان له علاقة بها ، وفي ذلك الحشد من الرسائل والاشعار
التي تلقاها ابن خلدون من أصدقائه ، وما قام به ابن خلدون من تراجم
لمعظم من عرض لذكرهم في كتابه .

وقد ألحق ابن خلدون هذه الترجمة بكتابه العبر وجعلها في باب سماه
« التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب » . ويقع هذا الباب في نحو
مائة صفحة من القطع الكبير في آخر المجلد السابع من طبعة بولاق ثم
أدخل ابن خلدون أثناء مقامه بمصر الكثير من التعديلات والزيادات كما
أشرنا من قبل ، وكان قد وقف في الجزء الذي احتفظت به طبعة بولاق
عند مستهل عام ٧٩٧ هـ ، فأضاف الى النسخة المنقحة المزايدة المرحلة
الاخيرة من حياته والتي امتدت حتى نهاية ٨٠٨ هـ مما ضاعف من حجم

(١) د علي عبد الواحد وافي ، ص ٢٣٤

(٢) د علي عبد الواحد وافي ، ص ٢٣٩

نصوص من ابن خلدون

النص الاول

« فالقانون في تميز الحق من الباطل في الاخبار بالامكان والاستحالة ،
ان ينظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ، ولميز ما يلحقه لذاته
ويعتضى طبعه ، وما يكون عارضاً لا يعتد به ، وما لا يمكن ان يعرض له .
وإذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانوناً في تميز الحق من الباطل في
الاخبار ، والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه .
وحيث إذا سمعنا عن شيء من الاحوال الواقعة في العمران علمنا
ما نحكم بقبوله مما نحكم بتريغه . وكان ذلك لنا معياراً صحيحاً يتحرى
به المؤرخون طريق الصواب فيما ينقلونه ، وهذا هو عرض الكتاب الاول
من تأليفنا . وكان هذا علم مستقل بنفسه » .
[مقدمة ابن خلدون ، طبعة لجنة البيان العربي ، ص ٢٦٥] .

تعليق

يشير ابن خلدون في هذه الفقرة إلى حرصه على تخلص البحوث
التاريخية من الاخبار المشكوك فيها والكاذبة كما يشير كذلك إلى أهمية مراعاة
المؤرخ لهذه الظاهرة وذلك بالقدرة على تمييز المحتمل وغير المحتمل من
الاخبار المتعلقة بظواهر الاجتماع .

وابن خلدون حق في هذا ، فقد كانت كتب التاريخ آنذاك وقبل ذلك
لا تفرق بين الصحيح والكاذب من الاخبار كما كانت تجمع مادة اخبارية
كثيرة يتداخل فيها المشكوك فيه والخرافي مع الاخبار الحقيقية .
وقد ناقش ابن خلدون هذه الظاهرة في عدد من المؤلفات السابقة

الكتاب في وضعه الأول ، فاستدله ابن خلدون بعنوان آخر هو : التعريف
بابن خلدون مؤلف الكتاب ورحلته شرقاً وغرباً .

هذا وقد طبعت المقدمة منفصلة عدة طبعات منها :

١ - طبعة لجنة البيان العربي في أربعة أجزاء بتحقيق الدكتور علي عبد
الواحد وافي .

ط - طبعة مطبعة التقدم ، وأخرجها مصطفى فهمي الكشي عام
١٣٢٩ هـ .

٣ - طبعة باريس التي أشرف عليها المستشرق كاترمير عام ١٨٥٨ م .

أما كتاب العبر فقد طبع بمطبعة بولاق عام ١٢٨٤ هـ (١٨٦٨) في
سبعة مجلدات وضم المقدمة وكتاب العبر والجزء الخاص بالتعريف .

هذا وقد طبع التعريف طبعة منفصلة اعتماداً على نسختين خطيتين
للمؤلف بمكتبي أيا صوفيا وأحمد الثالث ، وذلك في طبعة قامت بها لجنة
التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٥١ وهي طبعة مزودة بمقدمة وفهارس
وكثير من الحواشي والشروح والتعليقات القيمة قام بها شقيقها محمد بن
تاويت الطنجي .

مراجع ومصادر

- السخاوي : الضوء اللامع في أعيان القرن الرابع ، ج ٤ .

- ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، ط . لجنة
التأليف والترجمة ، تحقيق محمد تاويت الطنجي ، ١٩٥١

- المبروديوان المبدأ والخبر ، ط . بولاق ١٢٨٤ هـ (١٨٦٨ م)
- جوستون بوتول : ابن خلدون ، فلسفته الاجتماعية ،
ترجمة غنيم عبدون ، المؤسسة المصرية العامة ، القاهرة ١٩٦٤
- د . علي عبد الواحد وافي : عبد الرحمن بن خلدون ، سلسلة اعلام
العرب ، مكتبة مصر .
- محمد عبد الله عنان : ابن خلدون حياته وتراثه الفكري .

وخاصة السعودي . ويرد ابن خلدون في بحثه لهذه الظاهرة اسباب تفشي الكذب في الخبر في مؤلفات السابقين الى امور يتصل بعضها بشخص المؤرخ وميوله وميول من ينقل عنهم كالتشيع للاراء والمذاهب ، فان هذا التشيع يجلب عن المؤرخ قدرة وفسطة الانتقاد والتمحيص فيقع في قبول الكذب ونقله ويرى ابن خلدون في هذا الصدد أن عمل المؤرخ أن يكون موضوعيا وذلك بالتجرد من الهوى والتشيع .

كذلك يرى ابن خلدون من أسباب تفشي الكذب في الخبر جهل المؤرخين بالقوانين التي تخضع لها الظواهر الطبيعية مما يؤدي بهم إلى قبول أخبار تحكم هذه القوانين باستحالة حدوثها .

ومنها كذلك الجهل بالقوانين التي تخضع لها ظواهر الاجتماع الانساني ، ويتطلب هذا عند ابن خلدون المعرفة بالعلوم الطبيعية وقوانينها والمعرفة بطبائع الاحوال في العمران .

والفقرة السابقة من مقدمة ابن خلدون ، يشير فيها المؤلف الى ذلك العلم الجديد الذي يقول عنه بعد ذلك « ولعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليفة » وهذا العلم الجديد هو علم العمران أو علم الاجتماع الانساني ، وهو العلم الذي يبحث في قوانين الظواهر العمرانية (الاجتماعية) كظواهر يمكن خضوع حوادثها لقوانين ثابتة مطردة كالقوانين الطبيعية .

فالوقوف على طبيعة الظواهر الاجتماعية وما تخضع له من قوانين هو ميدان علم العمران وهو ما تكشف عنه الفقرة السابقة .

النص الثاني

« حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران

العالم ، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوجش
والتأنس والمصيبات وأصناف التقلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ
عن ذلك من الملك والدول ومراتبها ، وما يتحله البشر بأعمالهم
ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث في ذلك
العمران بطبيعته من الأحوال .

تعليق

يعتبر هذا التعريف بحق من أتم التعريفات ، بل انه يتجاوز الميدان
الحقيقي للتاريخ فيحمل بذور جميع العلوم الاجتماعية كما هي مفهومة
وموجودة في الوقت الحاضر^(١)

فابن خلدون يشير في هذا التعريف الى الاهتمام بالبحث عن نشأة
الحضارة وتكوين المجتمعات كما يشير الى الظواهر الاقتصادية وعلاقتها مع
البيئة الطبيعية والجغرافية ، كما يشير أيضا الى الظواهر السياسية وإقامة
علاقات التبعية بين البشر ونشأة الدول . وهو منهج يدل على بوضوح على
ذهن علمي يقوم على الملاحظة التحليلية للحوادث وهو المنهج الذي
اعتمده ابن خلدون في تأليفه لمؤهرعته التاريخية بشكل عام .

النص الثالث

« اعلم أرشدنا الله وإياك ، أنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات
كلها على هيئة من الترتيب والاحكام ، وربط الأسباب بالمسيبات واتصال
الأكوان بالأكوان ، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض ، لا تنفسي
عجائبه في ذلك ولا تنتهي غاياته . وأبدأ في ذلك بالعالم المحسوس

(١) انظر جوستون بوتول : ابن خلدون ، ص ٣٦ .

الجسماني ، وأولا عالم العناصر المشاهدة ، كيف تدرج صاعداً من الأرض الى الماء ثم الى الهواء ثم الى النار متصلاً بعضها ببعض وكل واحد منها مستعد لأن يستحيل الى ما يليه صاعداً وهابطاً ويستحيل بعض الاوقات

ثم انظر الى عالم التكوين كيف ابتدا من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدرج : آخر ألق المعادن متصل بأول ألق النبات مثل الحشائش ومالا بذرله ، وآخر ألق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول ألق الحيوان مثل الخنزير والصدف ، ولم يوجد لهما الا قوة اللمس فقط .

ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر كل ألق منها مستعد بالاستعداد الفطري لأن يصير أول ألق الذي بعده .

واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه ، وانتهى في تدرج التكوين الى الانسان صاحب الفكر والرؤية ، ترتفع اليه من عالم القردة الذي اجتمع فيه الكيس والادراك ، ولم يته الى الروية بالفعل ، وكان ذلك أول ألق الانسان من بعده .

[مقدمة ابن خلدون ، ط . لجنة البيان العربي ، ص : ٣٥٢ -

[٣٥٤

_____ تعليق : _____

يشير ابن خلدون في هذا النص من المقدمة السادسة من الباب الأول الى موضوع بيرلوجي هام يتصل بارتقاء الانواع واتصال بعضها ببعض وانشعاب بعضها عن بعض وهو ما ذهب اليه الارتقائيون - Evolution- nistes بعد ذلك بشأن ارتقاء الانواع وتطورها .

وبالرغم من ان عدداً من المؤلفين العرب قد سبقوا ابن خلدون في الحديث عن فكرة تقسيم الكائنات الى مراتب يتصل آخر كل مرتبة بأول

المرتبة التالية مثل الفارابي في « آراء أهل المدينة الفاضلة » والقزويني في « عجائب المحلوقات » وابن الطفيل في « حي بن يقظان » وابن مسكويه في « تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق » ، الا ان نظرة ابن خلدون إلى هذا التطور والانصال كانت أكثر تطوراً من الناحية البيولوجية .

ذلك أن النظرة السابقة عند العلماء العرب قبل ابن خلدون رأت أن الرقي رقي في الرتبة فحسب ، ولذلك كان ترتيب الكائنات لديهم ترتيباً عقلياً منطقياً ، كما أن أحداً منهم لم يقل بامتناع هذه الكائنات بعضها إلى بعض .

اما ابن خلدون فقد قامت نظريته كما يتضح من النص على أن الارتقاء في الكائنات قائم على أساس عضوي بيولوجي ، كما انه قرر في عبارات صريحة أن الكائنات الاخيرة من كل مرتبة قابلة بطبيعتها لأن تستحيل إلى الكائنات الأولى من المرتبة التي تليها^(١)

النص الرابع

الشدة على المتعلمين مضرة بهم .

« وذلك أن ارهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم ، سيما في اصاغر الولد ، لانه من سوء المَلَكَة . ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين او المماليك او الخدم مطابه القهر ، وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب نشاطها ، ودعا إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث ، وهو الظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقا ، وفقدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن وهي الحمية والمدافعة عن

(١) انظر د . علي عبد الواحد واقي : عبد الرحمن ابن خلدون ، ص ٣١٦ - ٣٢٠ .

مودعة بخزائن الديوان مما ساعده وأعانته في كتابة مؤلفه الضخم « صبح الأعشي » .

وبالرغم من أن كتاب التراجم الذين تحدثوا عن القلقشندي تناولوه على نحو مجمل وسريع ، إلا أنهم مع هذا ذكروا له عدداً كبيراً من الكتب والمؤلفات منها :

شرح لجامع المختصرات في فروع الشافعية ، وحلية الفضل والكرم في المفاضلة بين السيف والقلم - وشرح على قصيدة بانث سعاد باسم « كنه المداد في شرح بانث سعاد » - ومقامة في تقرير القاضي بدر الدين بن علاء الدين رئيس ديوان الإنشاء في ذلك الوقت باسم « الكاك الك الدرية في المناقب البدرية » - وكتاب « نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب » - وكتاب « قلائد الجمان في التعريف بقياتل عرب الزمان » - وكتاب « صبح الأعشي في صناعة الإنشاء » .

فالقلقشندي إذن رجل من أعظم بناء الثقافة العربية في العصور الوسطى ، عاش حياة حافلة في عصر المماليك أمضاها في العلم والعمل والدراسة والتأليف ، وترك مساهمة الراضحة في إثراء المكتبة العربية بمؤلفاته التي تناولت شتى الموضوعات . وأهم هذه المؤلفات كتابه المعروف باسم « صبح الأعشي في صناعة الإنشاء » .

وكتاب صبح الأعشي حشد من العلم والمعرفة التي تمثل ثقافة صاحب ديوان الإنشاء من ناحية ، والتي رآها من ناحية أخرى ضرورة لكاتب الديوان ، وعليه أن يحذقها جيداً ويقف فيها على أصول كل فن من فنونها . ثم هو في النهاية كشف عن تقدير حضاري للثقافة ودورها في رقي المواطن والدولة .

وكان القلقشندي قد وضع قبل « صبح الأعشي » رسالة موجزة بين فيها ما يحتاج إليه كاتب الإنشاء من المواد وما تقتضيه هذه الوظيفة من أصول ورسوم ، فلاقى هذه الرسالة استحسان أول الأمر الذين أشاروا

عليه أن يسطر الكلام في هذا الموضوع ، وأن يلحق رسالته بمؤلف جامع في أصوله وفنونه ، فعكف القلقشندي على البحث والتأليف طوال عشرة أعوام مكنها في تأليف موسوعته ، واستعان في هذا التأليف بمختلف المكاتب الرسمية التي كانت في الديوان إلى جانب العديد من المؤلفات الأدبية والعلمية ، حتى اجتمعت لديه من ذلك مادة غزيرة رتبها على مقدمة وعشر مقالات هي مادة الأربعة عشر مجلداً المعروفة بإسم صبح الأعشي في صناعة الإنشاء . وتناولت المقالات ثقافة كاتب الإنشاء وثقافة الكاتب عامة الجغرافية والتاريخية والثقافة الديوانية وتحرير المكاتب ومصطلحات الكتابة العربية والولايات والبيعة ومقالة في الوصايا والمسامح ومقالة في الإقطاع والقطائع ومقالة في الإيمان ، ومقالة في كتب الأمان وتشمل عقود أهل الذمة وكتب الهدنة ، ثم المقالة العاشرة في كتب غير ديوانية .

وكتاب صبح الأعشي على هذا النحو إلى جانب أنه معرض لأثار الكتابة الديوانية حتى زمن المؤلف فهو شرح للنظم الإدارية التي سارت عليها الدول الإسلامية ، ووصف لمصر من جميع نواحيها وعلاقاتها بالدول المرتبطة بها سياسياً واقتصادياً . وهو بيان لحال اللغة العربية في عصورها المختلفة ، وانتشارها في بلاد متراصة مثل الصين والهند والأندلس إلى جانب فارس والروم ، ودراسة لهذه اللغة التي نجحت في وقت قصير إلى أن نصير لغة الدين والأدب والعلم والحكم والسياسة .

ومن هنا اتسعت المصادر التي اعتمد عليها القلقشندي في تأليفه لكتابه وتنوعت ، فإلى جانب المحفوظات المصرية التي اضطلع عليها في ديوان الإنشاء والتي تمثل الوثائق والمراسلات السلطانية والدبلوماسية خلال العصور المتعاقبة ، إلى جانب هذه المحفوظات ذكر القلقشندي عدداً من الكتب التي رجع إليها واعتمد عليها في تأليفه لموسوعته هذه ومن هذه الكتب التي تمثل من ناحية أخرى بتنوعها مدى ثقافة القلقشندي :

- ذخيرة الكتاب لابن حاجب النعمان .
- حسن التوسل في صناعة التوسل لشهاب الدين محمود الحلبي .
- المثل السائر لابن الأثير .
- كتاب الصناعة لأبي هلال العسكري .
- الملل والنحل للشهرستاني .
- كتاب قوانين الدواوين لأبن عمات .
- العقد الفريد لابن عبد ربه .
- حياة الحيوان للدميري .
- أدب الكاتب لابن قتيبة .
- الأحكام السلطانية للماوردي .
- تقويم البلدان لأبي الفدا صاحب حماة .
- المسالك والممالك لابن فضل الله العمري .
- عجائب المخلوقات لابن الأثير .
- فضائل العرب لابن أبي عبيدة .
- معالم الكتابة لابن شيت .
- المسالك والممالك لابن خردادبة .
- صنعة جزيرة العرب للهمداني .
- معجم ما استعجم للبكري .
- تحفة الألباب ونخبة الاعجاب لأبي حامد الفرناطي .

القاسم السعدي لأبي الربيعان البيروني .

مختصر المعاني لابن وصيف شاه .

وغيرها كثير من الكتب التي احتاج إليها في موسوعته التي تناولت الأدب والكتابة والأنساب والجغرافيا والتاريخ وغيرها .

قلنا من قبل إن كتاب صبح الأعشى ينقسم إلى مقدمة وعشرة أبواب . أما المقدمة فهي في الواقع مؤلفاً أدبياً رائعاً شغل من الجزء الأول مائة وأربعين صفحة تناول فيها الفلقشندي فضل الكتابة ومدح أفاضل الكتاب ، وتحديد مصطلح الكتابة والإنشاء مرجحاً النثر على الشعر في هذه الصناعة ، ثم تناول آداب الكتابة وصفات الكاتب وآداب المهنة ونحدث في لمحة تاريخية عن تاريخ ديوان الإنشاء منذ نشأته .

وتكشف هذه المقدمة عن إحاطة المؤلف بموضوعه وتفهمه للمنهج الذي اعتمده في تناول هذا الموضوع وحرصه على تحري الدقة والأمانة في عرضه لجهد السابقين . فقد بدأ المؤلف مقدمته ببواعث مؤلفه هذا وأهمية البواعث والمؤلف نفسه بقوله : ولما كانت الكتابة من أشرف الصنائع وأرفعها ، وأربح البضائع وأنفعها . . . لاسيما كتابة الإنشاء التي لا يلتفت الملوك إلا إليها ، ولا تعمل في المهمات إلا عليها ، يعظمون أصحابها ، ويقربون كتابها . . . وكانت الديار المصرية أعز الله حماها . لم يزل يعلو قدرها ، ويسمى ذكرها إلى أن صارت دار الخلافة العباسية وقرار المملكة الإسلامية . . . وحظيت من فضلاء الكتاب مما لم تحظ به مملكة من الممالك . . . وحثت من أهل الفضل والأدب بما لم يحوقطر من الأقطار . . . استخرت الله في كتابة هذا التاريخ .

وفي تقسيم المؤلف لكتابه إلى مقدمة وعشر مقالات وخاتمة ما يدل على نوافر منهج التنسيق والتنظيم والحرص على الالتزام بخطة بحث مرتبة متصلة . ليس هذا فحسب بل إننا نرى في داخل المقالة الواحدة الأبواب

نماذج من كتاب صبح الأعشى
في الكتابة وفضائلها

(١)

وذلك أن كل ذي صنعة لا بد له في معاناتها من مادة جسمية تظهر فيها الصورة ، وآلة تؤدي إلى تصويرها ، وغرض ينقطع الفعل عنده ، وغاية تُستثمر من صناعته . والكتابة إحدى الصنائع فلا بد فيها من الأمور الأربعة :

فمادتها الألفاظ التي تخيلها الكاتب في أوهامه ، وتصوّر من ضمّ بعضها إلى بعض صورة باطنة تامة في نفسه بالقوة ، والخط الذي يخطه القلم ، ويقيّد به تلك الصور . وتصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة وآتله القلم . وغرضها الذي ينقطع الفعل عنده تقيّد الألفاظ بالرسوم الخطية ، فتكمل قوة النطق وتحصل فائدته للأبعد كما تحصل للأقرب ، وتحفظ صورته ، ويؤمن عليه من التغير والتبدل والضّياع . وغايتها الشيء المستثمر منها ، وهي انتظام جمهور المعاون والمرافق العظيمة ، العائدة في أحوال الخاصة والعامة بالفائدة الجسمية في أمور الدين والدنيا .

ولما كان التقيّد بالكتابة هو المطلوب ، وقع الحوض من الشارع عليه ، والحث على الإعتناء به تنبيهاً على أن الكتابة من تمام الكمال ، من حيث أن العمر قصير والوقائع متسعة ، وماذا عسى أن يحفظه الإنسان بقلبه أو يحصله في ذهنه .

قال ذو الرمة لعيسى بن عمر : أكتبْ ثُمري ، فالكتابُ أعجبُ إلي

والفصول المرتبطة ببعضها والمتشعبة بعضها البعض . فنسأله في المقالة الأولى
وجزء من المقالة الثانية يتحدث عن ثقافة كاتب الإنشاء فيقسمها قسمين
كبيرين هما الأمور العلمية والأمور العملية . أما الأمور العلمية فتتألف من
علوم العربية كاللغة والنحو والصرف وغيرها وعلوم أنساب العرب
والعجم ، وعلوم تواريخ الأمة العربية والأمم الأخرى وعلوم المسالك
والممالك وتشمل الثقافة الجغرافية وعلوم لغات الأعاجم وفن الوصف وما
يتصل به من قدرة تمييز في الإنسان والحيوان والدواب والوحوش والطير
والآلات على اختلافها والأحجار الكريمة .

أما الأمور العملية فتتألف من معرفة فن الخط العربي من حيث فصيلته
وتاريخه وتحسينه وهندسة الحروف وطريقة إمساك القلم واستخدام الدواة
 وأنواع الأقلام المستعملة في ديوان الإنشاء وصورة الحروف وضبط الكلمات
 بالشكل وغيرها مما يتصل بفن الخط .

ويتناول القلقشندي كل جزء من هذه الأجزاء بالدرس والشرح
والتفصيل ، حتى إذا انتهى من الجزء انتقل إلى الآخر وهكذا .

ولأهمية صبح الأعشي المصدرية خاصة فيما أورده من الوثائق
والنصوص الرسمية التي تلقي الضوء على تاريخ مصر الإداري في عصور
الخلفاء والسلاطين ، وعلى السياسة الخارجية لمصر ، والتي شغلت المقالتين
الرابعة والخامسة في نحو ثلاثة مجلدات من منتصف المجلد السادس إلى
أواخر المجلد الثامن ، لهذه الأهمية ترجمت منه مجموعة من هذه الوثائق إلى
الفرنسية كما ترجمت مختارات أخرى منه إلى الفرنسية والألمانية .

وقد أخرجت دار الكتب المصرية الكتاب في أربعة عشر مجلداً ما بين
سنوات ١٩٠٣ - ١٩١٩ ، وإن كانت الطبعة خالية من الفهارس التي تعين
الباحث وتوفر له مشقة التنقيب في هذا المصدر الجليل .

- ١ - ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، الجزء السابع .
- ٢ - أحمد أمين : ضحى الإسلام ، الجزء الأول .
- ٣ - د . أحمد عزت عبد الكريم بالاشتراك مع آخرين :
أبو العباس الفلقشندي وكتابه صبح الأعشي .
- ٤ - السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، الجزء الثاني .
- ٥ - الفلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الأنشاء .
- ٦ - د . عبد اللطيف حمزة : الفلقشندي في كتابه صبح الأعشي .

من الحفظ . إن الأعرابي لينسى الكلمة قد سهرتُ في طلبها ليلةً فيضَع
موضِعها كلمة في وزنها لا تساوِها . والكتاب لا يسي ولا يبدل كلاماً
بكلام . .

[صبح الأعني - ج ١ - ص ٣٦ - ط . دار الكتب ١٩١٣] .

في التعريف بديوان الإنشاء

« لا خفاء في أنه اسم مركب من مضاف وهو ديوان ومضاف إليه وهو الإنشاء . أما الديوان فإسم للموضع الذي يجلس فيه الكتاب وهو بكسر الدال . قال النحاس في صناعة الكتاب ، وفتحها خطأ قال : « وأصله ديوان فأبدلت إحدى الواوين ياء فقليل ديوان ويجمع على دواوين .

واختلف في أصله ، فذهب قوم إلى أنه عربي . قال النحاس : « والمعروف في لغة العرب أن الديوان الأصل الذي يُرجع إليه ويُعمل بما فيه ، ومنه قول ابن عباس : « إذا سألتوني عن شيء من غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب » . ويقال دوتته أي أثبتته وإليه يميل كلام سيويه .

وذهب آخرون إلى أنه عجمي وهو قول الأصمعي وعليه اقتصر الجوهري في صحاحه ، فقال الديوان « فارسي معرب » وقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية : في سبب تسميته بذلك وجهين . أحدهما : أن كسرى ذات يوم اطلع على كتاب ديوانه في مكان لهم وهم يحسبون مع أنفسهم فقال « ديوانه » أي مجانين فسُمي موضعهم بهذا الاسم ولزمه من حيثئذ ثم حذفت الهاء من آخره لكثرة الاستعمال تخفيفاً ، فقل ديوان وعليه اقتصر أبو جعفر النحاس في صناعة الكتاب . والثاني : أن الديوان بالفارسية اسم للشياطين وسمى الكتاب بذلك لجذقهم بالأمور ووقوفهم على الجلي منها والخفي .

وأما الإنشاء فقد تقدم أنه مصدر أنشأ الشيء ينشئه إذا ابتدأه واخترعه ، وحيث إضافة الديوان للإنشاء تحتل أمرين :

أحدهما : أن الأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تنشأ عنه
وتبتدأ منه

والثاني أن الكاتب يشيء لكل واقعة مقالاً

وقد كان هذا الديوان في الزمن المتقدم يعبر عنه بديوان الرسائل
تسمية لـ بأشهر الأنواع التي تصدر عنه لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة
الإنشاء وأعمها ، وربما قيل ديوان المكاتبات ثم غلب عليه هذا الاسم
وشهر به واستمر عليه إلى الآن .

[ح ١ ، ص ٨٩ - ٩٠] .

(٣)

في معرفة عادات العرب (نيران العرب)

قد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه « الأوائيل » للعرب ثلاث عشرة نارا .

الأولى نار المزدلفة وهي نار تُوقَد بالمزدلفة من شاعر الحج ليراهما مَنْ دفع من عرفة . وأول من أوقدها قُصَي بن كلاب ، فهي تُوقَد إلى الآن .

الثانية نار الاستمطار - كانوا في الجاهلية الأولى إذا احتبس المطرُ جمعوا البقرَ وَعَقَدُوا في أذنابها وعراقيبها السُّلْعَ وَالْعُشْرَ ، وَيُضَعَّدُونَ بِهَا في الجبل الزَّعْمَرُ ، وَيُشْعِلُونَ فِيهَا النارَ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ ذلك من أسباب المطر . قال الشاعر :

أَجَاعِلُ أَنْتَ تَيْقُوراً مُسَلَّعَةً وَبَيْلَةً مِنْكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ

الثالثة نار الحلف : كانوا إذا أرادوا عَقْدَ حَلْفٍ أوقدوا النار وعقدوا الحلف عندها ، ويذكرون خيرها ، ويدعون بالخيرَمان من خيرها على من نقض العهد ، رحل العقيد . قال العسكري « وإنما كانوا يُخَصُّصُونَ النار بذلك لأن منفعتها تختص بالإنسان لا يشاركه فيها شيء من الحيوان غيره » .

الرابعة : نار الطردة - وهي نار كانوا يُوقِدُونَهَا خلف من يمضي ولا يحبون رجوعه .

الخامسة : نار الحرب - كانوا إذا أرادوا حرباً أو ترقعوا جيشاً أوقدوا نارا على جبلهم ليلبغ الخبرُ أصحابهم .

السادسة : نار الحرّتين : كانت في بلاد عُبَيْس فإذا كان الليل نضياً

نار ستنطع وفي النهار دخان مرتفع ، وربما اندر منها عُصُ فأحرق مَنْ مرَّ بها ،
فحفر خالدُ بنُ سنان النُّبْيُ ، فدفنها ، فكانت معجزة له

السابعة : نار السُّعالي - تُرْفَعُ للمتَّقِرِ فيتبعها فيهوى به العُصُولُ على
زعمهم .

الثامنة نار الصيد : وهي نار تُوقَدُ للطَّيِّاء تغشاها إذا نظرت إليها .

التاسعة نار الأسد : وهي نار تُوقَدُ إذا خافوا الأسدَ لينضر عنهم فإن
من شأنه النفاذ عن النار ، يقال إنه إذا رأى النار حدث له فكر يصده عن
قصده .

العاشرة : نار القرى - وهي نار تُوقَدُ ليلاً ليراهم الأضياف فيهنِّدوا
إليها .

الحادية عشرة نار السليم (وهو الملسوع) : كانوا يُوقدون النار
للملسوع إذا لُدِغَ . يُسَاهِرُونَهُ بها ، وكذلك المجروح إذا تَزَفَ دُمُهُ ،
والمضروب بالسُّيَاط ، ومن عَضَّهُ الكلب كي لا يناموا فيشتدَّ الأمر بهم
فيؤدِّبهم إلى الهَلَكَةِ .

الثانية عشرة نار الفداء : كَانَ المَلُوكُ منهم إذا أسروا نساء قبيلة
خرجت إليهم السادة منهم للفداء أو الاستيهاب فيكبرهون أن يُعْرَضُوا
النساء نهاراً ، فتَضَحَّنَ أو في الظلمة فيخفى قدر ما يحبُّونه لأنفسهم من
الصُّفَى ، فيؤنِّون النار تُعْرَضُهنَّ .

الثالثة عشرة نار الوسم : وهي النار يَسمُ بها الرجل منهم إبله فيقال
له ما سمة إبلك ؟ فيقول كذا .

[ج ١ ، ص ٤٠٩ - ٤١٠] .

حسن الافتتاح في المكاتبات

ويرجع حسن الافتتاح في المكاتبات الى معنيين :

المعنى الاول : أن يكون الحُسن فيه راجعاً إلى المبتدأ به . إما بالافتتاح بالحمد لله كما في بعض المكاتبات : لأن النفوس تشوّف إلى الشاء على الله تعالى ، أو بالسلام الذي جعله الشارع مفتتح الخطاب أو نحو ذلك .

وإما بالافتتاح بما فيه تعظيم المكتوب اليه : من تقييل الأرض أو اليد أو الدعاء له أو غير ذلك . فإن أمر المكاتبات مبني على التملق واستجلاب الخواطر وتألف القلوب إلى غير ذلك مما يجري هذا المجرى على ما يقتضيه اصطلاح كل زمن في الابتداءات .

المعنى الثاني : أن يكون الحُسن فيه راجعاً إلى ما يوجب التحسين : من سهولة اللفظ ، وصحة السبك . ووضوح المعنى ، وتجنب الخشوع ، وغير ذلك من موجبات التحسين ، كما كتب الأستاذ أبو الفضل بن العميد عن رُكن الدولة بن بويه إلى مَنْ عصي عليه مفتتحاً كتابه بقوله : « كتابي إليك ، وأنا مترد بين طمع فيك وإياس منك ، وإقبال عليك ، واعراض عنك ، فإنك تدل بسالف خدَم ، أيسرها يُوجب رعايه ، ويقتضي محافظة وعناية ، ثم تشفعها بحادث غُلُول وخيانة ، وتبسمها بألف خلاف ومعصية ، أدنى ذلك يُحيط أعمالك ، ويسقط كل ما يُرعى لك » .

ح ٦ - ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

نص كتاب دوق البندقية ميخائيل إلى الملك الناصر فرج بن برقوق

« السلطان المعظم ، ملك الملوك « فرج الله » ناصر الملة الإسلامية ،
خلد الله سلطانه - يقبل الأرض بين يديه نقولا دوج البنادقة ، ويسأل الله
أن يزيد عظمته ، لأنه ناصر الحق ومؤيده ، وموئل الممالك الإسلامية
كلها ، وينهي ما عنده من الشوق والمحبة لمولانا السلطان . وأنه لم تنزل
أكابر التجار والمحتممين والتردد من الفرنج إلى الممالك الإسلامية
شاكربن من عدل مولانا السلطان وعلو مجده ، وتزايد الدعاء ببقاء دولته ،
وقد رغب التجار بالترداد إلى مملكته الشريفة بواسطة ذلك ، ولأجل
الصلح المتصل بيتنا والمحبة .

وأما غير ذلك ، فإنه بلغنا ما اتفق في العام الماضي من حبس العير في
شجر دمياط المحروس ، وأن مولانا السلطان مسك قنصل البنادقة
والمحتممين من التجار بشجر الإسكندرية المحروس وزنجرهم بالحديد ،
وأحضرهم إلى القاهرة ، وحصلت لهم البهولة بين حبسهم والضرر
والقهر الزائد ، وكسر حرمتنا بين أهل طائفنا ، فإن الذي فعل مع
المذكورين إنما فعل معنا . وتعجبنا من ذلك ، لأن طائفنا لم يكن لهم
ذنب ، وهذا مع كثرة عدل مولانا السلطان في مملكته ، ومحبتنا له ،
ومناداتنا في جميع مملكتنا بكثرة عدله ، وبمحبة لطائفنا ، وأقباله عليهم ،
وقولنا لجميع نوابنا : إنهم يكرمون من يمدونه من مملكة مولانا السلطان
ويراعونه ويحسنون إليه .

والمستول من إحسانه الوصية بالقنصل والتجار وغيرهم من البنادقة ،
ومراعاهم وإكرامهم وإقبالهم عليهم . والنظر في أمورهم إذا حصل ما

يشبه هذا الأمر ، ومع من يشاكلهم لتحصل بذلك الطمأنينة للتجار ،
ويرتدوا إلى مملكته .

[صبح الأعشي - ج ٨ - ص ص ١٢٣ - ١٢٤] .

تعليق

هذه وثيقة من الوثائق الكثيرة التي امتلأ بها صبح الأعشي . والوثيقة
خطاب من دوق البندقية إلى السلطان الناصر فرج من سلاطين الممالك
الجراكسة مؤرخة بتاريخ ١٦ من صفر ٨١٤ هـ (١٤١٢ م) يشير فيها إلى
حادثة اعتقال السلطان لقنصل البنادقة وتجارهم بالاسكندرية ، معتذراً فيه
عما حدث وملتمساً في النهاية التوصية خيراً بهم ضماناً لاستمرار ترددهم
على مصر .

كما تشير الوثيقة إلى العلاقة الطيبة التي كانت بين مصر وبين البندقية
التي كانت تهدف إلى الكسب المادي الذي يعود عليها من انتظام الحركة
التجارية بينهم وبين مصر ، خاصة وأنها وقفت موقفاً محايداً أثناء الحملات
الصليبية حتى إنها رفضت تزويد حملة لويس التاسع بالسفن اللازمة لنقل
المؤن والعتاد ، مما أدى إلى زيادة توثيق هذه العلاقات بعد تقلص الفكرة
الصليبية في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي (أواخر القرن الثامن
المجري) .

الباب الثاني

في

اختلافات التفسير

في الصفحات المتخصصة

تنوعت المصادر المتخصصة في المكتبة العربية بتنوع فروع العلوم العربية ، وهي فروع متعددة ومتسعة ومتشعبة .

ويمكننا بشيء من التقريب اختصار هذه العلوم العربية ومصادرها في المكتبة العربية إلى :

- ١ - مصادر الأدب والنقد والبلاغة العربية .
- ٢ - مصادر العلوم اللغوية .
- ٣ - مصادر العلوم الإسلامية والتصوف الإسلامي .
- ٤ - مصادر الفلسفة وعلم النفس والأخلاق والإجتماع
- ٥ - مصادر التاريخ والجغرافيا .
- ٦ - مصادر العلوم التجريبية والرياضية .
- ٧ - مصادر التراجم والسير .

المصادر الأدبية والنقدية وعلوم البلاغة العربية

عرفت المكتبة العربية التأليف الأدبي في فترة مبكرة ، منذ منتصف القرن الثاني الهجري ، وظهور الجاحظ وابن قتيبة ، ثم جيل المؤلفين بعدها من أمثال المبرد وثلعب وابن عبد ربه وغيرهم .

والظاهرة التي تفرض نفسها على الباحث في مصادر التراث العربي ، هي أن جزءاً كبيراً من هذه المصادر تشغله المكتبة الأدبية والسديّة والبلاغية .

والواقع أن اهتمام العرب بالمؤلفات الأدبية على هذا النحو راجع إلى الإهتمام بالشعر والأدب لاهميتها في حياتهم الوجدانية والعقلية والاجتماعية أولاً ، ولأنه فن العربية الأول لشعب لم يكن لهم من فن سواه ثانياً وثالثاً لأن الأدب فن العربية التي هي لغة القرآن وبها معجزته البلاغية .

ولم يكن لكلمة أدب عند العرب نفس الدلالة التي نستعملها الآن ، فقد دلت في عهد الرسول والخلفاء على التهذيب والرقى الأخلاقي ، واستخدمت في العصر الأموي بمعنى الشعر ، ثم اتسعت في العصر العباسي فأصبحت تعني كل ما يكتب أو يلفظ بشكل فني وتعبير جميل .

وفي هذا العصر اتسع مدلول الكلمة أيضاً ليشمل كل المعرفة الإنسانية ، إذا عبر بشكل منظم متنق ، فكأنه بهذا المفهوم قريب من المأدبة التي تحوى كل ما لذ وطاب . وقد رأينا هذا الإستعمال من قبل في حديثنا عن المصنفات الموسوعية .

ونحن هنا بالمصنفات المتخصصة في الأدب ونقده ، تلك المؤلفات من التراث العربي - التي تناولت بالدرس أو جمعت مادة أدبية بمفهوم الشعر والنثر .

وتشمل هذه المصادر كتب المختارات الأدبية من شعر ونثر ، وكتب الأخبار الأدبية وهي قريبة من تاريخ الأدب الآن ، ثم كتب الدراسات النقدية والبلاغية .

فمن مصادر المختارات الشعرية نذكر :

- المفضليات للمفضل الضبي (ت ١٧٥ هـ) .
- جهرة أشعار العرب لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٤ هـ) .
- الأصمعيات للأصمعي عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦ هـ) .
- ديوان الحماسة للبحري ، أبو عبادة الوليد بن عبيد (ت ٢٨٤ هـ) .
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات للأنباري ، أبو بكر محمد القاسم (ت ٣٢٨ هـ) .
- ومن كتب الأمثال نذكر :
- أمثال العرب للمفضل المي (ت ١٦٨ هـ) .
- جهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) .
- مجمع الأمثال للميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت ٥١٨ هـ) .
- ومن مجموعات الخطب والرسائل والمقالات نذكر :
- رسائل الجاحظ للجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) .
- رسائل صاحب بن عباد للصاحب بن عباد .
- مقامات بديع الزمان الهمزاني : للهمزاني .
- مقامات الحريري للحريري

ومن مصادر كتب الأخبار الأدبية والتاريخ الأدبي نذكر :

- مجالس ثعلب لثعلب ، أحمد بن يحيى (ت ٢٩١ هـ) .
- الموشى أو كتاب الظرف والظرفاء للوشاء ، أبو الطيب محمد بن اسحاق (ت ٣٢٥ هـ) .
- أدب الكتاب للصولي ، محمد بن يحيى (ت ٣٣٥ هـ) .
- الأماشي للقالبي ، أبو علي اسماعيل بن القاسم (ت ٣٥٦ هـ) .
- زهر الآداب وعز الألباب للحصري القيرواني ، أبو اسحاق ابراهيم (ت ٤١٣ هـ) .

ومن مصادر النقد الأدبي النظرية والتطبيقية نذكر :

- كتاب القوافي للأخفش ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، (ت ٢١٥ هـ) .
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، محمد بن سلام الجعفي (ت ٢٣٢ هـ) .
- كتاب النحر والشعراء لابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٠ هـ) .
- قواعد الشعر لثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٩١ هـ) .
- كتاب استخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر (ت ٣٢٠ هـ) .
- كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر .
- أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي (ت ٣٣٥ هـ) .
- المرازنة بين شعر أبي تمام والبحري للامدي ، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت ٢٧٠ هـ) .

- الوساطة بين المتني وخصومه للقاصي الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ) .
- الصناعتين لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) .
- العملة في صناعة الشعر لابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٠ هـ) .
- ومن مصادر الدراسات البلاغية نذكر :
- الفصاحة للدينوري (ت ٢٨٠ هـ) .
- الفصاحة للمعريزياتي (ت ٣٧٨ هـ) .
- البديع لإبن المعتز .
- أسرار البلاغة وكتاب دلائل الإعجاز للجرجاني ، أبو بكر عبد الله (ت ٤٧١ هـ) .
- المفتاح للسكاكي ، أبو يعقوب (ت ٦٢٦ هـ) .
- التلخيص في علوم البلاغة للقرظي ، جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩ هـ) .

مصادر العلوم اللغوية

اهتم المؤلفون العرب بدراسة اللغة العربية وجمعها وبحث قواعدها المنظمة حفاظاً لها وحرصاً عليها ، وهي لغة القرآن الكريم ووسيلة اعجازها ، مما جعل لمصادر اللغة العربية أهمية كبيرة من وجهة نظر القدماء والمحدثين .

وتشمل المصادر التي تناولت البحث في علوم العربية :
المصادر ، النوع الأول هو المعاجم ، والزرع الثاني هو كتب اللغة بما تحويه من نحو وصرف ، ودراسة للعلاقة بين اللفظ والمعنى .

وفي تراثنا العربي العديد من معاجم الألفاظ نذكر منها :

- كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ) .

كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري ، سعيد بن أوس (ت ٢١٥ هـ)

- كتاب الجمهرة في اللغة لابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسين ، (ت ٣٢١ هـ) .

- كتاب الأضداد لابن الأثير ، أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٧ هـ) .

- المصباح المنير للمقري ، أحمد بن محمد (ت ٣٧٠ هـ) .

- الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، أبو نصر اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ) .

- أساس البلاغة للزنجشري ، محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) .

- لسان العرب لابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ) .

- القاموس المحيط للفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٦ هـ) .

ونذكر من معاجم المعاني والتراكيب وكتب النحو :

- كتاب سبويه لسيويه ، أبو بشر عمرو (ت ١٨٠ هـ) .

- الإشتقاق للأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٧ هـ) .

- كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت ، أبو يوسف يعقوب بن اسحق (ت ٢٢٤ هـ) .

- اصلاح المنطق لابن السكيت ، أبو يوسف يعقوب بن اسحق (ت ٢٤٤ هـ) .

- الإيضاح في علل النحو للزجاج ، ابراهيم بن السري (ت ٣١١ هـ) .

- جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر (ت ٣٢٠ هـ) .

- كتاب الإبدال لأبي الطيب عبد المال بن علي (ت ٣٥١ هـ) .

- التصريف ، وكتاب سر صناعة الإعراب - وكتاب المتنصف وكتاب الخصائص لابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) .

- مقاييس اللغة لابن فارس ، أبو الحسين أحمد (ت ٣٩٥ هـ) .

- فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ) .

- المخصص وكتاب المحكم لابن سيده ، أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨ هـ) .

- كتاب أسرار العربية وكتاب لمع الأدب في أصول النحو للأنباري ،
أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ)
- الأشباه والنظائر في النحو ، وكتاب المزهري في اللغة والنحو
للسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ)

مصادر العلوم القرآنية والتصوف الإسلامي

لا يخفى أن أصل الإسلام الأول هو القرآن الكريم ، وهكذا أخذ العلماء والفقهاء في تدارسه وشرحه واستنباط الأحكام منه ، فأصبح القرآن مركزاً لعدد كبير من الدراسات التي تركت لنا عدداً هائلاً من المصادر الأولية .

وتنوعت العلوم التي تدرس القرآن ، فكانت هناك علوم مهمتها ضبط لفظ القرآن الكريم وظهرت معها كتب القراءات والتجويد والمصاني والمشكل . وكانت هناك علوم مهمتها تفهم معاني القرآن الكريم ، وظهرت معها كتب التفاسير وكتب الفقه وكتب الشواهد . واستعان المفسرون ومؤلفو كتب الفقه في الفهم والإحاطة بالحديث الشريف ويعلمون اللغة وغيرها من المصادر . وهكذا ظهرت علوم أخرى مهمتها دراسة السنة والحديث الشريف ومعها ظهرت كتب الأحاديث وأصول الدين وكتب الجدل .

ونتيجة لإتساع الدولة الإسلامية ودخول دبابات كثيرة في الإسلام تعرض الإسلام لمطاعن كثيرة من قبل الفرق الأخرى كالزنادقة والمعتلة والدهرية والباطنية وهكذا ظهرت الكتب التي تدافع عن الإسلام والمسلمين ورد مطاعن هذه الفرق . ويتصل بعلوم القرآن كذلك تلك الكتب التي بحثت في الزهد والتصوف في الإسلام .

فالمصادر هنا هائلة إذن من حيث الكم ، وكذلك من حيث التنوع والكيفية ، ما بين مصادر عامة عن الإسلام ومصادر عن القرآن وعلومه ومصادر عن الحديث الشريف وعلومه ومصادر الفقه والتشريع الإسلامي

ومصادر عن الفرق والطوائف الإسلامية وغيرها ثم مصادر النصوص
الإسلامي .

فمن مصادر علوم القرآن المختلفة من معاجم ودراسات وتفسير
نذكر :

- مجاز القرآن لأبي عبيدة ، معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ)
- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير
(ت ٣١٠ هـ) .
- اعراب القرآن للزجاج ، ابراهيم بن السري (ت ٣١١ هـ) .
- أساس التأويل للنعمان بن جيون (ت ٣٦٣ هـ) .
- بيان اعجاز القرآن للخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد (ت ٣٨٨ هـ) .
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني
(ت ٣٩٢ هـ) .
- اعجاز القرآن للباقلاني ، أبو بكر محمد الطيب (ت ٤٠٣ هـ) .
- كتاب التيسير في القراءات السبع للداني ، أبو عمرو عثمان بن
سعيد (ت ٤٤٤ هـ) .
- المقنع في القراءات والتجويد للداني .
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل للزغشري ، محمود بن عمر
(ت ٥٣٨ هـ) .
- عيون الأقاويل في وجوه التنزيل للزغشري .
- أحكام القرآن لابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت ٥٤٢ هـ) .

راد تفسير في علم التفسير لأمر : سوري ، علي بن عبد الرحمن (ت ٥٩٧ هـ)

- منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن لابن الجوزي

- املاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦ هـ) .

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، أبو عبد الله محمد (ت ٦٧١ هـ) .

- مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد (ت ٧٢٨ هـ) .

- التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط لابن حيان ، أبو عبد الله محمد الأندلسي (ت ٧٥٤ هـ) .

- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، اسماعيل (ت ٧٧٤ هـ) .

ومن مصادر الحديث الشريف وكتبه نذكر :

- موطأ الإمام مالك لمالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) .

- المسند للإمام الشافعي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٢٠٤ هـ) .

- الجامع الصحيح للبخاري ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ) .

- الجامع الصحيح لمسلم ، أبو الحسين بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ) .

- تأويل مختلف الأحاديث لابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)

- صحيح الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عيسى الترمذي
للترمذي ، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ)

- السنن الكبرى للبيهقي ، أبو بكر أحمد (ت ٤٥٨ هـ) .

- الفائق في غريب الحديث للزحشري ، محمود بن عمر (٥٣٨ هـ) .

- جامع الأصول من أحاديث الرسول لابن الأثير ، المبارك بن محمد
(٦٠٦ هـ) .

- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير .

- نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر وشرحها لابن حجر ، أحمد (ت
٨٥٢ هـ) .

- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ، جلال الدين عبد
الرحمن (ت ٩١١ هـ) .

ومن مصادر الفقه والتشريع الإسلامي نذكر :

- الرسالة للشافعي ، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٢ هـ) .

- الأم للشافعي .

- تأويل الدعائم للنعمان بن حيون (ت ٣٦٣ هـ) .

- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار بن أحمد (ت ٤١٥ هـ) .

- كتاب المعتمد في أصول الفقه لابن الطيب ، محمد بن علي (ت
٤٣٦ هـ) .

- أحياء علوم الدين للغزالي ، أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ)

- مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) .
- الأشباه والنظائر للسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ) .

- ومن المصادر التي تمحدث عن الفرق والطوائف نذكر :
- المقالات والفرق للأشعري ، أبو الحسن (ت ٣٢٤ هـ) .
- الملل والنحل للشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٥٨ هـ) .

- كتاب سبط الحقائق في عقائد الإسماعيلية للدواعي ، علي بن حنظلة (ت ٦٢٦ هـ) .

- ومن مصادر التصوف الإسلامي نذكر :
- الإشارات الالهية لأبي حيان التوحيدي (ت ٤١٤ هـ) .
- الرسالة القشيرية للقشيري ، عبد الكريم (ت ٤٦٥ هـ) .
- المنقذ من الضلال للغزالي (ت ٥٠٥ هـ) .
- رسائل ابن عربي لابن عربي ، عبي الدين ، (ت ٦٣٨ هـ) .
- الفتوحات المكية لابن عربي .
- نصوص الحكم لابن عربي .
- لطائف الأسرار لابن عربي .

مصادر الفلسفة

وعلم النفس والأخلاق والاجتماع

ظهرت هذه المصادر بعد أن هضم العرب الفلفسات الأجنبية من يونانية وفارسية وهندية ، وبعد أن قام المفكرون العرب بمحاولة استخدام الأفكار والقضايا التي طرحتها هذه الفلفسات وتعديلها بما يتناسب مع أساسيات الإسلام . ومن نشأ الفكر الفلسفي الإسلامي ، كما نشأت الإتجاهات الفكرية والفلسفية العديدة والدراسات النفسية والأخلاقية .

كذلك اهتم مفكرو المسلمين بالمجتمع الإنساني ونظمه وفلسفة هذه النظم ، فبحثوا في السياسة والتشريع والقانون وغيرها من وجوه الفلسفة الإجتماعية .

ومن أهم المؤلفات الفلسفية والأخلاقية والاجتماعية في التراث العربي نذكر :

- رسائل فلسفية للرازي ، ابوبكر فخر الدين محمد بن زكريا (ت ٣١٠هـ) .

- مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ، علي بن اسماعيل (ت ٣٢٤هـ) .

- فلسفة أرسطوطاليس وأجزاء فلسفته للفارابي ، أبو نصر محمد بن محمد (ت ٣٣٩هـ) .

- فصوص الحكم للفارابي .

- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لمسكويه ، أحمد بن محمد (ت ٤٢١هـ) .

- رسائل الشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا في أسرار
الحكمة المشرقية لابن سينا ، أبو علي الحسين بن عبد الله (ت ٤٢٨ هـ) .

- الطبيعيات بكتاب الشفاء لابن سينا .

- الإشارات والتنبيهات لابن سينا .

- تهافت الفلاسفة للغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ) .

- سراج الملوك للطرطوسي (ت ٥٢٠ هـ) .

- تدبير المتوحد لابن باجة ، أبو بكر عبد الأندلسي (ت ٥٣٣ هـ) .

- كتاب النفس لابن باجة .

- تهافت التهافت لابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) .

- ذم الهوى لابن الجوزي ، عبد الرحمن (ت ٥٩٧ هـ) .

- مقدمة ابن خلدون ، لابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد التونسي
(ت ٨٠٨ هـ) .

مصادر التاريخ والجغرافيا

ارتبط التدوين التاريخي وعلم التاريخ عند المسلمين في بدايته بالرسالة والرسول ، فقد كانت حياة الرسول وغزواته مادة تاريخية أجلها المسلمون واهتموا بها فيسمى بأيام العرب وعلم المغازي

ثم ما لبث علم التاريخ عند العرب أن تطور بعد أن جعل عمر بن الخطاب من الهجرة النبوية بداية للتاريخ السنوي ، بدأ المسلمون منه في التاريخ بالسنة والشهر واليوم ، وبعد أن اتسعت الفتوحات الإسلامية وما استتبعها من الإهتمام بتسجيل العهود والمواثيق مع سكان البلاد المفتوحة وما رافقها من فتوح وأحداث .

وقد ظهرت الكتابة التاريخية عند المسلمين أول ما ظهرت عن طريق رواية الخبر المسند ، وقد احتفظ الطبري في تاريخه بعدد من هذه الأخبار .

ثم اتسعت هذه الأخبار وتعددت كما نرى في كتاب الأخبار الطوال لأبي حنيفة السنوري ، ثم ظهرت المؤلفات التاريخية الإسلامية المديدة منذ أوائل القرن الثالث الهجري في شتى فروع التاريخ وجوانبه .

وتدل المصادر التاريخية الماثلة التي تركها المؤرخون المسلمون على طبيعة الدور الحساري الهام الذي قاموا به لتقييم أحداث العالم وحضارته في فترة ما قبل الإسلام ، وفي العصر الإسلامي حتى العصور الوسطى .

هذا وقد امتاز المؤرخون المسلمون في مؤلفاتهم بصدورهم عن حس تاريخي واضح ، وصدورهم عن ثقافة أدبية طيبة كذلك ، ولهذا فقد احتوت كتبهم إلى جانب مادته التاريخية على كثير من نصوص الأدب

والكثير من المعارف عنه وعن علومه وثقافته الى جانب الترجمة للكثير من
أعلامه .

ومن المؤلفات التاريخية في تراثنا العربي نذكر :

- المغازي للواقدي (٢٠٧ هـ) .

- فتوح الشام للواقدي .

- فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (ت ٢١٤ هـ) .

- تاريخ يعقوب لليعقوبي (ت ٢٧٨ هـ) .

- فتوح البلدان للبلاذري (ت ٢٧٩ هـ) .

- الأخبار الطوال للدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـ) .

(هـ) .

- تاريخ الطبري للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) .

(هـ) .

- الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير للهمداني ، أبو محمد الحسن

بن أحمد (ت ٣٢٤ هـ) .

- نظم الجوهري التاريخ لابن البطريق (ت ٣٢٨ هـ) .

- مروج الذهب للمسعودي ، علي بن الحسين ، (ت ٣٤٥ هـ) .

- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهاني (ت ٣٥٠ هـ) .

(هـ) .

- تاريخ مصر للكندي (ت ٣٥٥ هـ) .

- تاريخ الأندلس لابن القوطية (ت ٣٦٧ هـ) .

كتاب مع تاريخ مصر من الفتح إلى سنة ١٢٨٠ هـ وأحمد
المذكورة للتوحي ، أبو علي المحسن بن علي (ت ٢٨٤ هـ) .

- تاريخ مصر وقضايلها لابن رولاق المصري (ت ٣٨٧ هـ) ولم يطبع
بعد .

- كتاب الفرر في سير الملوك وأخبارهم للمعشني (ت ٤٢١ هـ)

- تجارب الأمم لابن مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد . (ت ٤٢١ هـ)
(هـ) .

- الكامل في التاريخ لابن الأثير ، أبو الحسن ، علي بن محمد (ت
٦٣٠ هـ) .

- النواذر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شداد (ت ٦٣٢ هـ)
(هـ) .

- الأعلام الخطيرة في تاريخ الجزيرة لابن شداد .

- البيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذاري المراكشي (ت ٧٠٠ هـ)
(هـ) .

- تاريخ الإسلام للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) .

- البداية والنهاية لابن كثير ، اسماعيل (ت ٧٧٤ هـ) .

- العبر وبیان المبدأ والخبر لابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) .

- السلوك لمسرة دول الملوك للمقريزي ، أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ)
(هـ) .

- عجائب المقدور في نوائب تيمور لابن عربشاه (ت ٨٥٤ هـ)

- بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن أبياس الحنفي (ت ٩٢٠ هـ)

ـ حسن المحاصرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي (ت ٩١١ هـ)

ـ نصح الطبيب من غصن الأندلس الرطب للمعقري الأندلسي (ت

١٠٤١ هـ)

أما علوم الجغرافية ، فقد عرف العرب الجغرافية الملكية والوصفية وجغرافية الطرق والمواصلات والبلدان منذ العصر الجاهلي ، حيث كانت جزءاً من ممارستهم الحياتية ، فعرفوا مواقع النجوم الثابتة والمتحركة ، وتغيرات الطقس ومواقع المياه والعشب وتعرفوا على النبات والحيوان

واحتفظ لنا القرآن الكريم بالكثير من المعارف الجغرافية عن الرياح والأمطار والنجوم والجبال والبحار وغيرها ، وحينما اتسعت الدولة الإسلامية بعد الفتوحات زاد الإهتمام بمعرفة طبيعة البلاد المفتوحة ، وقد نما هذا الإهتمام عندهم المترجمات الجغرافية التي اطلع عليها الجغرافيون العرب عن اليونانية والهندية خاصة تلك الباحثة في الملاحة والفلك

وهكذا ازدهرت علوم الجغرافية التي حظيت بالعديد من المؤلفات العربية في فروعها المختلفة ، فآلفوا في الجغرافية الفلكية التي تبحث في الأفلاك ومواقعها ، وستحدث عن هذه المؤلفات عند الحديث عن مصادر الرياضيات ـ كما آلفوا في الجغرافية الوصفية في وصف البيئات والبلدان والحيوان والنبات ، وفي جغرافية الطرق والمواصلات وهي التي كانت تسمى عندهم المسالك والممالك ، وآلفوا في جغرافية المدن وتاريخها وفي الجغرافية الاقتصادية والطبيعية والاجتماعية : كما اهتم الجغرافيون العرب بفس الخرائط ورسمها .

هذا وقد اهتم الأوربيون اهتماماً كبيراً بالكتابة الجغرافية العربية بالتأليف عنها والترجمة ، ومن مؤلفاتهم فيها : تاريخ الأدب الجغرافي العربي

لكراتشوفسكي وكتاب «مكة الجغرافيين العرب» للمسند و الهوك. دي
«دي جويه»

ومن أهم المؤلفات الجغرافية العربية يذكر :

- صورة الأرض للحوارزمي ، محمد بن موسى (ت ٢٤٠ هـ).
- البلدان لليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب المصري (ت ٢٩٢ هـ).
- المسالك والممالك لابن خردادبة (ت ٣٠٠ هـ).
- صفة جزيرة العرب للهمداني ، الحسن بن أحمد (ت ٣٣٤ هـ).
- التنبيه والاشراف للمعمودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥ هـ).
- المسالك والممالك للأصطخري ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت ٣٥٠ هـ).
- المسالك والممالك لابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن حوقل (ت ٣٨٠ هـ).
- «إحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي ، محمد بن أحمد (ت ٣٩٠ هـ).
- الآثار الباقية في القرون الخالية لليبروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٦٢ هـ).
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة « لليبروني ».
- المسالك والممالك للسكري ، عبد الله عبد العزيز القرطبي (ت ٤٨٧ هـ).
- كتاب الجغرافيا للزهري ، محمد بن أبي بكر العرشاضي . (٥٣٢ هـ).

- برهة المشتاق في احتراق الآفاق للأدريس ، أبو عبد الله محمد بن
عبد الله (٥٦١ هـ) .

- رحلة ابن جبير لابن جبير ، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤ هـ)

- معجم البلدان لياقوت الحموي ، أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) .
- الافادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر
للبيгдаي ، عبد اللطيف (ت ٦٢٩ هـ) .

- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني ، زكريا بن محمد
(ت ٦٨٢ هـ) .

- تقويم البلدان لأبي الفداء ، اسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ) .
- « مسالك الأبصار في ممالك الأمصار » للعمري ، شهاب الدين أحمد
بن يحيى (ت ٧٤٩) .

- رحلة ابن بطوطة « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار »
لابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي . (ت ٧٧٩ هـ) .

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي ، تقي الدين أحمد
بن علي (ت ٨٤٥ هـ) .

مصادر العلوم التجريبية والرياضية

استطاع العرب أن يتعرفوا على الميجازات العلمية للثقافات الأخرى من هندية وفارسية ويونانية منذ فترة مبكرة ، منذ بداية حركة الترجمة ، فقد كانت هذه العلوم هي أوائل ما ترجم إلى العربية ، فتعرف العرب على علوم الطب والأقرباذية والعلوم السيمائية (الكيمائية) كما تعرفوا على علوم الرياضيات من حساب وهندسة وفللك .

ومن أشهر المترجمين وأفضلهم ، كان حنين بن اسحاق النصراني (ت ٢٦٠ هـ) الذي اشتغل بالترجمة عن اليونانية . وابن الداية ، أحمد بن يوسف بن إبراهيم (ت ٣٤٠ هـ) . وابن وحشية (أبو بكر أحمد بن علي الكلداني ، أواخر القرن الثالث الهجري) .

ولم تلبث الحضارة العربية الإسلامية أن شهدت تفوقاً للعديد من العلماء في أكثر من ميدان من ميادين العلم ، وعرفت المكتبة العربية العديد من المؤلفات العلمية في سائر المعارف العلمية .

ففي علوم الطب والأدوية نذكر من المؤلفات العربية :

- الحاربي في الطب للرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا (ت ٣١٣ هـ) .

- الطب المنصوري للرازي .

- الجدري والحصبة للرازي .

- فردوس الحكمة لعلي بن زين الطبري (ت ٢٤٧ هـ) .

- الكتاب الملكي أو كامل الصناعة الطبية ، لعلي بن عباس المجوسي (ت ٣٨٣ هـ) .

- القانن في الطب لاسر ميا (ت ٤٢٩ هـ) .
- الكلبيات لابن رشد
- تقويم الصحة لابن بطلان ، أبو الحسن المختار بن الحسن البغدادي (ت ٤٥٨ هـ) .
- تذكرة الكحالين لعلي بن عيسى الكحال (قرن خامس هجري) .
- شرح أسماء المقار لموسى بن ميمون (ت ٦٠١ هـ) .
- الشامل في الطب لابن النفيس ، علي بن أبي الحزم القرشي (ت ٦٨٧ هـ) .
- تذكرة أولى الالباب والجامع للمعجب العجائب لداود الأنطاكي ، بن عمر (ت ١٠٠٨ هـ) .
- ومن المؤلفات العربية في علم السيمياء (الكيمياء) نذكر :
- كتاب الخواص الكبير لجابر بن حيان .
- أسرار الكيمياء لجابر بن حيان .
- السموم ودفع مضارها لجابر بن حيان .
- سر الأسرار للراززي ، أبو بكر محمد بن زكريا (ت ٣١٣ هـ) .
- الماء القضي القمري لمحمد بن أميل التيمي (توفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري)
- ومن مصادر علوم النبات والحيوان والمعادن نذكر :
- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (٢٧٦ هـ) .
- كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري .

- كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية ، أبو بكر بن علي الكلداني
(أواخر القرن الثالث الهجري)

- الجماهير في معرفة الجواهر لليروي ، أبو الريحان محمد بن أحمد
(ت ٣٦٢ هـ) .

- القصد والبيان لابن بصال ، محمد بن إبراهيم بن بصال الأندلسي
(ت ٤٩٩ هـ)

- عجائب المخلوقات وعرائب الموجودات للفرزباني ، ركريا بن محمد
(ت ٦٨٢ هـ) .

وفي مجال الرياضيات والفلك والبصريات يذكر من المصادر العربية
- الكتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة للخوارزمي ، محمد بن
موسى (ت ٢٣٢ هـ)

- الزيج الصابي للبتاني ، محمد بن جابر بن سنان (ت ٣١٧ هـ) .
- النكت فيما يصح وما لا يصح من أحكام النجوم لأبي نصر الفارابي
(ت ٣٣٩ هـ) .

- كتاب المساحة والهندسة لأبي تامل شجاع بن أسلم (ت حوالي
٣٤٠ هـ)

- كتاب الجمع والتفريق لابن أسلم
- الآثار الباقية عن المروء خالية لأبي الريحان السيروي (ت ٣٦٢ هـ)
(هـ)

- كتاب التفهيم في أصول التجيم للبيروني
- صور الكواكب الثابتة للصوفي ، عبد الرحمن بن عمر بن سهل
الصوفي الرازي (ت ٣٧٦ هـ)

- الزبيج الكبير الحاكمي المعروف بزبيج ابن يونس ، لابن يونس المصري ، أبو الحسين علي بن عبد الرحمن (ت ٣٩٩ هـ) .
- كتاب زيغ الصفائح لأبي جعفر الخازن ، محمد بن الحسين الخراساني (ت حوالي ٤٠٠ هـ) .
- كتاب الكافي في الحساب للكرجي ، محمد بن الحسن أبو بكر الكرجي (ت حوالي ٤٣٠ هـ) .
- كتاب الكرة والاسطوانة للحسن بن الهيثم (ت ٤٣٠ هـ) .
- كتاب المناظر لابن الهيثم .
- تلخيص أعمال الحساب لابن البناء ، أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي (ت ٦٥٤ هـ) .
- وكذلك ساهم العلماء العرب في مجال التأليفات الموسيقية النظرية ، ومن هذه المؤلفات نذكر :
- رسالة الكندي في اللحن والنغم للكندي ، يعقوب بن اسحاق بن الصباح (ت حوالي ٢٦٠ هـ) .
- الموسيقى الكبير لأبي نصر الفارابي (ت ٣٣٩ هـ) .
- الشفاء (الجزء الخاص بالموسيقى) لابن سينا ، أبو علي (ت ٢٨٠ هـ) .
- الكافي في الموسيقى لابن زيله ، أبو منصور الحسين بن محمد (ت ٤٤٠ هـ) .
- كتاب الأدوار في معرفة النغم والأدوار لصفي الدين الأرموي ، عبد النبي بن يوسف بن فاخر الأرموي البغدادي (ت ٦٩٣ هـ) .
- الرسالة الشرفية في النسب التأليفية لصفي الدين الأرموي .

مصادر التراجم والسير

ترك العرب عدداً هائلاً من كتب التراجم والسير ، وقد بدأت هذه المؤلفات منذ فترة مبكرة عندما حاول المؤلفون المسلمون تقصي أخبار الرسول وأعماله ، وما نتج عن ذلك من مؤلفات للرسول فيها عرف بكتب السيرة ، ومؤلفات أرخت للصحابة والتابعين فيها عرف بكتب الرجال والأنساب والطبقات ، عملاً بما جاء في حديث عن الرسول رواه البخاري في كتابه « الاعلان بالتوبخ لمن ذم التاريخ » وهو أن « من ورخ مؤمناً ، فكأنما أحياه » .

ويعتبر الواقدي صاحب المغازي من أوائل المؤلفين العرب في الطبقات أو التراجم (محمد بن عمر الواقدي ، توفي ٢٠٧ هـ) وأعقبه تلميذه محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) . ولم تلبث كتب التراجم أن تعددت واتسعت بعد ذلك ، فكان بعضها تراجم عامة كالفهرست لابن النديم ومعجم الأدباء لياقوت وبعضها تراجم متخصصة بعضها لعلماء اللغة والنحو ، وبعضها للفقهاء والمحدثين وبعضها للصوفية وبعضها للفلاسفة والأطباء وبعضها للأدباء والشعراء ، كما ألف العرب كذلك في تراجم الأعلام من الحكام والملوك والخلفاء والوزراء .

فمن المؤلفات التي ترجمت للفلاسفة أو الحكماء والأطباء :

- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد (ت ٦٦٨ هـ) .

- تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ، ظهر الدين .

ومن كتب تراجم القراء والمفسرين والمحدثين والفقهاء والمتصوفة :

- التاريخ الكبير في رجال الحديث للبخاري ، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)

- غاية النهاية في طبقات الفراء للجزري ، محمد بن محمد بن علي بن يوسف .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ) .

- طبقات الصوفية للسلمي .

- طبقات الحفاظ للذهبي ، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) .

- كتاب ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي .

- طبقات الختابة وذييل طبقات الختابة لابن رجب ، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ، (ت ٧٩٥ هـ) .

- لسان الميزان لابن حجر ، احمد (ت ٨٥٢ هـ) .

- تهذيب التهذيب لابن حجر .

ومن المؤلفات التي ترجمت للغويين والنحاة :

- طبقات النحويين والبصريين للسيراقي .

- مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي (قرن رابع هجري) .

- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي .

- إنباء الرواة على أنباء النحاة للقطبي (ت ٦٤٦ هـ) .

- بغية الوعاة للسيوطي (ت ٩١١ هـ) .

ومن كتب التراجم التي ترجمت للأدباء والشعراء :

- المؤلف والمختلف للأمدى ، أ. - سم الحسن بن بشر (ت ٣٧٠ هـ) .

- معجم الشعراء لأ. رباني ، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ) .

- نسبة الدهر للثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ) .

- دمية القصر وعصرة أهل العصر للباخرزي ، أبو الحسن علي بن الحسن (ت ٤٦٧ هـ) .

- كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ، أبو الحسن علي (ت ٥٤٢ هـ) .

- تزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري (ت ٥٧٧ هـ) .

- جريدة القصر وخريدة العصر للمعاد الأصفهاني ، محمد بن محمد (ت ٥٩٧ هـ) .

- معجم الأدباء لياقوت الحموي ، أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ) .

ومن كتب التراجم العامة ، وتراجم الأعلام :

- الفهرست لابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت ٤٠٠ هـ) .

- وفيات الأعيان لابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) .

- فوات الوفيات لابن شاکر الکتبي (ت ٧٥٤ هـ) .

- الوافي بالوفيات لصالح الدين الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) .

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) .

- الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي (ت ٩٠٢ هـ) .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الدمشقي (ت ٩٠٨٩ هـ) .
- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمراي .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ) .
- ومن كتب التراجم التي تناولت سيرة الرسول عليه السلام والصحابة :
- كتاب الطبقات الكبير لابن سعد ، محمد (ت ٢٣٠ هـ) .
- الإستيعاب في معرفة الصحاب « لأبي عمر يوسف بن عبد البر (ت ٤٦٢ هـ) .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) .
- السيرة النبوية لابن هشام ، عبد الملك (ت ٨٣٤ هـ) .
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، أحمد (ت ٨٥٢ هـ) .
- ومن تراجم سير الحكام والملوك والخلفاء نذكر :
- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس للحميدي ، أبو عبد الله محمد بن فترح (ت ٤٨٨ هـ) .
- كتاب معالم القربة في أحكام الحسبة لابن الأخوة ، محمد بن محمد القرشي .
- الإشارة إلى من نال الوزارة لابن منجب الصيرفي ، أبو القاسم علي .
- كتاب الوزراء والكتاب للجهمياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس .

نماذج من المصادر المتخصصة

وسنحاول هنا أن نقف عند بعض المؤلفات المتخصصة في تراثنا العربي مراعين في هذا الاختيار تنوع التخصصات .

وهذه المصادر التي ستناولها مرتبة تاريخياً هي :

- ١ - الرسالة للإمام الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) .
- ٢ - الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) .
- ٣ - الزيج الصابي للبتاني (٢٤٤ - ٣١٧ هـ) .
- ٤ - معجم الشعراء للمرزباني (٢٩٧ - ٣٧٨ هـ)
- ٥ - الفهرست لابن النديم (٣٢٠ - ٤٠٠ هـ) .
- ٦ - تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لمسكويه (٣٣٠ - ٤٢١ هـ) .
- ٧ - فقه اللغة للثعالبي (٣٥٠ - ٤٢٩ هـ) .
- ٨ - الأكام السلطانية للماوردي (٣٦٤ - ٤٥٠ هـ) .
- ٩ - لحاضرة في أخبار مصر والقاهرة .
- للسيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ)

الرسالة للامام الشافعي

[١٥٠ - ٢٠٤ هـ]

الإمام الشافعي هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع
ابن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف .

ولد سنة ١٥٠ هجرية ، واختلف الرواة في محل ولادته ؛ فقيل غزوة
بفلسطين وقيل عسقلان وقيل باليمن .

انتقلت به أمه وهو صغير بعد وفاة والده إلى مكة ، ومن مكة حفظ
القرآن ودرس اللغة والشعر والأدب كما درس الحديث والفقه . وفي سنة
١٧٠ هـ وقبل أن يتم عامه العشرين رحل إلى المدينة واتصل بالامام
مالك ودرس عليه كتابه الموطأ وظل ملازماً للامام مالك حتى مات سنة
١٧٩ ، فرحل بعدها الامام الشافعي إلى العراق وأخذ عن محمد بن
الحسن الشيباني فقه أصحاب الرأي . وقد أثر اتصاله وعلمه بفقه أهل
الحديث وفقه أهل الرأي في نظرة الشافعي بعد ذلك في وجوب الاحتجاج
بالسنة بجانب القرآن مما كان له أثره في ظهور علم أصول الفقه . كما قاده
هذا إلى أن يكون لنفسه مذهباً خاصاً بين أصحاب الحديث الذين يجعلون
عمادهم السنن والآثار ولا يأخذون بالرأي الا بقدر الضرورة وهؤلاء
على رأسهم مالك بن أنس وأصحابه بالمدينة ومصر ، وبين أهل القياس
والرأي الذي يعتمدون إلى جانب القرآن والسنة ويعدهما على أعمال العقل
ودقة النظر والأخذ بالقياس ، وهؤلاء بالعراق وما حولها .

فحاول الامام الشافعي أن يقف موقفاً وسطاً بين الطرفين فرأى أن
يأخذ بالقياس في غير اسراف على أن يكون له سند من الكتاب والسنة .

وأخيراً استقر الامام الشافعي بمصر وظل بها حتى وفاته .

وللإمام الشافعي العديد من المؤلفات التي ألفها في مكة وبغداد ومصر. بعض هذه المؤلفات رسائل صغيرة في أبواب الفقه ، والبعض الآخر كتب في موضوعات الفقه كذلك . ومن هذه الكتب التي ذكرها الرواة والمترجمون ، كتاب الحجة الذي كتبه في الرد على العراقيين أصحاب الرأي ، وكتاب الرسالة ، وكتاب اختلاف الحديث ، وكتاب السنن ، والمجموعة الفقهية الكبرى التي تسمى الآن « الأم » ومن الأرجح أن كتاب الأم في مجموعته عدد من رسائله كتب بعضها وأمل بعضها وأكمل تلاميذه بمصر بعضها . وتضم هذه الرسائل كل أبواب الفقه من عبادات ومعاملات ، كما تضم أبحاثاً في علم أصول الفقه وعلم الحديث . والأرجح أن الذي أطلق على الكتاب هذه التسمية هو تلميذه الربيع بن سليمان المرادي المصري الجيزي .

هذا ويعتقد بعض الباحثين أن للشافعي مذهبين : مذهب عراقي ومذهب مصري . ولكن الواقع أن الشافعي كان كثير التدبير فيما يكتب ، ولذلك كان يعيد ويعدل عن كثير منه ولهذا تعد أراؤه الفقهية بمصر ناسخة لتلك التي كانت بالعراق . يقول محمد بن مسلم بن واره الرازي لأحمد بن حنبل - كما يذكر ابن أبو حاتم الرازي في كتابه آداب الشافعية - يقول : ما ترى في كتب الشافعي ، التي عند العراقيين أحب إليك أم التي بمصر ؟ قال : عليك بالكتب التي وضعها بمصر . فإنه وضع هذه الكتب بالعراق ولم يحكمها ثم رجع إلى مصر فأحكم تلك .

أما رسالة الإمام الشافعي ، فهو أهم مؤلفاته بإجماع الذين ترجموا له ، حتى إنه أصبح بها عندهم الواضع لعلم أصول الفقه .

والرسالة التي بين أيدينا الآن هي الرسالة الجديدة التي كتبها بمصر ، فقد عرفت عنه بالعراق رسالة أخرى كتبها بمكة وهو شاب ، أعاد النظر فيها حتى أصبحت على النحو الذي بين أيدينا الآن .

والرسالة كتاب في أغلب مسائل الفقه من خلال البحث في معاني القرآن والسنة ومقبول الأخبار فيها والإجماع وحجته ثم الرأي والاجتهاد .

بدأ الشافعي رسالته بمقدمة تحدث فيها عما يجب على طالب العلم من بلوغ غاية الجهد في الاستكثار من علم القرآن نصاً واستنباطاً لأنه كتاب جمع الله فيه ما أحل وما حرم وما يجب علينا مما افترضه ، وما نستحقه مما وعدنا .

وبعد ذلك تناول الإمام الشافعي مباحث رسالته ، فبدأها بمبحث في كيفية بيان كتاب الله فيما جاء به من أحكام العبادات والمعاملات ، مقسماً مراتب البيان إلى خمس مراتب أولها ما أبانه الله لخلقه نصاً يليه ما أحكم الله فرضه بكتابه وبين كيفية الرسول ثم ما سن رسول الله عليه السلام مما ليس فيه كتاب يليه اجتهاد القياس على القرآن والسنة .

وبعد أن أتم حديثه عن البيان وتعريفه . وكيفية ومراتبه . تكلم عن النسخ والمنسوخ والحكم في ذلك . ثم عن العلل في الأحاديث حيث تناول الأحاديث التي نجد مثلها في القرآن نصاً ، والتي نجد مثلها في القرآن جملة والتي جاءت بأكثر مما في القرآن والتي ليس منها شيء في القرآن . وتحدث الشافعي بعد ذلك عن العلم وما يجب على الناس فيه ، فيقسمه إلى علم عامة مثل الفرائض وتحريم الزنا والقتل ؛ فهو موجود نصاً في القرآن وعاماً عند المسلمين وليس فيه متنازع ولا تأويل . وعلم أحكام فروع الفرائض وغيرها مما ليس فيه نص قرآن ولا في أكثره نص سنة وهذه الدرجة من العلم لا تبلغها العامة وهي محل التأويل والاختلاف .

وتناول الشافعي بعد ذلك خبر الواحد والحجة في تثبته ، ثم حجية الإجماع .

بعد ذلك تناول الشافعي القياس باعتباره أصلاً من أصول الفقه بعد الكتاب والسنة والإجماع ، فتحدث عن شروط القياس الصحيح ومن يجوز له

شرعاً أن يقيس ومن يصح منه الاجتهاد. ورأى الشافعي بالاستحسان فيما لا يخالف الخبر والكتاب أو السنة. ذلك أن كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوباً بينا لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه . ثم تحدث عن اختلاف الصحابة في بعض مسائل الميراث ورأى أن الأوفق رد هذه الآراء إلى ما وافق الكتاب أو السنة أو الاجماع أو كان أصح في القياس .

ويختتم الشافعي رسالته بتأكيد ما سبق وبحثه في أول الكتاب من أن البيان أو أصول الفقه ليس في مرتبة واحدة . بل لكل مرتبة معلومة وإنها حسب أفضليتها الكتاب والسنة المجتمع عليها والتي لا اختلاف فيها والسنة من طريق الإنفراد ثم الاجماع فالقياس وهو الأضعف ولكنها منزلة ضرورية .

وقد طبع الكتاب أكثر من طبعة، طبع أولاً بالمطبعة العلمية ١٣١٢ هـ. وتصحيح يوسف صالح محمد الجزماوي ، وطبع مرة أخرى بالمطبعة الشرقية ١٣١٥ هـ. وطبع بمطبعة بولاق ١٣٢١ هـ. وطبع طبعة محققة عام ١٣٥٨ هـ (١٩٤٠) بتحقيق وشرح الشيخ أحمد شاکر .

مصادر ومراجع

- ابن أبي حاتم الرازي : آداب الشافعي ومناقبه .
- ابن حجر : توالي التأسيس .
- ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ .
- ابن النديم : الفهرست .
- الشافعي : الرسالة .
- مصطفى الرازي : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية .

نماذج من الرسالة للشافعي

(١)

« والناس في العلم طبقات ، موقعهم من العلم يقدّر درجاتهم في العلم به . فحقّ على طلبه العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكشاف من علمه ، والصبر على كل عارض دون طلبه ، وإخلاص النية لله في استدراك علمه : نصا واستباطاً ، والرغبة إلى الله في العون عليه ، فإنه لا يذكّر خيراً إلا بعونه .

فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصا واستدلالاً ، ووفقّه الله للقول والعمل بما علّم منه : فاز بالفضيلة في دينه ودنياه ، وانتفت عنه الريب ، وتوزّت في قلبه الحكمة واستوجب في الدين موضع الإمامة .

[ص ١٩ - ط . مكتبة الحلبي بتحقيق شاكر - ١٩٤٠] .

(٢)

« كلّ ما سنّ رسول الله مع كتاب الله من سنة فهي موافقة كتاب الله في النصّ بمثله ، وفي الجملة بالتبيين عن الله ، والتبيين يكون أكثر تفسيراً من الجملة . وما سنّ مما ليس فيه نصّ كتاب الله فيفرض الله طاعته عامة في أمره تبعاً . وأما النسخة والمنسوخة من حديثه فهي كما نسخ الله الحكم في كتابه بالحكم غيره من كتابه عامة في أمره ، وكذلك سنة رسول الله تنسخ بسنّه .

فأما المختلفة التي لا دلالة على أيها ناسخ ولا أيها منسوخ فكل أمره موافق صحيح لا اختلاف فيه . .

[ص ص ٢١٢ - ٢١٣] .

(٢)

« أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن غزوة عن عبد الرحمن بن عبد
القاري قال : سمعتُ عمرو بن الخطاب يقول : سمعتُ هشام بن حكيم
بن جزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها ، وكان النبي أقرأنيها ،
فكنتُ أعجلُ عليه ، ثم أمهلتُ حتى انصرف ثم لييتُ بردائه ، فجئتُ به
الى النبي ، فقلتُ : يا رسول الله ، إني سمعتُ هذا يقرأ سورة الفرقان
على غير ما أقرأنيها ؟ فقال له رسولُ الله : اقرأ . فقرأ القراءة التي
سمعتُ يقرأ ، فقال رسولُ الله : هكذا أنزلتُ ، ثم قال لي : اقرأ ،
فقرأت ، فقال : هكذا أنزلتُ .

إن هذا القرآنُ أنزلَ على سبعةِ أحرفٍ ، فاقروا ما تيسرُ .

قال الشافعي : فإذا كان الله لروافقه بخلقه أنزلَ كتابه على سبعة
أحرفٍ ، معرفةً منه بأنَّ الحِفْظَ قد يَزُولُ ، ليحلَّ لهم قراءتُهُ وإن اختلف
اللفظُ فيه ، ما لم يَكُنْ في اختلافهم إحالةٌ معنى كان ما سوى كتابِ الله
أولى أن يَجُوزَ فيه اختلافُ اللفظِ ما لم يَحُلْ معناه .

[ص ص ٢٧٣ - ٢٧٤] .

الشعر والشعراء لابن قتيبة

[٢١٣ - ٢٧٦ هـ]

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الديوري . وابن قتيبة فارس الأصل ، عمل فترة بقضاء دبور فسب إليها .

ولد ابن قتيبة من أبوين معربين في الكوفة أو بغداد على اختلاف بين مترجميه ، وقضى معظم حياته في بغداد ، وفيها أخذ عن علمائها علوم الحديث والفقه واللغة والتفسير والنحو والأدب والأخبار ومن شيوخه الذين أخذ عنهم أبو الفضل الرباشي وعبد الرحمن بن عبد الله بن قريب وإبراهيم بن سفيان الزياتي وأبر حاتم السجستاني وإسحاق بن راهويه ، وكانوا من كبار علماء عصره في اللغة والنحو وعلوم القرآن والأدب :

ولم يمكث ابن قتيبة في وظيفته كقاضى دينور مدة طويلة على الأرجح - فقد عاد الى بغداد وظل بها يؤلف ويدرس اتجاهه اللغوي النحوي الذي مرج فيه بين المدهيين الكوفي والبصري حتى مات حوالي عام ٢٧٦ هـ .

واشترك ابن قتيبة في الصراع العقائدي والصراع الجنسي ستمى القرن الثاني ، فدافع إلى جانب أهل السنة ضد المعتزلة ودافع ضد الشعوبية إلى جانب العرب

وهكذا كان ابن قتيبة من خير النماذج التي تمثل ثقافة القرن الثاني الهجري أصدق تمثيل ، وقد أتضح هذا في مؤلفاته العديدة التي تناولت جميع معارف عصره ، والتي تكشف لنا عن عقلية مصقولة منظمة ، وثقافة متسعة ، حتى إن الرواة يذكرون له ما يقرب من ثلثمائة كتاب في شتى

أنواع المعارف ، وإن لم يصلنا من هذه المؤلفات سوى أقل من عشرين مؤلفاً منها ما هو مشكوك النسبة اليه ككتاب الإمامة والسياسة

ومن هذه المؤلفات

كتاب الأنواء - كتاب المعاني الكبير - مشاكل القرآن - غريب القرآن -
تأويل مختلف الحديث - كتاب المسر والأقداح - كتاب الأثرية - كتاب
المرب - كتاب الشعراء والشعراء - كتاب أدب الكاتب - كتاب عيون
الأخبار - كتاب المعارف - كتاب النعم والبهايم - كتاب المسائل والأجوبة .

أما كتاب الشعر والشعراء فهو من أهم ما كتب ابن قتيبة في النقد
والأخبار والأدب .

والكتاب قسمان ، القسم الأول في الشعر وهو المقدمة تحدث فيها عن
الشعر وأقسامه وعيوبه .

والقسم الثاني وهو الشعراء ترجم فيه لعدد كبير من شعراء الجاهلية
وصدر الإسلام والعصر الأموي والعصر العباسي الأول حتى منتصف
القرن الثالث الهجري . ومنهجه في هذا أنه يذكر الشاعر ونقلاً من أخباره ثم
يذكر شيئاً من شعره ليس بالقليل متقباً عليه بالشرح والتعليق .

وقد عالج ابن قتيبة في مقدمته عدداً من القضايا النقدية الهامة ،
فتحدث عن قضية الشكل والمضمون في العمل الأدبي والتقاليد الأدبية
وأثرها في بناء القصيدة العربية والفرق بين الصنعة والطبع في الشعر ،
ومفهوم القديم والحديث والنظر إلى الشعر في ضوءه ، كما تناول في هذه
المقدمة العيوب المتعلقة بالشعر .

نظر ابن قتيبة إلى الشعر فوجده أربعة أضرب هي على الترتيب :
ضرب حسن لفظه وجاد معناه ، وضرب حسن لفظه ولم يكن لمعناه
فائدة ، وضرب جاد معناه وقصرت ألفاظه ، وضرب تأخر معناه وتأخر
لفظه ، وقدم ابن قتيبة نماذج شعرية لكل ضرب منها محاولاً إيجاد العلل
والأسباب في تفسير أحكامه الفنية .

وحاول ابن قتيبة حينما نظر في القصيدة العربية أن يضع أساساً نفسياً لبناء القصيدة العربية وفق تقاليد أدبية متعارفة ، فرأى أن « مقصد القصيدة إنما ابتدأ بذكر الديار ومحاطبة الدمن ، فبكى وشكا واستوقف الرقيق ذاكرة أهلها الطاعنين عنها لأن أهل الوبر يتجمعون مساقط الغيث على خلاف ما عليه نازلة المدر . ثم خلص من ذلك إلى إظهار شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصباية والشوق ليعمل نحسوه الوجوه ويمتدب الأسماع » .

فالمصلة في بداية القصيدة بالتشبيب عند ابن قتيبة أن « التشبيب قريب من النفوس لا تظ بالقلوب ، لما جعل الله في تركيب العباد من حبة الغزل وألف النساء » . فإذا استوثق الشاعر من الإصغاء إليه كما يرى ابن قتيبة عقب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النصب والسهر وسرى الليل وحر المهجير وانضاء الراحلة والبعير . فإذا علم أنه أوجب على صاحبه حق الرجاء وقرر عنده ما ناله من المكارة في المسير بدأ في المديح فبعثه على المكافأة وهزه للسماح » .

لقد استطاع ابن قتيبة هنا كناقداً أن ينظر للتقاليد الأدبية المتبعة في بناء القصيدة الشعرية من خلال خبرة فنية توافرت لديه . وهو لا يكتفي برصد هذه الظاهرة بل يأخذ في تفسيرها تفسيراً يعتمد على مفهوم نفسي في النظر الى عملية الخلق الأدبي ، فالشاعر إنما بدأ بالنسيب بما فيه الوقوف على الأطلال لأن الطلل والمرأة ظاهرة حياتية هامة في وجدانه ، ولأنه بهذا يجذب الإصغاء والإنصات ليكون أقدر على استدعاء المشاركة الوجدانية عند المتلقي ، فإذا قدر هذا انتقل الى سائر أجزاء قصيدته من وصف للرحلة والراحلة حتى يصل الى المدح في النهاية .

وقد رأى ابن قتيبة بعد ذلك ضرورة التناسب بين هذه الأجزاء فلا يجوز أن يطغى منها جزء على جزء فيسبيل الشاعر في أحد الأجزاء على

حساب الآخر مما يدفع السامع إلى الملل الذي لا يطلب معه مزيداً من سماع .

والشعر عند ابن قتيبة ينقسم قسمين ، فمنه المتكلف ومنه المطبوع ، ويرى ابن قتيبة في هذا الصدد أن الشعر أحياناً يكون جيداً عكساً . فتسخه الصنعة وتذهب بطلاوته .

وقد لاحظ ابن قتيبة بحسه الفني أن الشعراء يختلفون في الطبع تبعاً لتزويجهم وميولهم ، ثم حاول أن يذكر خصائص شعر المطبع وخصائص شعر الصنعة ، فالشاعر المطبوع هو الذي يتدفع عن السليقة والطبع . فيعبر من خلالها الشاعر عن خوالج النفس في غير تقصير ولا استكراه . أما الشعر المتكلف ، فنحسه من طول التفكير وشدة العناية ورشح الجين .

وحينما نظر ابن قتيبة إلى الصراع بين القديم والجديد وأثر هذه النظرة في قبول الشعر ورفضه ، رأى ابن قتيبة أن الانصاف يستوجب وضع كل شاعر في مكانته التي يستحقها دون النظر إلى عصره فلم « يقصر العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا يخص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره » . وإن أوجب على الشعراء المحدثين الإلتزام بالتقاليد الأدبية المعروفة .

وفي نهاية المقدمة ذكر ابن قتيبة عيوب الشعر فجعلها قسمين : قسماً خاصاً بالموسيقى وقسماً خاصاً بالنحو . ومن عيوب الموسيقى لديه ، الإقواء (اختلاف حركة الروي) والسناد (اختلاف أرواف القوافي) . والإبطاء (إعادة القافية مرتين) .

أما عيوب الأعراب فكثيرة منها تسكين ما كان ينبغي تحريكه وعدم صرف المصروف وهمز غير المهموز

وبعد أن انتهى ابن قتيبة من الجزء الأول وهو مقدمة في الشعر ، أخذ

في ذكر الشعراء . والملاحظ أن ابن قتيبة لم يتبع منهجاً خاصاً في ترتيبه للشعراء فيقدم شعراء خاملين على لامعين ويقدم شعراء على من هم أقدم منهم ، ولم يتبع ترتيباً أبجدياً في عرضه لشعرائه . وإن ربط في بعض الأحيان بين الشعراء الذين تربطهم صلة قرابة .

وطريقة ابن قتيبة في ترجمته للشعرائه يبدأ بذكر اسم الشاعر وبعض أخباره ، ثم يذكر مختاراته لشعره ، وذلك على نحو اجمالي ، يمود مرة أخرى الى تفصيله .

وبذلك أصبح كتابه سجلاً قيماً لعدد كبير من الشعراء ، ومرجعاً لكثير من النصوص الشعرية وملابساتها ، ولكثير من آراء القدماء في الشعر والشعراء . بالإضافة الى القيمة النقدية الهامة لمقدمة كتابه على النحو الذي رأيناه .

وقد طبعت المقدمة « كتاب الشعر » سنة ١٨٧٥ في لندن ، وطبع المشرق « دي جويه » الكتاب بقسميه في لندن سنة ١٩٠٢ ووضع له مقدمة باللغة اللاتينية .

ثم طبع الكتاب كاملاً عدة طبعات شعبية بمصر ، حتى حققه الشيخ شاکر في طبعة جديدة سنة ١٩٤٥ وطبع بمطبعة عيسى الحلبي .

مصادر ومراجع

- ابن خلکان : وفيات الأعيان ، ح ١ .
- ابن قتيبة : الشعر والشعراء .
- ابن النديم : الفهرست .
- جورجی زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ح ٢ .
- د . عبد الحميد سند الجنسدي : ابن قتيبة ، العالم الناقد الأديب .

نماذج من الشعر والشعراء

(١)

« ولم يَقْصِرَ اللهُ العِلْمَ والشعرَ والبلاغةَ على زمنٍ دون زمنٍ ، ولا خَصَّصَ به قوماً دون قومٍ بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهرٍ ، وجعل كل قديمٍ حديثاً في عصره ، وكلُّ شرفٍ خارجيةٍ (الخيل التي لا عرق لها في الجودة) في أوله ، فقد كان جريراً والفرزدق والأخطل وأمثالهم يُعَدُّون محدثين . وكان أبو عمرو ابن العلاء يقول : لقد كَثُرَ هذا المحدثُ وحَسُنَ حتى لقد هممت بروايته . ثم صار هؤلاء قدماء عندنا يُعَدُّ المحدث منهم ، وكذلك يكونُ من بعدهم لمن بعدنا . . . فكلُّ من أتى بحسنٍ من قولٍ أو فعلٍ ذكرناه ، واثبنا به عليه ، ولم يَقْصُرْ عندنا تأخرُ قائله أو فاعله ، ولا حداثةُ سنه ، كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه ، .

[ص ٦٢ - ص ١ ، ط . دار المعارف ١٩٦٦ - تحقيق احمد شاكر] .

تعليق

يتناول ابن قتيبة في هذا النص قضية أدبية هامة ، هي الصراع بين القديم والجديد موضحاً رأيه فيها .

وابن قتيبة من مناقشته للقضية يكشف عن وجهة نظر متقدمة في النظر إلى قضية صراع الأجيال . فالقديم في عصر كان جديداً قبله ، والجديد في عصر سيصبح قديماً في العصر التالي . والمهم في العمل الأدبي ليس القديم والجديد زمنياً ، وإنما العمل الذي يظل جديداً في كل العصور ، والذي يشعر به كل عصر جزءاً من وجدانه ومن قيمه ، بل من حضارته .

من أخبار النابغة الذبياني

هو زياد بن معاوية ، ويكنى أبا أمامة ، ويقال أبا ثمامة ، وأهل الحجاز يفضلون النابغة وزهيراً .

وقال شُعَيْب بن صَخْرٍ : سمعتُ عيسى بن عُمر يشد عامراً بن عبد الملك المِثْمَعِي شعر النابغة ، فقلت : يا أبا عبد الله ، هذا والله الشعرُ ، لا قولُ الأعشي :

لَسْنَا نُقَاتِلُ بِالْعُصِيِّ وَلَا نُرَامِي بِالْحِجَارَةِ

ويقال : كان النابغة أحسنهم ديباجة شعرٍ ، وأكثرهم رونق كلامٍ ، وأجزأهم بيتاً ، كان شعره كلاماً ليس فيه تكلف . ونيف بالشعر بعدما احتتك ، وهلك قبل أن يُتَرَ . قال : وكان يُقوى في شعره ، فعيب ذلك عليه واسمعه في غناء :

أَبْنِ آلِ مَيْةٍ رَائِحٍ أَوْ مُقْتَدٍ عَجَلَانَ ذَا زَادٍ وَغَيْرَ مُزَوِّدٍ
رُغِمَ الْبَوَارِحُ أَنْ يَحْلَتْنَا غَدَاً وَبِذَاكَ خَبَرْنَا الْغَدَاةَ الْأَسْوَدَ
فَقَطَّنَ فَلَمْ يَمُدَّ .

[ص ص ١٥٧ - ١٥٨] .

من أخبار الخطيئة

هو جزول بن أوس ، من بني قُطيعة بن غُبس ، ولُقِّب الخطيئة لقُصره وقُربه من الأرض . ويكنى أبا مُليكة ، وكان راوية زُهير . وهو جاهلي اسلامي . ولا أراه أسلم الا بعد وفاة رسول الله ﷺ ، لاني لم أسمع له بذكر فيمن وفد عليه من وفود العرب ، إلا أني وجدته يقول في أول خلافة أبي بكر رضي الله عنه حين ارتدت العرب :

أطعنا رسولَ الله إذا كان حاضراً فبا لُفُفني ما بال دين أبي بكر
أيورثها بكراً إذا مات بعده فتلك وبيت الله ، قاصمة الظُهر
وقد يجوز أن يكون أراد بقوله « أطعنا رسول الله » قومه أو العرب ، وكيف ما كان فإنه كان رقيق الاسلام ، لثيم الطبع .

ومن المشهور عنه أنه قيل له حين حضرته الوفاة : أوص يا أبا مُلكية ، فقال : ما لي للذكور (من ولدي) دون الإناث ، فقالوا : إن الله لم يأمر بهذا ، فقال : لكن أَمُرُّ به ، ثم قال : ويَلِّ للشعر من الرواة السوء ، وقيل له : أوص للمساكين بشيء ، فقال : أوصيهم بالمسألة ما عاشوا ، فلما تجارة لن تبور . وقيل له : اعتق عبدك يساراً ، فقال : اشهدوا أنه عبد ما بقي عيسى . وقيل له : فلان اليتيم ما توصى له (بشيء) فقال أوصي بأن تأكلوا ماله . قالوا : فليس الا هذا ؟ قال احملوني على حمار ، فإنه لم يمت عليه كريم ، لعل أنجو . ثم تمثَّل :

لِكُلِّ جَدِيدٍ لَذَّةٌ غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُ جَدِيدَ الْمَوْتِ غَيْرَ لَذِيدٍ
له خَبْطَةٌ فِي الْخَلْقِ لَيْسَتْ بِسُكْرِ وَلَا طَعْمُ رَاحٍ يُشْتَهَى وَنَبِيدٍ
ومات مكانه .

وكان هجا أمه وأباه ونفسه ، فقال في أمه :

| | |
|--|--|
| تَنحِي فِاقُمِدِي مِنِّي بِعِيداً | أَرَاخُ اللَّهَ مِنْكَ السَّالِمِينَ |
| أَلَمْ أَوْضَحْ لَكَ الْبَغْضَاءَ مِنِّي | وَلَكِنْ لَا أَخَالُكَ تَغْفِلِينَ |
| أَغْرِبَالاً إِذَا اسْتَوْدَعْتَ مِثْرًا | وَكَيْتُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ |
| حِزَاكَ اللَّهُ شِرًّا مِنْ عَجُوزٍ | وَلَقُتَاكَ الْعُقُوقَ مِنَ الْبَنِينَ |
| حَيَاتُكَ مَا عَلِمْتُ حَيَاةَ سُوءٍ | وَمَوْتُكَ قَدْ بَرُّ الصَّالِحِينَ |

وقال لأبيه :

| | |
|---|---------------------------------------|
| جَمَعْتَ اللَّوْمَ ، لِأَحْيَاكَ رَبِّي | وَأَبْوَابَ السُّفَاهَةِ وَالضَّلَالِ |
|---|---------------------------------------|

وقال لنفسه :

| | |
|---|---|
| أَبَيْتُ شَفَقَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلُّاً | بُسْرٍ ، فَمَا أَذْرَى لَنْ أَدَا غَابِئَةً |
| أَرَى لِي وَجْهًا مُسَوِّءَ اللَّهِ خَلْقَهُ | فَقُبِّحَ مِنْ وَجْهِهِ وَتَبَّحَ حَسَابِلُهُ |

[ص ص ٣٢٢ - ٣ - ٣٢٤ ح ١]

الزيج الصابي للبتاني (٢٤٤ - ٢١٧ هـ)

البتاني هو أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان البتاني الحاراني ، ولد
ببتان من نواحي حران بالعراق .

وبين الرقة على الفرات وانطاكية في سوريا عاش البتاني حياة علمية
نضجة ، فدرس كتابي السندھند والمجسطي وهما من أمهات وأوائل
الكتب التي ترجمت في الرياضيات والفلك ، ترجم الأول عن الهندية ،
والثاني عن اليونانية . ولم يلبث البتاني أن دخل ميدان البحوث الفلكية ،
وأشأ مرصداً لأبحاثه التي كان من أشهرها حساب طول السنة الشمسية
ومقياس موضع أوج الشمس في مسارها الظاهري مصححاً بنتائج النتائج
التي كان قد توصل إليها بطليموس من قبل .

كذلك أثبت البتاني احتمال حدوث الكسوف الحلقي للشمس ، وهو
الكسوف الذي ينتهي فيه وسط قرص الشمس ويبقى حلقه دائرة مفرقة
مضيئة .

كما قام البتاني بأعداد جداول جديدة لمواقع حركات القمر والكواكب
بعد أن أعاد تحقيق مواقعها .

وللبتاني إلى جانب هذه التجارب الارصادية مؤلفات عديدة في الفلك
والرياضة منها :

١ - كتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك

٢ - شرح أربع مقالات لبطليموس .

٣ - رسالة في مقدار الانصالات

٤ - كتاب تعديل الكواكب

٥ - الزيج الصابئ

وعلم الأزياج هو العلم الذي يبحث في حركة النجوم والكواكب في أفلاكها ما بين أبعد وأقرب نقطة للكوكب عن الأرض .

وزيج البتاني هو أشهر المؤلفات العربية في هذا المجال لأنه أول زيج يحتوي على معلومات صحيحة دقيقة وعلى أرصاد كان لها أثرها في علم الفلك طوال العصور الوسطى وأوائل عصر النهضة عند العرب وفي أوروبا .

والكتاب دراسة في القوانين الفلكية من خلال مقدمة وسبعة وخمسين باباً، درس فيها البتاني الكرة السماوية ودوائرها وقياس الزمن برصد ارتفاع الشمس ، وموضوع الكواكب (النجوم) الثابتة ومعركة أوضاعها بالنسبة للدوائر السماوية ، وطول السنة الشمسية عن طريق الرصد الذي وجدته ٣٦٥ يوماً و٦ ساعات و١٤ دقيقة و٢٦ ثانية . وقد أثبتت الحسابات الحديثة أن البتاني قد أخطأ في تقديراته بمقدار دقيقتين واثنتين وعشرين ثانية .

ثم تناول بعد ذلك الاختلاف في حركة الشمس وعدم انتظام سرعتها بين يوم وآخر على مدار السنة ، وحركات القمر والكسوف والخسوف وبعد الشمس والقمر عن الأرض وأسباب أوجه القمر .

كذلك تناول البتاني الكواكب ومساراتها ، كما قدم دراسة للتقاويم المختلفة عند العرب والروم والفرس والقبط .

ثم درس منازل القمر وقسمها إلى ثمان وعشرين منزلة كما كانت عند العرب قبل أن يطلعوا على التقسيم الهندي ، ولكنه استخدم في تقسيمه الأصول الهندسية والفلكية .

ويبحث بعد ذلك مسار القمر ونقطتي تقاطعه مع مسار الأرض ورؤية

الملال والخسوف وكذلك تناول كسوف الشمس وأحوال ومواضع وحركات المجموعات الشمسية . واختتم كتابة بيباب عن ارساداته التي قام بها للنجوم . وبابين خصصهما لوصف الآلات الفلكية وطريقة صنعها والأخطاء التي يمكن أن يقع فيها عالم الفلك .

هذا وقد اعتد اغلب علماء الفلك بعد البتاني كتابه في الفلك هذا لحساباتهم الفلكية ولتأليفاتهم في علم الفلك منهم أبو الريحان البيروني خاصة في كتابه « كتاب جلاء الأذهان في زيج البتاني » ومنهم أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي الأندلسي (ت ٣٩٧ هـ) وأبو الحسن علي بن عمر المراكشي من علماء المغرب في كتابه « المبادي والغايات في علم الميقات » .

وفي القرن الثاني عشر الميلادي ترجم الزيج الصابيء الى اللاتينية ، وقد طبعت إحدى هذه الترجمات (ترجمة بلاتوتيفوك) في نورمبرج عام ١٥٣٧ م .

وقد نشر كالفونلينو طبعة للأصل العربي للزيج منقولاً عن النسخة المحفوظة بمكتبة بلدية الإسكوريال في ثلاث مجلدات بروما ١٨٩٩ - ١٩٠٧ مصحوبة بترجمة لاتينية وتعليق على بعض النصوص .

مصادر ومراجع :

- د . امام ابراهيم احمد : الزيج الصابيء للبتاني . دراسة بمجلة تراث الانسانية - المجلد الثالث ص ١٨٣
- البتاني : الزيج الصابيء
- ابن النديم : الفهرست
- قدرى طوقان : تراث العرب العلمي

نماذج من كتاب الزيج الصالح للبياني

(١)

« إن من أشرف العلوم منزلة ، وأسانها مرتبة ، وأحسنها حلية ، وأعلقها بالقلوب ، وألمعها بالنفوس وأشدّها تحديداً للفكر والنظر وتذكيرة للفهم ورياضة للعقل بعد العلم ، بما لا يسع الإنسان جهله من شرائع الدين وسته ، علم صناعة النجوم . لما في ذلك من جسيم الحظ وعظيم الانتفاع بمعرفة مدة السنين والشهور والمواقيت وفصول الأزمان وزيادة النهار والليل ونقصاتها ، ومواضع النيرين وكسوفهما ، ومسير الكواكب في استقامتها ورجوعها وتبدل أشكالها ومراتب أفلakها ومساير مناسباتها ، إلى ما يدرك بذلك من أنعم النظر وأدام الفكر فيه من إثبات التوحيد ومعرفة كنه غظمة الخالق وسعة حكمته ، وجليل قدرته ولطيف صنعه . »

المقدمة

(٢)

« وضعت في ذلك كتاباً أوضح فيه ما استعجم ، وفتحت ما استغلق ، وبينت ما أشكل من أصول هذا العلم ، وشذ من فروعه ، وسهلت به سبيل الهداية لمن ياتر به ويعمل عليه في صناعة النجوم . وصححت فيه حركات الكواكب ومواضعها من منطقة فلك البروج على نحو ما وجدتها بالرصد وحساب الكسوفين ومساير ما يحتاج إليه من الأعمال ، وأضفت إلى ذلك غيره مما يحتاج إليه ، وجعلت استخراج حركات الكواكب فيه من الجداول لوقت انتصاف النهار من اليوم الذي يحسب فيه بمدينة الرقة ، وبها كان الرصد والامتحان على تحديق ذلك كله إن شاء الله تعالى وبالله التوفيق . »

المقدمة

« أما ما كان الوقوف عليه بالقياسات والأرصاء والمحن والاعتبارات ، فقد يمكن أن يستدرك فيه الزيادة والنقصان . فما كان منه من قبل الوقوف على حقيقة الشيء بعينها والتقصير عن ذلك ، فإنه إذا قسم على الزمان الطويل قبل ذلك الذي يعرض فيه ، وإن كان محسوساً . وما قسم على زمان قصير كثر وإن كان قليلاً .

وأما ما وقع الخطأ فيه من قبل الآلة في قسمتها ونصبها وتقويمها ، فإنه إن امتحن بتلك الآلة بعينها وهي على الحالة الأولى كان الخطأ واحداً في الوقتين ، وإن كان الخطأ من قبل القسمة فقط قد يمكن أن يصح نصبها وتقويمها إن يغير ويبقى الخطأ بحاله من قبل القسمة . فإذا رصد بغيرها ظهر الاختلاف .

تعليق

في هذا ، النص يناقش البتاني الخطأ الذي يقع فيه عالم الفلك ، فيراه خطائين ، خطأ شخصي ، وآخر يرجع إلى الآلة .

فالخطأ الشخصي وهو ما يقع من العالم سواء أكان يقصد أو كان عن قلة دواية ، فيمكن معالجته بعدم الاعتماد على نتائج عالم واحد . فإذا ما كان الرصد المطلوب يعتمد على رصدتي عالين بينهما فترة من الزمن ، فمن المستحسن أن نكون تلك الفترة أطول ما يمكن حتى إذا ما أخطأ أحدهما كانت قسمة الخطأ على عدد السنين أقل ما يمكن .

أما الخطأ الذي يرجع إلى الآلة كأن يكون بها خلل أو عيوب في طريقة تقسيم مقياسها ، فرأى البتاني أن هذا يمكن تداركه بعدم الاكتفاء بآلة واحدة في الرصد . كما يجب دائماً العمل على تطوير الآلة وزيادة دقتها .

معجم الشعراء للمرزباني (٢٩٧ - ٣٧٨ هـ)

المرزباني هو أبو عبد الله محمد بن عمران المزباني ، وهو خراساني الأصل ببغداد المولد .

ولد المرزباني ببغداد في سنة ٢٩٧ هـ ، وفيها أخذ العلم عن كبار علماء عصره ومنهم : أبو بكر بن دريد وابن نبطويه وأبو بكر الأنباري وغيرهم ، وهكذا نشأ المرزباني واسع المعرفة عالماً مدققاً بالروايات والأخبار ، فيصفه ابن النديم في الفهرست ، وكان معاصراً له - بقوله إنه كان صادق اللهجة ، واسع المعرفة بالروايات ، كثير السماع .

كما أثبت له ابن النديم عدداً من المؤلفات أغلبها حول الشعر والشعراء مما يدل على أن تركيز اهتمام الرجل كان منصرفاً إلى هذه الناحية . ومن هذه المؤلفات التي ذكرها ابن النديم نذكر :

١ - أخبار الشعراء المشهورين والمكثرين من المحدثين وأنسابهم وأزمانهم وأولهم بشار وآخرهم ابن المعتز .

٢ - أخبار ابن تمام

٣ - الرياض في أخبار التميميين من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين .

٤ - كتاب الشعراء . ويصفه ابن النديم بأنه كتاب جامع لفضائله ، وذكر

محاسنه وأوزانه وعيونه وأجناسه وضروره ومختاره ، وأدب قائله
ومثديه ، وبيان فحوله ومسروقه .

٥ - كتاب المراثي .

٦ - الموثق في أخبار الشعراء الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين على
طبقاتهم .

٧ - الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء .

٨ - معجم الشعراء .

ولم يصلنا من هذه المؤلفات غير المؤلفين الأخيرين فقط .

ولا شك أن هذا الاهتمام بالشعر والشعراء وأخبارهم على النحو
الذي رأيناه متمثلاً في عناوين كتبه ، لا شك أن هذا الاهتمام كان
الدافع الحقيقي الذي دفع المرزباني الى وضع معجمه عن الشعراء ، خاصة
بعد أن رأى مؤلف الأمدى المعاصر له ، المؤلف والمختلف ، الذي أرخ
فيه للشعراء التشابه اسماؤهم وهم مختلفون .

وحينما تحدث ابن النديم عن معجم المرزباني قال : « وكتاب المعجم
له ، ذكر فيه الشعراء على حروف المعجم . بدأ بمن أول اسمه ألف الى
حرف الياء . وفيه خمسة آلاف اسم . وفيه من شعر كل واحد منهم أبيات
فيه يسيرة من مشهور شعره . فيه ألف ورقة » .

غير أن الكتاب على هذه الصورة التي وصفها ابن النديم ليس هو
الذي بأيدينا ، فقد فقد جزء كبير منه ، ولم تصلنا إلا نسخة بدون مقدمة
تبدأ بحرف العين ، فضلاً عن أن أبواب حروف الغين واللام والنون
والواو مفقودة هي الأخرى .

فالنسخة التي بأيدينا من معجم الشعراء للمرزباني نسخة منقوصة
إذن .

والمرزباني في ترتيبه للشعراء لا يكتفي بالترتيب الأبجدي . ذلك انه
يلتزم إلى جانبه ترتيباً آخر يراعي فيه الزمن .

فهو يذكر في كل حرف ، الاسماء المتشابهة في العصر الجاهلي أولاً يليهم
من عاشوا في العصر الاسلامي فالأموي ثم العباسي وهكذا .

وفي ترجمة المرزباني للشاعر يذكر اسمه ونسبه كاملاً وكنيته ، ثم أهم
صفاته مستشهداً بشعر له ولغيره لتأكيد هذه الصفة ، ويأتي بعد هذا
ببعض المواقف الهامة في حياة الشاعر ويختتم الترجمة ببعض أشعار الشاعر
خاصة في هذه المواقف ، وينماذج من أجود ما انشد من شعر .

والملاحظ على كتاب معجم الشعراء للمرزباني أن المؤلف كان حريصاً
على تحديد عصر الشاعر أكثر من حرصه على اثبات تاريخ ميلاده ووفاته .
وبذلك أغفل التواريخ لأغلب الشعراء الذين ترجم لهم ، وكان يكتفي في
الأغلب بربطه بشخصية تاريخية بارزة عاشت في عصره أو بمناسبة أو حادثة
تاريخية شهيرة .

كذلك نلاحظ على الكتاب أن المؤلف في ترجمته للشعراء كان يرتبهم
وفقاً لاسمائهم الحقيقية غير المشهورة غافلاً أسماءهم المشهورة المعروفة
الامر الذي يجعل الكشف في معجمه لا يخلو من صعوبة للباحث ، خاصة
لأنه لم يراع الدقة في الترتيب الأبجدي بعد الحرف الأول ، مكتفياً
بالترتيب وفق الحرف الأول ، وتجميع الاسماء المتشابهة إلى بعضها .

وإذا كان كتاب معجم الشعراء للمرزباني يكشف لنا عن مدى معرفة
المؤلف الواسعة بالشعر العربي خلال عصره ، فإنه يكشف لنا كذلك عن

حرص المؤلف على تحري الدقة في رواية الشعر ، وعلى التمييز بين الشعر
وصحة نسبه إلى صاحبه .

ولهذا استطاع المرزباني أن يؤثر في العديد من المؤلفات الفهرسية التي
ظهرت بعده وإن طورت منهجه إلا أنها بلا شك مدينة له في دقته
العلمية ، وفي الأخذ عنه من علمه ومعرفته الكثير . ونذكر من هذه
المصنفات معجم الأدباء لياقوت الحموي وعيون النواريز وفوات الوفيات
لابن شاعر الكتي ووفيات الأعيان لابن خلكان وتاريخ دمشق لابن
عساكر .

هذا فضلاً عن أخذ عنه العلم والرواية من أمثال القاضي أبو محمد
الصيمري وأبو القاسم التنوخي ومحمد بن المظفر الدقاق وغيرهم .

وترجع أهمية الكتاب بالنسبة للباحث الحديث فيما يمكن أن يعثر عليه
في الكتاب من تراجم لشعراء مغمورين لا نكاد نعرف عنهم إلا ما ذكره
المرزباني .

هذا وقد طبع الكتاب لأول مرة عام ١٩٣٥ بتحقيق المستشرق كرونكر
مع كتاب الأمدي « المؤلف والمختلف » في مجلد واحد . ثم طبع طبعة
منفصلة بتحقيق عبد الستار أحمد فراج نشرة مكتبة الحلبي عام ١٩٦١ .

مصادر ومراجع

- ١ - ابن النديم : الفهرست
- ٢ - د . عمر الدقاق : مصادر التراث العربي
- ٣ - المرزباني : معجم الشعراء
- ٤ - ياقوت الحموي : معجم الأدباء .

نماذج من كتاب معجم الشعراء للمرزباني

(١)

باب ذكر من اسمه القحيف

(القحيف) العنبري . ذكره أبو عبيدة وهو بصري . يقول في قتل
معمود ابن عمرو الأزدي وهرب عبيد الله بن زياد عن البصرة :

فدى لقوم قتلوا معمودا واستلبوا بلمعة الحديد
واستلاموا ولبسوا الحديد

وله : جاءت عمان دغرى لاصفا بكر وجه الاسد حين النفا

(القحيف) العقيلي ، وهو ابن حمير بن سليم الندي بن عبد الله بن
عوف بن حزن بن خفاجة واسمه معاوية بن عمرو بن عقيل . وهو شاعر
مقلق كوفي لحق الدولة العباسية . وله قصيدة قالها في الفتنة عند قتل
الوليد بن يزيد أولها :

أن أهل الحجاز هوى نزيغ إلا سقياله لو يستطيع
كان البين يوم حسرت منه دم الحبات أو صبر فظيع

وله يرثي يزيد بن الطثرية :

الا تبكي سراة بني قشير على صنديدها وعلى قناها
أبا المكشوح بعدك من يحامي ومن يزرجي المطى على وجاها

وله من قصيدة ذكر فيها يوم الفلج :

ولولا الريح أسمع أهل حجر صباح البيض يقرعها النصال

وأغار فيه على قول مهلهل بن ربيعة

ولولا الريح اسمع من بحجر صليل البيض تفرع بالذكور

[ص ٢٣١ - مكتبة القدس - ١٣٥٤ هـ - القاهرة]

(٢)

باب ذكر من اسمه قتيبة

قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد بن أسيد بن
كعب ابن قضاعي بن هلال بن عمرو بن سلمان بن ثعلبة بن وائل بن
معن بن مالك بن باهلة بن أعصر بن سعيد بن قيس بن عيلان بن مضر .
تقلد خراسان من قبل الحجاج في أيام الوليد بن عبد الملك ، فلما مات
الحجاج وتقلد سليمان بن عبد الملك الخلافة قلده يزيد بن المهلب خراسان
فخلع قتيبة وكتب إلى سليمان :

رمانا سليمان بأمر أظنه سيجمله مني على شر مركب
رمانا بجبار العراق ومن له على كل حمى حد ناب وغلب
فأصبحت للبعد المزوي ضالماً وكان أتى قدماً على دين مصعب
وكان قتيبة ذا شرف في قومه وتقدم في بلده وكان أديباً عالماً . وأهل
البصرة يفخرون به وولده وهو القائل من أبيات :

أبي لي آباء كرام وأول أقاموا على ماء الندى فتخوضوا
بكل فتى في محضة الحي واضح يلوح كما لاح البمانى المفضض
(قتيبة) الحماني : لقيه الأصمعي وأخذ عنه

[ص ٢٣٢]

الفهرست لابن النديم (٣٢٠ - ٤٠٠ هـ)

هو أبو الفرج محمد بن اسحاق بن النديم مع اختلاف بين من ترجم له الذين لم يذكروا عنه الشيء الكثير خاصة فيما يتصل بميلاده ووفاته وثقافته وشيوخه .

وقد حاول الباحثون المحدثون عن طريق الدراسات والمقارنات أن يقدموا بعض التواريخ التقريبية ، وأرجح هذه الآراء أنه من مواليد أواخر العقد الثاني من القرن الرابع وأن وفاته كانت في نهاية هذا القرن أو ما يقرب من ذلك .

ولا نعرف عن شيوخ ابن النديم ممن سمع منهم ونقل عنهم غير ما يذكره هو في كتابه ، فهو يذكر أنه سمع من أبي الخير الحسن بن سوار بن الحمار ومن أبي الفرج الأصفهاني وأبي سعيد وأبي الحسن محمد بن يوسف الناقط ، وأبي اسحاق السيرافي واسماعيل الصفار ويونس القسي .

كما يجتمل أن السورقة كانت صناعته ورثها عن أبيه ، وأغلب من ترجم له أثبت له هذه الصفة .

هذا وقد اتهم ابن النديم بالتشيع ثم بالاعتزال ثم بالرافضية ، وربما كان هذا هو السبب فيما رأيناه من إهمال المترجمين له وتعاملهم عليه فلا نكاد نعثر عند من ترجم له على عبارة انصاف باستثناء قول ياقوت في معجمه عن كتاب الفهرست « الذي جدد فيه واستوعب استيعاباً يدل على اطلاعه على فنون من العلم وتحققه لجميع الكتب » .

ويبدو أن ابن النديم لم يؤلف كتباً أخرى غير الفهرست باستثناء كتاب آخر ذكره ياقوت والصفدي هو « التشبيهات » .

فقد ابن النديم لكثرة هذا الفهرس. ثبت جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب وكلها في أوصاف العلوم وأحبار مصنفها وطبقات مؤلفيها وأسماهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم وأماكن بلدانهم ومآقيهم ومثابهم منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا ، وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة ، والكتاب بهذا يعد الأول من نوعه ومن هنا يستطيع ان ندرك إلى أي حد كلف الكتاب الرجل ، من الجمع والنظر والتقليب والاحاطة . فلا شك ان المهمة التي كلف بها ابن النديم نفسه كانت مهمة شاقة ، فقد كان الرجل يتصدى لوضع فهرس يضم العلوم المختلفة وعلماء كل علم ومؤلفات كل عالم ، مع التعريف بهذه المؤلفات . حقيقة سبق الفارابي والخوارزمي ابن النديم ، الا ان مؤلفيهما اقتصرا على الاحصاء دون الاهتمام بالتعريفات ، كما انها اقتصرا على المؤلفات فقط . والكتابان هما « احصاء العلوم » للفارابي محمد بن محمد بن طرخان (ت ٣٣٩ هـ) و « مفاتيح العلوم » للخوارزمي محمد بن أحمد (ت ٣٨٧ هـ) وربما استفاد ابن النديم من المؤلفين في الانحاء إلى هذه التأليفات التي تهتم بالفهرسة والفهارس .

وبعد أن أضحى ابن النديم في مقدمة كتابه الغرض من تأليفه لهذا الكتاب ومجال اهتمامه ومنهجه في المعالجة ، قسم كتابه إلى عشر مقالات ، وقسم كل مقالة إلى فنون اختلفت في العدد بين كل مقالة

قسم ابن النديم المقالة الاولى ثلاثة فنون تناول في الفن الاول وصف لغات الأمم من العرب والعجم ونوعت أقلامها وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها وتناول في الفن الثاني أسماء كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين ومذهب أهلها ثم جعل الفن الثالث في نعت الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأسماء الكتب المصنفة في علومه وأخبار القراء وأسماء روايتهم

أما المقالة الثانية وهي الخاصة بالنحويين والمفسرين فتحدث فيها من خلال تقسيمها إلى ثلاثة فنون كذلك ، درس في الفن الأول ابتداء النحو وأخبار النحويين البصريين وأسماء كتبهم ، وفي الفن الثاني أخبار النحويين الكوفيين وأسماء كتبهم وفي الفن الثالث النحويين الذين خلطوا المذهبين وأسماء كتبهم .

وتناولت المقالة الثالثة الأخبار والآداب والسير والأنساب وذلك من خلال ثلاثة فنون أيضا ، تناول في الفن الأول أخبار الإخباريين والرواة والنسابين وأصحاب السير والأحداث وأسماء كتبهم ، وفي الفن الثاني أخبار الملوك والكتاب والمرسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم ، وفي الفن الثالث تناول ابن النديم أخبار الندماء والجلساء والمغنيين والمضحكين وأسماء كتبهم .

أما المقالة الرابعة في كتاب الفهرست فقد جعلها ابن النديم في الشعر والشعراء ، وقسمها إلى فنين ، الفن الأول : في طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ممن لحق الجاهلية وصناع دواوينهم وأسماء روايتهم ، والفن الثاني في طبقات الشعراء الإسلاميين وشعراء المحدثين إلى عصره .

وتأتي المقالة الخامسة في الكلام والمتكلمين على خمسة فنون تناول فيها ابتداء أمر الكلام والمتكلمين من المعتزلة والمرجئة وأسماء كتبهم وأخبار متكلمي الشيعة والامامية والزيدية وغيرهم من الغلاة والاسماعيلية وأسماء كتبهم ، وأخبار متكلمي المجبرة والحشوية وأسماء كتبهم ، وأخبار متكلمي الخوارج وأصنافهم وأسماء كتبهم وأخبار السباح والزهاد والعباد والمتصوفة والمتكلمين على الرساوس والخطرات وأسماء كتبهم .

وجعل ابن النديم المقالة السادسة في الفقه والفقهاء والمحدثين وذلك من خلال ثمانية فنون ، تناول في الفن الأول أخبار مالك وأصحابه وأسماء كتبهم ، وفي الفن الثاني أخبار أبي حنيفة النعمان وأصحابه وأسماء كتبهم ،

وفي الفن الثالث أخبار الشافعي وأصحابه وأسماء كتبهم وفي الفن الرابع أخبار داود وأصحابه وأسماء كتبهم وفي الفن الخامس أخبار فقهاء الشيعة وأسماء كتبهم وفي الفن السادس أخبار فقهاء أصحاب الحديث والمحدثين وأسماء كتبهم وفي السابع أخبار أبي جعفر الطبري وأصحابه وأسماء كتبهم وفي الثامن أخبار فقهاء الشراة وأسماء كتبهم .

وتناول في المقالة السابعة الفلسفة والعلوم القديمة في ثلاثة فنون تحدث فيها عن أخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأسماء كتبهم وأخبار أصحاب التعاليم والمهندسين والارثماطيقين والموسيقيين والحساب والمنجمين وصناع الآلات وأصحاب الحيل والحركات وأسماء كتبهم وعن ابتداء الطب وأخبار المتطبيين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم ونقلها وتقاسيرها .

أما المقالة الثامنة وهي في الأسرار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة فقد جعلها على ثلاثة فنون ، تحدث في الفن الأول عن أخبار السامريين والمخرفين والمصورين وأسماء الكتب المصنفة في الأسرار والخرافات ، وفي الفن الثاني تناول أخبار المفرمين والمشعوذين والسحرة وأسماء كتبهم وتحدث في الفن الثالث عن كتب مصنفة في معان شتى لا يعرف مصنفوها .

ثم جعل المقالة التاسعة في المذاهب والاعتقادات في فنين ، الفن الأول في وصف مذهب النجرائية الكلدانية (الصابئة) وأسماء كتبهم والفن الثاني في المذاهب الفريدة الطريفة كمذاهب الهند والصين وغيرهم .

أما المقالة العاشرة فخصصها بأخبار الكيمائيين والفلاسفة القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم .

ولا شك أن تصنيف على هذا النحو ، لا بد وأن يكسب وراءه سعة

اطلاع وجهد دائب وثقافة واسعة وفوق هذا كله قدرة على الاستقصاء
والجمع والتبويب والتصنيف .

ولأهمية الكتاب على هذا النحو كان مصدراً لكتب التراجم والسير
التي جاءت بعده ، بل اعتمدت عليها مؤلفات كثيرة أخرى في موضوعات
المعرفة المختلفة .

ولم يقف أهمية الكتاب عند القدماء فحسب ، فلا يزال الباحثون الى
الآن يعتمدون عليه اعتماداً كبيراً كمصدر للتراجم .

وقد طبع الكتاب أكثر من طبعة . طبعه أول مرة جماعة من المستشرقين
هم ، فلوجل وميلر وروديجز في ليدسك عام ١٨٧٢ م . ثم طبع في مصر
طبعة ثانية .

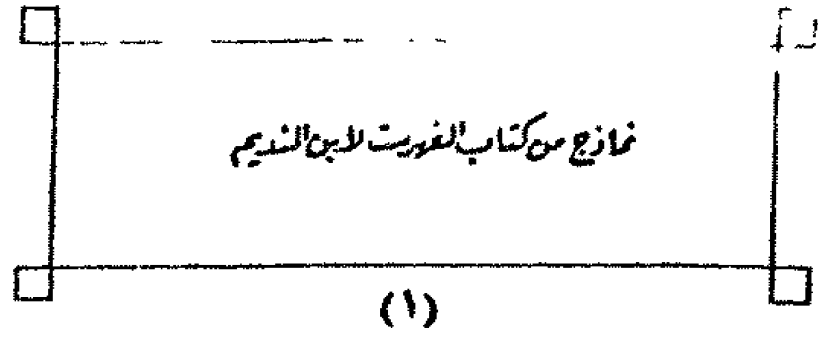
مصادر ومراجع - -

ابن حجر : لسان الميزان ، ص ٥

ابن النديم : الفهرست - ط . المطبعة التجارية - القاهرة

الصفدي ، خليل بن أيك : الوافي بالوفيات ، ج ٢

ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، ج ١٨



الكتب المؤلفة في غريب القرآن

كتاب غريب القرآن لأبي عبيدة - كتاب غريب القرآن لمؤرج
السدوسي - كتاب غريب القرآن لابن قتيبة - كتاب غريب القرآن لأبي عبد
الرحمن اليزيدي - كتاب غريب القرآن لمحمد بن سلام الجمحي - كتاب
غريب القرآن لأبي جعفر رستم الطبري - كتاب غريب القرآن لأبي عبيد
القاسم - كتاب غريب القرآن لمحمد ابن عزيز السجستاني - كتاب غريب
المصاحف لأبي بكر بن السوراق - كتاب غريب القرآن لأبي الحسن
المروضي - كتاب غريب القرآن لمحمد بن دينار الأحول - كتاب غريب
القرآن لأبي زيد البلخي - كتاب إعراب ثلاثية سورة من القرآن لابن
خالويه - كتاب المصاحف لأبي بكر الوراق .

[ص ٥٨ - ٥٩ ، ط . المكتبة التجارية - القاهرة]

تسمية من أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي

أخذ عن أبي الأسود جماعة منهم يحيى بن يعمر وعنبسة بن معدان وهو عنبسة الفيل ، وميمون بن الاقرون ، وقال بعض العلماء إن نصر بن عاصم أخذ عن أبي الأسود . فأما يحيى بن يعمر فهو رجل من عدوان بن قيس بن غيلان ابن مضر ، وكان عدده في بني ليث بن كنانة ، وكان مأمونا عالماً قد روى عنه الحديث ، ولقى ابن عباس وابن عمر وغيرهما وروى عنه قتادة وغيره .

وأما عنبسة بن معدان الفهري فرجل من أهل ميسان قدم البصرة وأقام بها وإنما سمي بالفيل لأن معدان أباه مقل بنفقة فيل زياد مسمى به .

وكان بعد عنبسة عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي مولى الحضرموت وهجاه الفرزدق فقال :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا
ومن برع في أيامه عيسى بن عمر الثقفي . حدثني أبو سعيد رحمه الله ، قال حدثنا أبو مزاحم قال حدثنا بن أبي سديد قال ، حدثنا أبو عثمان المازني ، قال حدثنا الأصمعي عن عيسى بن عمر ، قال كنا نمشي مع الحسن بن سعيد عبد الله بن أبي اسحق ، قال فقال الحسن جاذبوا هذه النفوس فإنها طلعة . فأخرج عبد الله بن أبي اسحق الواحه فكتبها وقال استفدنا منك يا أبا سعيد طلعة وأبر عمر ابن العلاء .

[ص ٦٨]

(٣)

الأمدي

واسمه الحسن بن بشر بن يحيى ويكنى أبا القاسم من أهل البصرة
قريب العهد وأحبه حيا . مليح التصنيف جيد التأليف متعاطي مذهب
المجاذب فيها يعمل من الكتب .

وله من الكتب :

كشّاب المختلف والمؤتلف في أسماء الشعراء - كتاب معاني شعر
البحري - كتاب نثر المنظوم - كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري - كتاب
الرد على علي بن عمار فيها خطأ فيه أبا تمام - كتاب في أن الشاعرين لا
يتفق خواتمهما - كتاب في اصلاح ما في معيار الشعر لابن طباطبا - كتاب
في نثر ما بين الخاص والمنزل من معاني الشعر - كتاب في تفضيل شعر
امريء القيس على الجاهليين - كتاب في شدة حاجة الانسان الى ان يعرف
قدر نفسه .

تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق لمسكويه

(٣٣٠ - ٤٢١ هـ)

مسكويه هو احمد بن محمد بن يعقوب ، ولد بالسري في أيام دولة بني بويه عام ٣٢٠ هـ ولقب بالخازن لعمله خازنا لمكتبة ابن العميد وزير ركن الدولة صاحب بلاد الري والجليل .

تفوق ابن العميد في علوم الهندسة والمنطق والفلسفة والالهيات والطبيعة والأدب حتى قرى بهاء الدولة بن بويه واتخذة ناصحا له حوالي سنة ٣٨٠ هجرية .

ولمسكويه العديد من المؤلفات ، منها ما طبع ومنها ما زال مخطوطاً ، ومنها ما ذكرته كتب التراجم ولم يصلنا .

ومن كتبه التي طبعت كتاب تهذيب الاخلاق ، وكتاب السعادة ، وكتاب الفوز الصغير ، وكتاب تجارب الأمم ، وكتاب جاويدان خرد او الحكمة الخالدة .

ومن كتبه المخطوطة رسائله في اللذات والألم وفي الطبيعة وفي جوهر النفس ، ومقال في النفس والعقل ، والتمييز بين الدهر والزمان وطهارة النفس ، وغيرها .

أما كتاب تهذيب الاخلاق فقد طبع عدة طبعات في مصر أولها طبعة ١٢٩٦ هجرية ، ثم أعيد طبعه في سنوات ١٣١٧ - ١٣٢٣ و ١٣٢٦ هجرية . وطبع بيروت سنة ١٩٦١ . والكتاب دراسة علمية بقدر ما وصل اليه العلم آنذاك في تقويم الاخلاق والسلوك او كما يقول مسكويه في مقدمته لكتابه « غرضنا في هذا الكتاب أن نحصل لأنفسنا خلقاً ، تصدر به عنا الافعال كلها جميلة ، وتكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة فيها ولا مشقة ، ويكون ذلك بصناعة وعمل ترتيب تعليمي » .

فالدراصة هنا دراسة تتناول بعض أنماط العلاقات الاجتماعية ، وخاصة الأمراض الاخلاقية التي انتشرت في عصره ، والتي أوجدتها طبيعة الحياة آنذاك وظروفها ، فتعرض للغرور والخيلاء والكراهية والغيرة والحقد ، كما يتناول قواعد علاقات الأفراد بعضهم ببعض فيما يسمى الآن بقواعد اللياقة .

ولا شك أن مسكويه قد تأثر في كتابه هذا بكثير من المترجمات لكتب الاخلاق وطبيعة الانسان ، وخاصة تلك التي ترجمت عن اليونانية والفارسية والهندية . فقد كان أمامه قبل تأليفه كتابه ، كتاب الاخلاق لجالينوس وكتاب ابقراط في طبيعة الانسان ، إلى جانب كتب الاخلاق والحكمة التي ترجمت عن الفارسية ، والتي كتبت قبل مسكويه .

وقد قسم مسكويه كتابه إلى سبعة أبواب أو سبع مقالات تناول فيها النفس ومراتب القوى وشرفها والفرق بين الخير والسعادة وأقسام الخير وظهور السعادة في الأفعال الناشئة عن الفضائل والاتحاد وحاجة الناس بعضهم لبعض وعلاج أمراض النفس ثم رد الصحة على النفس ومعالجة أمراضها .

وقد رأى مسكويه أن النفس ليست حالة من أحوال الجسم ، وإنما شيء آخر يختلف عن الجسم في جوهره ، وهي لهذا لا تأخذ علمها من الحواس ولكن تأخذه من ذاتها أي من العقل .

ثم قسم النفس إلى ثلاثة أقسام ، القوة الناطقة وتسمى الملكية وآلتها الدماغ ، وتقابلها الحكمة ، والقوة الغضبية وتسمى السبعية وآلتها القلب وفضيلتها الشجاعة ثم القوة الشهوية وهي التي تسمى بالبهيمية وآلتها التي تستعملها من البدن الكبد وفضيلتها السخاء .

ورأى مسكويه أن هذه الفضائل إذا اعتدلت في نسبة بعضها إلى بعض نتجت عنها فضيلة رابعة وهي فضيلة العدل .

أما أضداد هذه الحكم فهي الجهل والجبن والشدة والجور .

والفضائل عند مسكويه أوساط بين اطراف متباعدة وهي الرذائل ،
فكل فضيلة وسط بين رذيلتين فالحكمة مثلاً وسط بين السفه والبله ، والذكاء
وسط بين الخبث والبلادة وهكذا .

ثم رأى مسكويه أن الفضائل يختص بها الانسان دون الحيوان ، وهو
لا يستطيع تحقيق هذه الفضائل وحده فهو لكي يكمل ذاته في حاجة الى
معاونة غيره ، فالانسان بالناس وهم به ، وهم جميعاً يحققون تحصيل
الفضائل الانسانية ، ولهذا ينفي مسكويه أن تكون هناك فضائل في الزهد
وتترك مخالطة الناس فمثل هؤلاء الناس لديه « لا يحصل لهم شيء من
الفضائل الانسانية » بل تصبح قراهم وملكاتهم باطلة .

وهذا استطاع مسكويه أن يكتشف أن الفضائل ليست سوى فعل
إيجابي يظهر من خلال المشاركة الاجتماعية والايجابية في الحياة .
فالذي يؤدي إلى الفضائل هو الخلق الانساني الذي لا يتوافر الا
بالمشاركة والاجتماع .

وحينا تصدى مسكويه لدراسة الخلق ، رأى أنه حال للنفس يستدعيها
السلوك الانساني من غير فكر ولا روية ، وتنقسم هذه الحال قسمين ،
فمنها « ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالانسان الذي يحركه أدنى شيء
نحو غضب ، وتبيج من أقل سبب . . . ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة
والتدريب » . وفي هذا الصدد يعرض مسكويه لأراء الرواقيين وجالينوس
وأرسطو وغيرهم والعلماء .

ولكنه لا يلبث أن يقرر أن الخلق غير طبيعي ، فيمكن تغييره بالمواظ
والتدريب ، فالأطفال ينشأون بحسب الأسلوب الذي ربوا عليه في
المجتمع ، وإن لم يغفل تفاوت الافراد في قبول الاخلاق الفاضلة فمنهم
« المتواني والمتنع والسهل السلس والفظ العسر ، والخير والشرير » . . .

السخاء . ولكن هذا لا يمنع من أن نفهم « تحوير أفعال الإنسان بما هو إنسان » وهذه هي صناعة الأخلاق

ولصناعة الأخلاق عند مسكويه مبادئ وأسس : منها أن الغرض من علم الأخلاق الوصول بالإنسان إلى الكمال ، وكمال الإنسان تفكير وعمل ، فيشتمل إذن على جانب نظري وجانب تطبيقي عملي وهذا الجانب الأخير هو مهمة علم الأخلاق بحيث ينتهي عام الأخلاق إلى « التدبير المدني الذي يرتب الأفعال والقوى بين الناس حتى يسعدوا سعادة مشتركة » .

ومن مبادئ صناعة الأخلاق كذلك البحث عن اللذات العقلية التي يتميز بها الإنسان عن غيره من الكائنات ، ومنها كذلك ضرورة العمل على تنشئة الطفل وفق برنامج معد ومتناسب مع توالي ظهور قوى النفس في الطفل .

ثم يعرض مسكويه بعد ذلك للسعادة والخير ، فيرى أن الخير طيبة تقصد لذاتها ، أما السعادة فخير خاص بفرد ما وهذه لا تتم إلا بتحصيل السعادة الروحية والسعادة البدنية معاً .

وتحدث السعادة عند مسكويه لمن يقوم بممارسة الفضائل من العدالة والشجاعة والعفة ، شرط أن تكون هذه الفضائل مستهدفة بنية خالصة .

ويرى مسكويه أن الاجتماع ضروري بين الناس لأنهم يكملون بعضهم بعضاً ، ولذلك قامت المحبة بينهم ، التي هي أساس الحياة الاجتماعية .

ويختتم مسكويه كتابه بمقالتين في تشخيص بعض الأمراض النفسية والاجتماعية وطرق الوقاية والعلاج منها . فالمقالتان من ثم نوع من التريية النفسية يوجه فيها مسكويه النظر إلى ضرورة المحافظة على الصحة النفسية ووسائل هذا . فيرى أنه « مما يؤخذ به من يحفظ صحة نفسه أنه يلتزم

وظيفة من الجزء النظري والعمل لا يجوز له الاخلال به البتة ، لتجري النفس مجرى الرياضة التي تلزم في حفظ صحة البدن ، وأطباء النفوس أشد تعظيماً لها في حفظ صحة النفس . وذلك أن النفس متى تعطلت عن النظر وعدمت الفكر والفوص على المعاني تبلدت وتبلهت وانقطعت عنها مادة كل خير . وإذا الفت الكسل وتبرمت بالروية واختارت العطلة ، قرب هلاكها لأن في عطلتها هذه انسلاخاً من صورتها الأصلية ورجوعاً منها الى رتبة البهائم .

ويرى مسكويه أن على الانسان أن يجاهد ذاته الشهوية والغضبية دوماً ، وهذا هو الجانب الوقائي .

أما الرذائل التي تنتج عن عدم المجاهدة وهي التهور والجبن ، والشره والحمول ، والسفه والبله ، والجور والمهانة ، فعلى الانسان أن يجاهد نفسه حتى يستطيع أن يحقق الشفاء من هذه الأمراض .

وبهذا يعد كتاب تهذيب الاخلاق لمسكويه وسطاً بين الابحاث الفلسفية وبين دراسة ظواهر السلوك في المجتمعات وفي الافراد دراسة نفسية ، وبين دراسة العلاقات الاجتماعية .

مصادر ومراجع :

الطعالي : تنمة اليتيمة ، الجزء الاول

د . حسن سعيان : تهذيب الاخلاق وتنظيم الاعراق لمسكويه

مقال بمجلة تراث الانسانية - المجلد الثالث ، ص : ٥٤

- مسكويه : تهذيب الاخلاق وتنظيم الاعراق .

- ياقوت الحموي : معجم الادباء - الجزء الخامس .

نماذج من كتاب تهذيب الأخلاق لمسكويه

(١)

« قال أحمد بن محمد بن مسكويه : غرضنا من هذا الكتاب أن نحصل لأنفسنا خلقاً تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة ، وتكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة فيها ولا مشقة ، ويكون ذلك بصناعة ، وعلى ترتيب تعليمي .

والطريق في ذلك أن نعرف أولاً نفوسنا ما هي وأي شيء هي ، ولأي شيء أوجدت فينا . أعني كمالاتها وغايتها وما قواها وملكاتنا التي إذا استعملناها على ما ينبغي بلغنا بها هذه الرتبة العلية ، وما الأشياء العائقة لنا عنها ، وما الذي يزكيها فتطلع وما الذي يفسدها فتخيب . فإن الله عز من قائل يقول : ﴿ ونفس وما سواها فالهملها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ .

ولما كان لكل صناعة مبادئ عليها تبني وبها تحصل ، وكانت تلك المبادئ مأخوذة من صناعة أخرى . وليس في شيء من هذه الصناعات أن نبين مبادئ أنفسنا كان لنا علر واضح في ذكر مبادئ هذه الصناعة على طريق الاجمال والاشارة بالقول الوجيز .

[ص ٢ - ٣ ، ط . مطبعة الترقى - القاهرة ١٣١٧ هـ]

الأجناس الأربعة التي تحتوي على جمل الفضائل :

« أما الحكمة فهي فضيلة النفس الناطقة المميزة وهي أن تعلم الموجودات كلها من حيث هي موجودة ، وإن شئت فقل أن تعلم الأمور الإلهية والأمور الإنسانية ، ويشمر علمها بذلك أن تعرف المعقولات أيها يجب أن يفعل وأيها يجب أن يغفل » .

« وأما العفة فهي فضيلة الحس الشهواني وظهور هذه الفضيلة في الإنسان يكون بأن يصرف شهواته بحسب الرأي . أعني أن يوافق التمييز الصحيح حتى لا يتفاد لها ، ويصير بذلك حراً غير متعبد لشيء من شهواته .

وأما الشجاعة فهي فضيلة النفس الغضبية وتظهر في الإنسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة المميزة واستعمال ما يوجه الرأي في الأمور الهائلة أعني أن لا يخاف من الأمور المفزعة إذا كان فعلها جيلاً والصبر عليها محمداً .

فأما العدالة فهي فضيلة للنفس تحدث لها من اجتماع هذه الفضائل الثلاث التي عددناها وذلك عند مسالة هذه القوى بعضها لبعض واستسلامها للقوة المميزة حتى لا تتغالب ولا تتحرك لنحو مطلوباتها على سقم طبائعها . ويحدث للإنسان بها سمة يختار بها أبداً الانصاف من نفسه أولاً ثم الانصاف والانتصاف من غيره وله » .

[ص ١٥]

دواء النفوس

« ولا كانت النفس قوة الهية غير جسمانية ، وكانت مع ذلك مستعملة لمزاج خاص ومربوطة به رباطاً طبيعياً الهيا ، لا يفارق أحدهما صاحبه الا بمشيئة الخالق عز وجل ، وجب أن نعلم أن أحدهما متعلق بصاحبه متغير بتغيره فيصح بصحته ويمرض بمرضه . ونحن نرى ذلك مشاهدة وعيانا بما يظهر لنا من أفعالها .

وذلك أنا كما نرى المريض من جهة بدنه لا سيما إن كان سبب مرضه أحد الجزئين الشريفين أعني الدماغ والقلب ، يتغير عقله ويمرض حتى ينكر ذهنه وفكره وتحيله وسائر قوى نفسه الشريفة ، ويحس هو من نفسه بذلك .

كذلك أيضا نرى المريض من جهة نفسه إما بالغضب وإما بالحزن وإما بالعشق وإما بالشهوات الهائجة به تتغير صورة بدنه حتى يضطرب ويرتعد ويصفر ويحمر ويهزل ويسمن ويلحقها ضروب التغير المشاهدة بالحس . فيجب لذلك أن نتفقد مبدأ الأمراض إذا كان من نفوسنا . فإن كان مبدؤها من ذاتها كالفكر في الأشياء الرديئة واجالة الرأي فيها ، وكاستشعار الخوف والخوف من الأمور العارضة والمترقة والشهوات الهائجة قصدنا علاجها بما ينقصها . وإن كان مبدؤها من المزاج ومن الحواس كالخور الذي مبدؤه ضعف حرارة القلب مع الكسل والرفاهية وكالعشق الذي مبدؤه النظر مع الفراغ والبطالة قصدنا أيضا علاجه بما ينقص هذه .

[ص ص ١٤٤ - ١٤٥]

معرفة المرء عيوب نفسه

« ويجب على حافظ الصحة على نفسه أن يطلب عيوب نفسه باستقصاء شديد ولا يقتنع بما قاله جالينوس في ذلك فإنه ذكر في كتابه المعروف بتعرف المرء عيوب نفسه ، إنه لما كان كل إنسان يحب نفسه خفيت عليه مغايبه ولم يرها وإن كانت ظاهرة . وأشار في كتابه هذا بأن يختار من يحب أن يرا من العيوب صديقاً كاملاً فاضلاً فيخبره بعد طول المؤانسة أنه إنما يعرف صدق مودته إذا أصدقته من عيوبه حتى يتجنبها ويأخذ عهده على ذلك ولا يرضى منه إذا قال له لا أعرف لك عيباً بل ينكر عليه ويعلمه أنه قد اتهمه بالخيانة ، ويعاود مسئلته والالحاح عليه . فإذا لم يخبره بشيء من عيوبه زاد في العتب الصريح والالحاح قليلاً ، فإذا أخبره ببعض ما يعثر عليه منه فلا يظهر له في وجهه أو كلامه نكرة ولا انقباضاً ، بل يسطر له وجهه ويظهر السرور بما أخرجته إليه ونبه عليه ، ويشكره على الأيام وفي أوقات المؤانسة ليتطرق له إلى إهداء مثله إليه ثم يعالج ذلك العيب بما يزيل أثره ويحوظه . ليعلم ذلك المهدي اليك عيبك أنك من وراء نفسك وفي طريق علاج مرضك فلا ينقض عن معاودتك ونصيحتك . »

[ص ١٥٥ - ١٥٦] .

فقه اللغة للثعالبي
(٣٥٠ - ٤٢٩ هـ)

الثعالبي هو عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، أبو منصور الثعالبي
النيسابوري . ولقب بالثعالبي نسبة الى مهنته حيث كان في أول أمره فراءة
يخيط جلود الثعالب في مدينته نيسابور .

ولد أبو منصور الثعالبي سنة خمسين وثلاث مئة بمدينة نيسابور ، وفي
نيسابور ذاع صيته في علوم اللغة والأدب فكان صديقاً لكثير من أعلام
الأدب في عصره ومنهم بديع الزمان الهمزاني والباخرزي ، كما اتصل
بالأمير أبي الفضل الميكالي ، وأفاد من مكتبته ومحتوياتها ، واتصل كذلك
بالأمير أبي نصر سهل بن المرزبان الذي كان عالماً فاضلاً وأديباً شاعراً .

وقد شهد له معاصروه ومن ترجم له بالعلم والتأدب ، فقال عنه
الحصري في كتابه زهر الآداب « وهو فريد دهره ، وقريع عصره ، ونسيج
وحده ، وله مصنفات في العلم والأدب تشهد له بأعلى الرتب .

وللثعالبي العديد من المؤلفات أغلبها في الأدب والأخبار عددها
الصفدي في الوافي بالوفيات ونذكر من هذه الكتب مما نشر :

- كتاب أحسن ما سمعت ، ويسمى اللالائي والدرر ، وطبع بمصر
١٣٢٤ هـ

- كتاب اعجاز القرآن . وطبع بمصر سنة ١٨٩٧ م

- كتاب برد الأكباد في الأعداد . وطبع بالاستانة سنة ١٣٢٥ هـ

- كتاب سحر البلاغة وسر البراعة

- كتاب سر الأدب في مجاري كلام العرب

- كتاب الطرائف واللطائف
- كتاب لطائف المعارف
- كتاب ما جرى بين المتنبى وسيف الدولة
- كتاب المبهج
- كتاب مرآة الروآت
- كتاب المتحلل .
- نثر النظم وحل العقد
- النهاية في الكتابة
- ينيمة الدهر .
- كتاب ثمار القلوب
- كتاب خاص الخاص .
- كتاب فقه اللغة

وكتاب فقه اللغة للثعالبي ، واسمه كاملاً « فقه اللغة وأسرار العربية ، فصرل أراد بها الثعالبي أن يجمع الاستخدام الدقيق للألفاظ . فالكتاب عبارة عن معجم الألفاظ جمعها في ترتيب خاص وفقاً لاشتراكها في باب واحد على نحو ما قسم كتابه .

ويقسم الثعالبي كتابه قسمين : القسم الاول وأطلق عليه فقه اللغة ، والقسم الثاني وأطلق عليه أسرار العربية .

والواضح أن مفهوم فقه اللغة كدراسة تهتم بالفحص العلمي للغة أو حتى بمجرد الفحص ، ودرس قواعد الصرف والنحو والحياة العقلية للغة ، لم يكن هو ما استخدمه الثعالبي .

إن كان الصاحبي ، أبو الحسين أحمد بن فارس (ب ٣٩٥) وهو سابق على الثعالبي كان أكثر توفيقاً في استخدامه لفقه اللغة بمفهوم أقرب إلى التوفيق . وذلك في كتابه « فقه اللغة وستن العرب في كلامها ، وربما كان مرجع هذا إلى أن الصاحبي كان أكثر ثقافة في علوم اللغة من الثعالبي الذي كانت تغلب عليه الثقافة الأدبية الجامعة على طريقة المنادمة .

ومنذ المقدمة نرى هدف الثعالبي من كتابه ، والسبب في اختياره لهذا الاسم .

فالكتاب مهدي إلى « الأمير السيد الأوحى ، أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي » . وقد ألفه تلبية لرغبة الأمير في مؤلف يجمع « نكت من أقاويل أئمة الأدب في أسرار اللغة وجوامعها ، ولطائفها وخصائصها » مستعيناً بثقافته وبالمؤلفات السابقة .

ويذكر الثعالبي العديد من الأسماء ممن أخذ عنهم كالحليل والاصمعي وأبي عمرو الشيباني والكسائي والفراء وأبي زيد وأبي عبيدة وغيرهم كثير . وانتهى بكتابه وقد بلغ ثلاثين باباً قسمها لما يزيد عن ست مئة فصل ، هي محتويات الجزء الأول من كتابه المسمى بفقه اللغة .

وتتناول الثعالبي في هذا القسم اختلاف أسماء الأشياء وأوصافها باختلاف أحوالها والألفاظ المستخدمة في أوائل الأشياء وأواخرها ، وصفات الأشياء وكبارها وعظامها وضخامها ، وأحوالها من طول وقصر وبس ولين ورطوبة وشدة وكثرة وقلة . وفي سائر الأوصاف والأحوال المتضادة وفي الملبى والامتلاء والخلاء وفي ضروب الألوان والآثار وفي أسنان الناس والدواب وفي الأصول والأعضاء والرءوس والأطراف وأوصافها وفي الأمراض والأدواء وضروب الحيوانات وأوصافها ، وفي الأحوال والأفعال الحيوانية ، والحركات والأشكال والهيئات وضروب الضرب والرمي وفي الأصوات وفي اللباس وما يتصل به والأطعمة والأشربة وما يناسبها

والأمطار والمياه وأساكنها وفي الأرض والرمال والجبال والاماكن والمواضع
والحجارة وفي النبت والزرع والنخل وما يجري مجرى الموازنة بين العربية
والفارسية وغيرها .

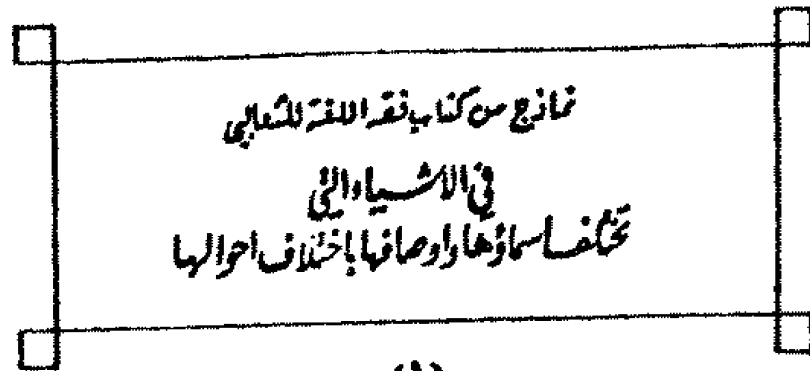
أما القسم الثاني وهو ما أسماه أسرار العربية في مجاري كلام العرب
وستنها في كلامها فهو مجموعة فصول في خصائص اللغة العربية تناول فيها
بعض الموضوعات النحوية والصرفية والبلاغة .

والواضح أن الثعالبي الأديب بما لديه من ثقافة أدبية وحس باللغة ،
أراد بكتابه هذا أن يضع أمام الأمير الدلالات الدقيقة للألفاظ وطرائق
العرب في التعبير. ويبدو أن الثعالبي كان متأثراً في تأليفه لكتابه - وإن لم
يذكر - بكتاب ابن فارس الذي سقت الإشارة إليه ، وقد لاحظ أكثر من
باحث هذا ، فيذكر الدكتور محمد أبو الفرج في كتابه مقدمة لدراسة فقه
اللغة الكثير من أوجه المشابهة والمماثلة بين فصول القسم الثاني من كتاب
الثعالبي وفصول من كتاب ابن فارس

هذا وقد طبع الكتاب أكثر من مرة ، منها طبعة المطبعة الأدبية بسوق
الخضار القديم بمصر ١٣١٧ هـ ، وطبعة مطبعة الحلبي بمصر سنة ١٣٥٧
هـ (١٩٣٨ م) بتحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ
شليبي .

مصادر ومراجع :

- ابن الأنباري : نزهة الألبا في طبقات الأدبا
- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٣
- الثعالبي : فقه اللغة - ط . مصطفى الحلبي ١٣٥٧
- دائرة المعارف الإسلامية : مادة الثعالبي .
- د . محمد أحمد أبو الفرج : مقدمة لدراسة فقه اللغة



(١)

فصل (فيما روى منها عن الأئمة وعن أبي عبيدة)

لا يُقال : كأس ، إلا إذا كان فيها شرابٌ وإلا فهي رُجاجة .

ولا يُقال : مائدة : إلا إذا كان عليه طعامٌ ، وإلا فهي سُورَان .

ولا يُقال : كوزٌ إلا إذا كانت له عُرْوَةٌ ، وإلا فهو كُوبٌ .

ولا يُقال : قلمٌ إلا إذا كان مَبْرُتًا ، وإلا فهو أَتْبُورَةٌ

ولا يُقال : خَاتَمٌ ، إلا إذا كان فيه فَصٌّ وإلا فهو فَتْحَةٌ

ولا يُقال : قَرَوٌ إلا إذا كان عليه صُوفٌ وإلا فهو جِلْدٌ

ولا يُقال : رَيْطَةٌ ، إلا إذا لم تَكُنْ لِفَقَيْنِ ، إلا فهي مُلَاةٌ

ولا يُقال : أَرِيكَةٌ ، إلا إذا كان عليها حَبْلَةٌ ، وإلا فهي مِيرِيرٌ

ولا يُقال : لَطِيْمَةٌ ، إلا إذا كان فيها طَيِّبٌ وإلا فهي عَيْرٌ

ولا يُقال : رُمُحٌ ، إلا إذا كان عليه سَنَانٌ وإلا فهو قَنَاءَةٌ

[ص . ٣ - ط . مصطفى الحلبي بتحقيق السقا والابيضاري وشليبي -

[١٩٣٨]

(٥)

فصل مجمل في الحذف والاختصار [من القسم الثاني ؛ سر العرية]

من سنن العرب : أن تحذف الألف من (ما) إذا استقهرت بها ،
فتقول : بم ؟ ولم ؟ ومم ؟ وعلام ؟ وفيهم ؟

قال تعالى : ﴿ يَمِ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا ﴾ ؟ وكما قال عز وجل : ﴿ غَمُّ
يَتَسَاءَلُونَ ؟ عَنِ النَّبَاءِ الْعَظِيمِ ﴾ أي عن ما ، فأدغم النون في الميم .

ومن الحذف للاختصار قول الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ السُّرُورَ خَفِي ﴾ أي
السروا خفي منه ، فحذف . وقوله : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ ﴾ أي أمره
واحدة أو مرة واحدة . . .

ومن ذلك حذف النداء ، كقولهم : زيد تعال - وعمسرو اذهب .
أي يا زيد ويا عمرو . وفي القرآن ﴿ يُوسُفُ أُعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ أي يا
يوسف .

ومن ذلك حذف أواخر الأسماء المفردة المعرفة في النداء دون غيره ،
كقولهم : يا حار ، ويا مال ، ويا صاح أي يا حارث ، ويا مالك ويا
صاحبي ، ويقال لهذا الحذف : الترخيم ، وفي بعض القرآت الشاذة :
(وناذوا يا مال) وقال امرؤ القيس :

أفاطمٍ مهلاً بنعس هذا التذلل

[ص ٣٤٨]

الأحكام السلطانية للماوردي

(٣٦٤ - ٤٥٠ هـ)

الماوردي هو أبو الحسن علي بن محمد ابن حبيب الماوردي البصري البغدادي عاش في أواخر القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس الهجري .

نشأ الماوردي في البصرة وحرس على يد جماعة من مشايخ عصره ، منهم الحسن بن علي بن محمد ، ومحمد بن علي المقرئ ، وجعفر بن محمد بن الفضل البغدادي ، وكلهم من المحدثين الفقهاء . بعد ذلك رحل الماوردي الى بغداد والتقى هناك بالشيخ أبي حامد بن أبي طاهر الاسفراييني (ت ٤٠٦ هـ) وأخذ عنه الفقه .

اشتغل الماوردي بالقضاء ، ولقب بلقب « أفضى القضاة » سنة ٤٢٩ كما يذكر ياقوت الرومي في معجمه .

ويتفق كل من ترجم للماوردي مثل السبكي والخطيب البغدادي وياقوت الرومي في أن الماوردي في عمارته للقضاء وفي احكامه كان يتصف بالروية والاجتهاد ، وأنه لم يقف جامداً أمام نصوص القانون والشرعة . وفي بغداد مرة ثانية تتلمذ على يديه وروى عنه كثيرون منهم أبو بكر الخطيب وأبو العز بن كادش .

عاصر الماوردي قمة ما وصلت اليه الحضارة الاسلامية ، في بغداد عاصمة الفكر والقرن والسياسة والاقتصاد ، وهناك تنفخ بثقافات عصره . ومع أن الكتب التي ترجمت له لم تذكر الكثير عن حياته الأولى ، إلا أن الدارس لمؤلفاته سيكتشف أن الرجل لم يكن فقيهاً فحسب كما تخبرنا كتب التراجم ، بل كان أيضاً لغوياً ومفسراً وأديباً وفيلسوفاً ومنظراً اجتماعياً .

وربما بسبب غلبة الروح الفلسفية والنظرة الاجتهادية عليه ، ربما

بسبب ذلك انهم الماوردي بالاعتزال من اغلب من ترجم له ، ولكن يبدو أن هذا الانهام كان افتراءً على الرجل . فمع أن الماوردي عمل بالاجتهاد القائم على العقل في البحث في مسائل الدين ، إلا أن فكره كما وضح في مؤلفاته لا يوافق المعتزلة في أهم أصولهم .

وللماوردي مؤلفات كثيرة ومتنوعة ، فيقول عنه الخطيب البغدادي في كتابه « تاريخ بغداد » [ص ١٢] أن له تصانيف عدة في أصول الفقه وفروعه وفي غير ذلك . وإن كنا لا نعرف من مؤلفاته إلا حوالي اثني عشر مؤلفاً أغلبها مخطوطات لم تنشر بعد .

وفي المقدمة التي كتبها مصطفى السقا عن الماوردي في تحقيقه لكتاب البغة العليا في أدب الدين والدنيا ، في هذه المقدمة ، قسم السقا مؤلفات الماوردي إلى مجموعات ثلاث :

أولاً : مجموعة الكتب الدينية وتشمل :

١ - كتاب تفسير القرآن ، ويعرف بكتاب التكت والعيون . ولا يزال الكتاب مخطوطاً

٢ - كتاب الحاوي الكبير ، وهو موسوعة كبيرة في فقه الشافعية في أكثر من عشرين مجلداً ولا يزال هذا الكتاب مخطوطاً كذلك .

٣ - كتاب الاقناع ، وهو مختصر لكتاب الحاوي الكبير .

٤ - كتاب أدب القاضي ، مخطوط

٥ - كتاب أعلام السوء ، مخطوط ، وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية

ثانياً : مجموعة الكتب اللغوية والأدبية : ومنها :

١ - كتاب الامثال والحكم . مخطوط .

٢ - كتاب البغة العليا في أدب الدين والدنيا ، وهو مجموعة آيات

القرآن والأحاديث التي نحث على الفضائل وننهي عن الرذائل ، مزوداً
ب نماذج أدبية من التراث العربي ومن الحكم الأجنبية .

طبع عدة مرات ، أشهرها طبعة القاهرة ١٩٥٥ التي حققها وعلق
عليها مصطفى السقا .

٣ - كتاب في النحو ، وهو كتاب مفقود، ذكر ياقوت الرومي في معجمه
انه رآه بنفسه :

ثالثاً : مجموعة كتب السياسة والفكر ، وهي أربعة كتب ضمنها الماوردي
آراءه في نظم الحكم والادارة والسياسة . وهي :

١ - كتاب قوانين الوزارة وسياسة الملك : طبع بالقاهرة سنة ١٩٢٩
بعنوان « أدب الوزير » .

٢ - كتاب نصيحة الملوك . وهو مخطوط وتوجد نسخة منه بال مكتبة
الأهلية بباريس .

٣ - كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر . مخطوط وتوجد منه نسخة
مخطوطة في غوطة .

٤ - كتاب الاحكام السلطانية . وهو أشهر مؤلفات الماوردي وأهمها
وقد طبع بالقاهرة ١٢٩٨ هـ .

ويعتبر كتاب الاحكام السلطانية من أخطر المراجع التاريخية عن النظم
الاسلامية ، والفكر السياسي . فالكتاب يبحث في الأسس التي تقوم
عليها الدولة ، وعن تنظيم ادارتها وقواعد التشريع فيها وعلاقة الفرد فيها
بالدولة ، وعلاقة الدول بعضها ببعض .

قسم الماوردي كتابه الى مقدمة وعشرين باباً تناول فيها جوانب
الحكم وأركان نظام الدولة . بدأ المقدمة بتوضيح هدفه وهدف كتابه بقوله :

« ولما كانت الأحكام السلطانية بولاية الأمور الحق ، وكان امتزاجها بجميع الأحكام يقطعهم عن تصفحها ، مع نشاطهم بالسياسة والتدبير ، أفردت لها كتاباً أمثلت فيه أمر من لزمت طاعته ليعلم مذاهب الفقهاء - فيما له منها - فيستوفيه ، وما عليه فيوفيه ، توخياً للعدل في تنفيذه وقضائه ، وتحريراً للنصفة في أخذه وعطائه » .

ثم تناول في الباب الأول عقد الإمامة فرأى أنه « لولا الولاية لكانوا فوضى مهملين ومهملين مضاعين » . والماوردي يرى ضرورة الحكومة وأهميتها في توحيد الأنواء والاختلافات ، ومن هنا كانت الحكومة مرتبطة أساساً عنده بالحاكم القوي .

والإمامة عند الماوردي أساساً وظيفة وأمانة معقودة بالامة ، فهي حق المسلمين جميعاً ، وهي كما يقول الماوردي « عقد مرضاة واختيار ، لا يداخله اكراه ولا اجبار » . وفي هذا ما يدل دلالة قوية على المنطلق الفكري الذي اعتمده الماوردي في فلسفته لسياسة الحكم ، وهو منطلق يعتمد على الديمقراطية المطلقة وعلى فكرة التعاقد الاجتماعي التي ربما اطلع عليها في الفلسفة اليونانية ، والتي عرفت بعد ذلك في فلسفات القرن الثامن عشر الميلادي بالعقد الاجتماعي عند روسو ومونز ولوك .

ثم يأسد الماوردي بعد ذلك في تحديد واجبات الحاكم فيراها في تنفيذ الأحكام ، « تامة العدل وحماية الأموال والبلاد وجباية الأموال المستحقة على القادرين وتوزيع الصدقات على المحتاجين . وعلى الامام الحاكم أن يقوم بهذه الأعمال حتى يكون قد أدى حق الله فيها لهم . وفي مقابل هذا وجب على الامة حقان : الطاعة والنصرة ، وعليها الالتزام بهذا الحق ما لم يتغير حاله » .

ثم تناول الماوردي في هذا الباب كذلك مسألة ولاية العهد ، فأجازها بشروط وقياساً على عمل المسلمين بها عندما عهد أبو بكر بالإمامة لعمر

وعندما عهد عمر بها الى أهل الثورى ، فأنبت المسلمون امامة أبي بكر ، ونزلت الجماعة دخولهم في الامامة بعد عمر . وهكذا أكد الماوردي أن شخص الحاكم ليس هو الأساس في الحكومة ، وإنما الأساس هو قيام السلطة وسيادة القانون .

وفي الباب الثاني تناول الماوردي تقليد الوزارة فرأى أنه لما كان من المتعذر على الامام التهوض بكل شيء في الأمة مباشرة بنفسه ، لذلك فلا بد له من أن ينوب عنه أعواناً يعهد إليهم بتأدية بعض هذه الاعمال ، فما « وكل إلى الامام من تدبير الأمة ، لا يقدر على مباشرة جميعه الا باستنابة » .

وقد استند الماوردي في قوله بجواز الوزارة على ما جاء في القرآن الكريم من أن موسى عليه السلام طلب وزيراً يساعده فأجابه الله إلى طلبه . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، كما يرى الماوردي فإن « نيابة الوزير المشارك له في التدبير ، أصبح في تنفيذ الأمور من تفرده بها ، ليستظهر به على نفسه ، وبها يكون أبعد من الزلل وأمنع من الخلل .

ويقسم الماوردي أنواع الوزارة الى وزارتین : الأولى وزارة تنفيذ يكلف فيها الوزير بتنفيذ الأمور الموكولة اليه . والثانية وزارة تفويض ويفوض فيها الوزير بتدبير الأمور برأيه واجتهاده . ولذلك وجب ان يشوافر في وزير التنفيذ الأمانة والصدق والحيدة والذكاء . وأجاز الماوردي فيه أن يكون ذمياً بخلاف وزير التفويض الذي يمارس سلطة العزل والولاية ومباشرة الحكم وتسيير الجيوش والتصرف في بيت المال . وهكذا استطاع الماوردي أن يثبت رحابة أفقه بأجازته تولية الوزارة في الدولة الاسلامية لغير المسلم ، وقدرته على التصور والتفهم لأبعاد الموضوع المناقش .

وفي الباب الثالث يناقش الماوردي قضية تقليد الامارة على البلاد ، فقسمها قسمين : امارة عامة يكون فيها الأمير مفوضاً من الامام أو الخليفة

في حكم بلد ولاية على سائر أعماله ، ولذلك يراعي فيه ما يراعي في وزارة التفويض .

أما الامارة الثانية فهي إمارة خاصة بمجد فيها نفوذ الأمير بأمر من الأمور كتدبير الجيش وسياسة الرعية ، ويرى الماوردي انه لا يجوز في الامارة الخاصة التعرض للقضاء أو الاحكام أو جباية الخراج أو الصدقات .

وفي الباب الرابع يتناول الماوردي تقليد الامارة على الجهاد فيراها مختصة بقتال الشركين ويقسمها الى ولاية مقصورة على سياسة الجيش وتدبير الحرب ، وولاية يفوض فيها الى الأمير جميع أمرها . ثم يتحدث عن احكام امارة الجيش وما يجب أن يتوافر في أمير الجيش من صفات ، وواجبات الأمير نحو جيشه ، وواجبات المحاربين نحو الله ونحو قائدهم .

وفي هذا الباب كذلك يتحدث الماوردي عن آداب الحرب والاسلام ، فيه عن قتل من لم يقاتل خاصة من النساء والولدان ، كما يتكلم عن الفساد والغلول والزنا لانه « ما فسد جيش قط الا قذف الله في قلوبهم الرعب . .. وما غل جيش قط الا سلط عليهم الرجلة . . . وما زنا جيش قط الا سلط الله عليهم الموتان » .

أما الباب الخامس فقد جعله الماوردي للولاية على حروب المصالح وهم أهل الردة وأهل البغي والمحاربين .

وفي الباب السادس يتناول الماوردي مبحثاً هاماً أفاض في درسه وتوضيح موقفه فيه ، وهو موقف كما سنرى يستند على تأصيل وتوافر رصيد فكري لمفهوم الحرية والديمقراطية والعدالة .

خصص الماوردي الباب السادس هذا للولاية القضاء ، فنص على

مبدأ استقلال القضاء وتحريم عزاء إذا مات من عينهم فقال « إذا مات
الامام لم تنعزل قضاته » .

ويذكر الماوردي في هذا الباب الصفات التي يجب أن تتوافر في
القاضي على هيئة نصائح هي القول الفصل في تلك الوظيفة . يقول
« وليس لمن تقلد القضاء أن يقبل هدية من خصم ولا من أحد من أهل
عمله وإن لم يكن له خصم ، لأنه قد يستعديه فيما يليه . . . وليس له أن
يحكم لأحد من والديه ولا من أولاده لأجل التهمة ويحكم عليهم
لارتفاعها ، وكذلك لا يشهد لهم ويشهد عليهم ، ويشهد لعدوه ولا يشهد
عليه ، ويحكم لعدوه ولا يحكم عليه ، لأن أسباب الحكم ظاهرة وأسباب
الشهادة خافية » .

ويتناول الماوردي في الباب السابع ولاية المظالم وشروطها واختصاصها
وقواعدها .

وفي الباب الثامن يتحدث عن ولاية النقابة على ذوي الانساب
الشريفة كالطالبين والعباسيين . ويخصص الباب التاسع للولاية على امامة
الصلوات ، والعاشر للولاية على الحج والحادي عشر للولاية على
الصدقات والثاني عشر للولاية على الفي والغنمة ، الثالث عشر في وضع
الجزية والخراج ، والرابع عشر فيما يختلف أحكامه من البيوت والخامس
عشر في احياء الموات واستخراج المياه والسادس عشر في الميراث والارفاق
والسابع عشر في أحكام الاقطاع والثامن عشر في وضع الديوان وذكر
أحكامه والتاسع عشر في أحكام الجرائم ، والباب العشرون في أحكام
الحسبة .

وهكذا ينضح لنا كيف استطاع الماوردي أن يكون منظماً سياسياً ومنظراً
اجتماعياً في آن واحد ، كما استطاع أن يؤكد من خلال مؤلفه رحابة أفقه
ومرونة تفكيره .

نماذج من كتاب الامكام السلطانية

(١)

في شروط النظر في النظام

[الباب السابع - ولاية المظالم]

« من شروط الناظر فيها ان يكون جليل القدر ، نافذ الأمر ، عظيم
المهية ، ظاهر العفة ، قليل الطمع ، كثير الورع ، لأنه يحتاج في نظره الى
سطوة الحماة ، وثبت القضاة ، فيحتاج الى الجمع بين صفات الفريقين ،
وأن يكون بجلالة القدر ، نافذ الأمر في الجهتين ، فإن كان ممن يملك
الأمور العامة كالوزراء والامراء ، لم يحتاج النظر فيها الى تقليد ، وكان له
بعموم ولايته النظر فيها .

وان كان ممن لم يفوض إليه عموم النظر احتاج الى تقليد وتولية ، اذا
اجتمعت فيه الشروط المقدمة .

وهذا إنما يصح فيمن يجوز أن يختار لولاية العهد أو لوزارة التفويض
او لامارة الاقاليم ، إذا كان نظره في المظالم عاما . فإن اقتصر به على تنفيذ
ما عجز القضاة عن تنفيذه وامضاء ما قصرت يدهم عن امضائه ، جاز أن
يكون دون هذه الرتبة في القدر والخطر ، بعد أن لا تأخذه في الحق لومة
لائم ، ولا يستشفه الطمع الى رشوة .

حسن محاصرة في أحد أسر ولقاهم .

سيوطي (٨٤٩ - ٩١٠ هـ)

ترحم جلال الدين السيوطي نفسه في كتابه « حسن المحاصرة » أسوة
بما فعل بعض المؤلفين قبله ، ومنهم ياقوت الحموي في معجم الأدباء وابن
الخطيب في كتابه الإحاطة والحافظ تقي الدين العاسي في كتابه العقد
التمين في تاريخ البلد الأمير . وابن حجر العسقلاني في كتابه الأعلام
وغيرهم .

قال السيوطي إنه « عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق
الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن
نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين
الهمام الخضيرى الأسوطي » .

وكان مولده « بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين
وثمانمائة » .

وقد ولد جلال الدين السيوطي بالقاهرة في بيت علم ، فقد كان جده
الأعلى « همام الدين » من مشايخ الصوفية ، وكان والده فقيها شافعيًا ،
تولى قضاء أسيوط ، ثم درس الفقه بالجامع الشيعوني وخطب بالجامع
الطولوني .

ويذكر جلال الدين السيوطي أن الأرجح في نسب نسبته
بالخضيرى . سلة ببغداد يقال لها الخضيرية ، ويعتقد أن جده الأكبر نزع
منها .

درس جلال الدين القرآن والفقه والأصول والنحو على كبار مشايخ
وعلماء عصره منهم الشيخ شهاب الدين الشارمساحي ، والشيخ عثم
الدين البلقيني والشيخ شرف الدين المناوي ، وتقي الدين الشبلي الحنفي
والشيخ سيف الدين الحنفي وغيرهم

وهكذا أصبح حلال الدين السيوطي عالماً فقيهاً في علوم التفسير
والحديث واللغة والنحو والمعاني والبيان والبدع

ولجلال الدين السيوطي عددٌ كبير من المؤلفات ذكرها في كتابه
وعدها بثلاثمائة كتاب ومن هذه المؤلفات (سنذكر بعضاً مما طبع من
مؤلفاته فقط)

- الإتقان في علوم القرآن ..

- الدر المنثور في التفسير المأثور .

- معجمات الأقرآن في مبهمات الأقران .

- إسعاف الميطا برجال الموطأ .

- شرح شواهد المغنى .

- جمع الجوامع .

- عقود الجمان في المعاني والبيان .

- طبقات الحفاظ .

- بغية الوعاة .

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة .

واعترل السيوطي الناس في أواخر أيامه ، تاركاً التدريس والافتاء ،
وأقام بجزيرة الروضة (المنيل) للعبادة والتأليف ، وقد ألف في ذلك كتابه
« التنفيس في الاعتذار عن الإفتاء والتدريس » . وبقي بالروضة حتى توفي
سنة ٩١١ هـ .

أما كتاب حسن المحاضرة ، فمؤلف يضم أخبار مصر منذ القدم حتى
عصر المؤلف . فيذكر المواضع والأحاديث التي وقع فيها ذكر مصر ثم ما

أورده المؤلفون من أخبار مصر بقصد الكشف عن حياة مصر العلمية والأدبية .

ويصف السيوطي في الجزء الأول من كتابه إقليم مصر ومن نزل بها من أولاد آدم ، ومن ملكها قبل الطوفان وبعده ، ومن دخلها من الأنبياء وأخبار الصديقين والسحرة الذين آمنوا بموسى .

ويذكر بعد ذلك عجائبها وخاصة الأهرام ومنارة الإسكندرية وعجائبها . ثم دخول العرب مصر في خلافة عمر وبناء المسجد الجامع والدور والحمامات ، ومن دخلها من الصحابة بعد ذلك ، ويأخذ بعد ذلك في الترجمة لشاهير من كان بمصر من الأئمة المجتهدين وحفاظ الحديث ونقاده وفقهاء الشافعية من المالكية والحنفية والحنابلة ، وكذلك أئمة القراءات والنحو واللغة والحكماء والأطباء والمنجمين والوعاظ والقصاص والمؤرخين والشعراء والأدباء ، وترجم لنفسه مع هؤلاء .

أما الجزء الثاني فيتناول فيه جلال الدين السيوطي أمراء مصر منذ أن فتحت إلى أن ملكها بنو عبيد ، ثم بنو أيوب ، ثم من قام بها من الخلفاء العباسيين .

ويذكر قضاة مصر ووزرائها وكتاب السر ، ويحدث عن مساجد مصر ، وأمهات المدارس .

ثم يحدث عن أمور متفرقة ، فيذكر الحوادث الغريبة بمصر ، وحمام الرسائل ، والزري والكتابة على التقاليد والمعاملة ولطائف مصر ، والنيل وجزيرة الروضة والمقابر والخليج وبركة الحبيس .

ويختتم الكتاب بالحديث عن الأزهار والفواكه الموجودة بمصر ، وما جاء فيها من أشعار .

الشبلي، محمد بن أبي بكر : السنا الباهر: تكميل النور السافر في أخبار
القرن العاشر .

نماذج من كتاب حسن المذاكرة
في ذكر البشارة بوفاء النيل

(١)

« جرت العادة كل سنة إذا أوفى النيل أن يرسل السلطان بشيراً بذلك الى البلاد لتطمئن قلوب العباد ، وهذه عادة قديمة ، إذ لم يزل كتاب الإنشاء ينشئون في ذلك الرسائل البليغة . فمن إنشاء القاضي الفاضل في وفاء النيل عن السلطان صلاح الدين بن أيوب :

نعم الله - سبحانه وتعالى - من أضونها بزوغاً ، وأفضاها سيوغاً ، وأصفاها يتبوعاً ، وأمدها بحر مواهب ، وأضمنها حسن عواقب . النعمة بالنيل المصري الذي يسط الأمال ويفيضها مده وجزره ، ويسروي النبات غمره ، ويحيي مطلقه الحيوان ، وثمرات الأرض صنوان وغير صنوان .

وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا ، فأسفر وجه الأرض وإن كان تنقب ، وأمن يوم بشره من كان خائفاً يترقب . ورأينا الإبانة عن لطائف الله التي حققت الظنون ، ووفت بالرزق المضمون إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون .

في ذكر جزيرة الروضة

ذكر جزيرة مصر ، وهي المسماة الآن بالروضة ، قال المقريزي :
اعلم أن الروضة تطلق في زماننا على الجزيرة التي بين مدينة مصر وبين
مدينة الجيزة ، وعرفت في أول الاسلام بالجزيرة ، وجزيرة مصر ، ثم قيل
لها : جزيرة الحصن . وعرفت الروضة من زمن الأفضل ابن أمير
الجيوش . الى اليوم . انتهى .

وقال ابن المتوج في كتابه « ايقاظ المتغفل » ، واتعاط التأمل : إنما
سميت جزيرة مصر بالروضة لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها . وبحر
النيل حائز لها ودائر عليها . وكانت حصينة وفيها من البساتين والثمار ما لم
يكن في غيرها .

ولما فتح عمرو بن العاص مصر تحصن الروم بها مدة ، فلما طال
حصارها وهرب الروم منها ضرب عمرو بن العاص بعض أبراجها
وأسوارها وكانت مستديرة عليها .

واستمرت إلى أن عمر حصنها أحمد بن طولون في سنة ثلاثمائة وستين
ولم يزل هذا الحصن حتى خربه النيل .

وقال المقريزي : اعلم أن الجزائر التي هي الآن في بحر النيل كلها
حادثه في الإسلام ما عدا الجزيرة التي تعرف اليوم بالروضة تجاه مدينة
مصر ، فإن العرب لما دخلوا مع عمرو بن العاص إلى أرض مصر
وحاصروا الحصن الذي يعرف اليوم بقصر الشمع في مصر حتى فتحه الله
عنوة على المسلمين ، كانت هذه الجزيرة حينئذ تجاه القصر ، لم يبلغني إلى
الآن متى حدثت ، وأما غيرها من الجزائر كلها فقد تجددت بعد فتح
مصر .

والى هذه الجزيرة التجأ المقوقس لما فتح الله على المسلمين النصر ،
وصار بها هو ومن معه من عجمع الروم والقبط .

(٢)

من ذكر من كان بمصر من المؤرخين

. . . أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك ابن سعيد الفرناطي
الأديب الإخباري الشهير ، صاحب التصانيف الأدبية ، ولد بفرناطة سنة
عشر وستمائة ، وأخذ عن الشلويسين وغيره ، وجمال في الاقطار ، ودخل
مصر والشام وبغداد ، وألف : المغرب في حلى المغرب . والمشرق في حلى
المشرق ، والطالع السعيد في تاريخ بلده ، مات بتونس سنة خمس وثمانين
وستمائة .

- الأمير وكن الدين بيمرس المنصورى الدوادار ، صاحب التاريخ
المسمى بزيادة الفكرة ، من أحد عشر مجلداً ، والتفسير . مات سنة خمس
وعشرين وسبعمائة .

- ابن المتوج تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج بن صالح
الزبيري ، أحد العدول بمصر ولد بها في ربيع الأول سنة تسع وثلاثين
وستمائة وسمع وحدث ، وألف تاريخ مصر ، سماه : ايقاظ المتغفل
وانعاز المتأمل . روى عنه البدر بن جماعة ، مات بمصر في المحرم سنة
ثلاثين وسبعمائة .

الفهرست

| | |
|----|-------|
| ٥ | مقدمة |
| ١١ | تمهيد |

الباب الاول

| | |
|-----|-------------------------------|
| ٢١ | في المصنفات الموسوعية |
| ٢٥ | الجاحظ وكتابه البيان والتبيين |
| ٢٩ | كتاب البيان والتبيين |
| ٣٦ | نصوص من كتاب البيان والتبيين |
| ٤٤ | الكامل في اللغة والأدب للمبرد |
| ٥١ | نماذج من كتاب الكامل |
| ٥٦ | العقد الفريد لابن عبد ربه |
| ٦٤ | نماذج من كتاب العقد الفريد |
| ٧٠ | الآغاني لأبي الفرج الأصفهاني |
| ٨١ | نماذج من كتاب الآغاني |
| ٨٧ | موسوعات القرن الثامن الهجري |
| ٨٩ | لسان العرب لابن منظور |
| ٩٥ | نماذج من لسان العرب |
| ٩٩ | كتاب السير لابن خلدون |
| ١١١ | نصوص من ابن خلدون |
| ١١٩ | صبح الأعشي للقلقشندي |
| ١٢٥ | نماذج من كتاب صبح الأعشي |

الباب الثاني

| | |
|-----|--|
| ١٣٩ | في المصنفات المتخصصة |
| ١٤٠ | المصادر الأدبية والنقدية وعلوم البلاغة العربية |

| | |
|-----|---|
| ١٤٤ | مصادر الحديث النبوية |
| ١٤٧ | مصادر العلوم القرآنية، التصوف الاسلامي |
| ١٥٢ | مصادر الفلسفة وعلم النفس والاخلاق والاحتجاج |
| ١٥٤ | مصادر التاريخ والجغرافيا |
| ١٦٠ | مصادر العلوم التجريبية والرياضية |
| ١٦٤ | مصادر التراجم والسيرة |
| ١٦٨ | نماذج من المصادر المتخصصة |
| ١٦٩ | الرسالة للامام الشافعي |
| ١٧٢ | نماذج من الرسالة للشافعي |
| ١٧٥ | الشعر والشعراء لابن قتيبة |
| ١٨١ | نماذج من الشعر والشعراء |
| ١٨٥ | الزيج الصبائي للبتاني |
| ١٨٩ | نماذج من الزيج الصبائي للبتاني |
| ١٩١ | معجم الشعراء للمرزبان |
| ١٩٥ | نماذج من معجم الشعراء |
| ١٩٧ | الفهرست لابن النديم |
| ٢٠٣ | نماذج من كتاب الفهرست لابن النديم |
| ٢٠٦ | تهذيب الاق وتنظير الاعراق لمسكويه |
| ٢١١ | نماذج من كتاب تهذيب الاخلاق لمسكويه |
| ٢١٥ | فقه اللغة للعالملي |
| ٢١٩ | نماذج من كتاب فقه اللغة للعالملي |
| ٢٢٢ | الاحكام السلطانية للماوردي |
| ٢٢٧ | نماذج من كتاب الاحكام السلطانية |
| ٢٣٢ | حسن المحاضرة للسيوطي |
| ٢٣٧ | نماذج من كتاب حسن المحاضرة |

صدر للمؤلف :

أولاً : دراسات وأبحاث

- ١ - لغة الشعر العربي الحديث ١٩٧٩
- ٢ - اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر ١٩٧٩
- ٣ - من مصادر التراث العربي ١٩٨٠
- ٤ - مقالات في النقد الأدبي ١٩٨١
- ٥ - اتجاهات الرواية العربية المعاصرة ١٩٨٢

ثانياً : مجموعات قصصية :

- ١ - رحلة منتصف الليل ١٩٦٥
- ٢ - اليتيم ١٩٦٧
- ٣ - إيقاعات حزينة من زمن الموت ١٩٨٢